المرأة العظيمة

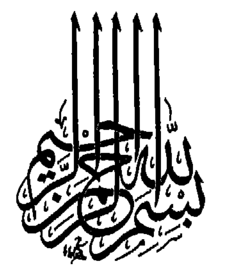
قراءة في حياة السيدة زينب بنت علي (عليها السلام)

حسن الصفار



دار البيان العربي

المرأة العظيمة


بسم الله الرحمن الرحيم

حسن الصفار

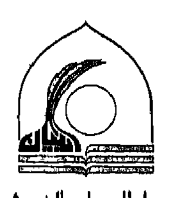
المرأة العظيمة

قراءة في حياة السيدة زينب بنت علي (عليهما السلام)


دار البيان العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م



دار البيان العربي

السرويس - خلف سنتر محفوظ وحجازي - بناية محمد الزين
ت ٨٢١١٤٢ - ٨/٧/٨٢٣٥٢٦ - ٨٢٣٠٨٩ ص. ب ٩٧/ ٢٥ و٥٧٨٩/ ١١٣ بيروت لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ الله وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً إلاَّ الله وَكَفَى بالله حَسِيباً ﴾[1]

---

(١) سورة الأحزاب، الآية(٣٩).

اهداء

أقدِّم هذا الكتاب بحبٍّ وخشوع الى :
أمّي الحنون
كما ربّتني صغيرا
وتحملّت الآلام من أجلي كبيرا
جزاها الله عني خير الجزاء
وأدام عليّ ظلّها الوارف
ونفعني بدعواتها الصّادقة .

كلمات في البدء

يُعترف للمرأة بدورها الخلفي المساعد في صناعة العظماء وابرازهم ، حيث لاحظ العقلاء حضوراً مميّزاً للمرأة في حياة الكثيرين من العظماء والزعماء الناجحين ، فقالوا : « خلف كلّ عظيم امرأة » .

ولكن هل يعني ذلك أنّ حظّ المرأة من العظمة هو في حدود دورها الخلفي (اللّوجستيكي) ؟ وأنّها غير مؤهّلة للعظمة ذاتاً ؟ أم ماذا ؟ .

إنّ العظمة تعني وجود مواصفات نفسية عالية ، وامتلاك كفاءات ذهنية وعملية متقدمة ، وإحداث تأثير فعلي هام على ساحة الحياة .

وبهذا المعنى للعظمة لاشيء يقصّر بالمرأة عن بلوغ درجتها . والتاريخ يخلّد لنا ذكرى العديد من النساء اللاتي ارتقين سنام العظمة ، وبلغن ذروتها ، كما لا يخلو حاضر البشرية من نماذج نسائية عظيمة .

وتأتي السيدة زينب في طليعة ومقدّمة النساء العظيمات في تاريخ الإنسانية .

واقع المرأة في مجتمعاتنا يحكي عمق التّخلف والأنحطاط الذي انحدرنا اليه ،

فمع أننا نعيش أدنى درجات التّطور والنّمو ، ومع حاجتنا الى أقلّ وأبسط الطاقات والقدرات من أجل دفع عجلة التّنمية والتطور في بلادنا ، الاّ أنّ نصف مجتمعنا المتمثل في المرأة قد فرضنا عليه حالة الشّلل والعزلة والجمود .

واذا ما عاشت المرأة جاهلة منغلقه على هامش الأحداث فإنّ تأثيرات وضعها الخاطيء سينعكس على كلّ المجتمع . وهل أبناء المجتمع الاّ ثمرات أحشائها والمتربّون في أحضانها ؟ .

وأسوأ ما في الأمر أن يتمّ تجهيل المرأة واحتقارها وتهميشها بإسم الإسلام !! حيث يرى بعض المتديّنين كراهة تعليم المرأة ، واستحباب الأمّيّة والجهل لها ! ويرون أفضلّية انزوائها في بيتها فلا تخرج حتّى للمشاركة في البرامج الدّينية كصلاة الجماعة ! .

وانّ صوتها عورة فلا يبلغ مسامع الرجال ! .

وانّ لادخل لها في الشّؤن السّياسية فجهاد المرأة حسن التبعّل لزوجها فقط ! .

ويبالغ بعضهم أنّ على المرأة أن لا تخرج من بيتها الاّ مرّتين في حياتها الأولى : من بيت ابيها الى بيت زوجها عندما تتزوج . والثانية : من منزلها الى القبر حينما تموت !! .

ويستندون في نسبة هذه الآراء الرجّعية للدّين على نصوص وروايات وفتاوي إمّا أن تكون مختلقة مصطنعة لا أساس لها ، وإمّا انّهم أساءوا فهمها وحرّفوا تفسيرها بما يتناسب مع أفكارهم المتحجّرة .

وأفضل ردّ يكشف زيف هذه الآراء ، ويفضح الواقع المتخلّف للمرأة في مجتمعاتنا ، ويثبت مخالفته للدين وبراءة الإسلام منه .

نقول : أفضل ردّ هو القراءة الواعية لحياة السيدة زينب .

وهل أحد يستطيع المزايدة على السيدة زينب في الدين ، وهي وليدة النّبوّة ، وخرّيجة بيت الوحي والرسالة ، وعقيلة بني هاشم ؟ .

وحينما نقرأ شخصيتها العظيمة ، ونراها العالمة العارفة ، والمعلّمة المحدِّثة ، التي كانت تعلّم النساء ، ويروي عنها الرجال .

ونراها الثّائرة المجاهدة حيث غادرت بيتها العائلي الهاديء والتحقت بقافلة الثّورة ، لتنتقل من المدينة الى مكة ، ومنها الى كربلاء ، ثم الى الكوفة والشام .

ونراها الحاضرة الشّاهدة في جميع أحداث النّهضة الحسينيّة ، تحاور أخاها الإمام ، وتحرّض أصحابه الأبطال ، وتهرول الى ساحة المعركة وتصرخ في وجوه العسكر ، وتقود قافلة العائلة .

ونراها الخطيبة المفّوهة ترتجل الخطاب أمام جماهير الكوفة وفي مجلس ابن زياد ومجلس يزيد حيث رجالات الحكم والجمع الحاشد من الجند والأعيان .

هذه الصّور الحيّة التي نراها في حياة السيدة زينب تناقض ما نراه من واقع المرأة في مجتمعاتنا فأين يقف الدين اذاً ؟ .

وأيٌ من الواقعين يمثّل رؤية الإسلام ويجسّد تعاليمه ؟ .

وبعد :

قادني التّوفيق الإلهي منذ بضع سنوات لمجاورة السيدة زينب (عليها السلام) والعيش قرب مقامها الشّريف في المنطقة التي تُعرف بإسمها جنوب دمشق الشام .

وقد افاض الله عليّ الكثير من ألطافه ونعمه ببركتها ، وكنت أهرع الى مقامها وأتوسّل الى الله (سبحانه) بحقّها وفضلها كلّما واجهني مشكل من مشاكل الحياة ، فأعود مطمئناً برحمة الله واثقاً من عنايته وتسديده .

وأداءً لبعض حقّها الكبير فكّرت في تقديم خدمة متواضعة لساحة قدسها الشامخ بالكتابة عن شيء من حياتها المجيدة وسيرتها المشرقة .

ورأيت آلاف الزّائرين يتقاطرون على حرمها الشريف من مختلف بقاع الأرض يقصدون التّقرب الى الله (تعالى) بزيارتها ، ويعبّرون عن عظيم حبّهم وولائهم

لها ولأسرتها النّبويّة الكريمة .

لكن أكثر هؤلاء الزائرين كانوا يعانون من قلّة المعرفة وضعف الاطّلاع على حياة السيدة زينب (ع) وأبعاد شخصيّتها العظيمة .

بالطّبع فإنّ مستوى الفائدة والثّواب من الزيارة يترتّب على مستوى المعرفة بشخصية المزور كما ورد ذلك في العديد من النصوص والرّوايات التي تتحدّث عن ثواب وفضل زيارات قبور الأولياء ومشاهد أئمة الهدى (عليهم السلام) حيث تجعل المعرفة شرطاً في حصول كامل الفائدة والثّواب كالحديث الوارد عن الإمام الصّادق (عليه السلام) حول زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) :

« من زار الحسين عارفاً بحقّه كتب الله له ثواب ألف حجّة » .

وما ورد عن الإمام علي بن موسى الرّضا (عليه السلام) :

« ما زارني أحد من أوليائي عارفاً بحقّي الاّ تشفعّت فيه يوم القيامة » .

ومن الواضح انّ المعرفة بالإمام أو الولي تدفع الانسان للاقتداء به واستلهام القيم الخيّرة من حياته .

وقد يرغب الكثيرون في التعرّف على شخصيـة السيدة زينب وخاصّة زوّار مرقدها الشريف ، لكن وسائل هذه المعرفة وأدواتها ليست في متناول أيدي الجميع .

فمن المتداول في البلدان المتقدّمة أنّك حينما تزور متحفاً أو معلماً تاريخياً أو مقاماً لتخليد شخصية معيّنة ، فانّ وسائل التعريف بذلك المكان أو تلك الجهة متوفّرة عند البّوابة أو المدخل من كتب ونشرات مصوّرة وافلام ومرشدين سياحيين يشرحون لك ما تشاهده وتتساءل عنه .

فلماذا لايتوفّر عندنا شيء من هذا القبيل لإفادة الزائرين لمقامات الأئمة والأولياء ومعالم تاريخنا المجيد ؟ .

من هذا المنطلق ، وبدافع الأداء لبعض حقّ السيدة زينب ، شرعت في اعداد هذا الكتاب، لأُقدّم من خلاله صورة واضحة مبسّطة عن حياة السيدة زينب(ع) وابعاد شخصيّتها العظيمة .

بالتأكيد فانّ التاريخ لم يحتفظ لنا بكلّ تفاصيل حياة السيدة زينب(ع)، كما أنّ بعض جوانب سيرتها أصبحت مسرحاً لأختلاف الرُّواة والمؤرّخين كتحديد زمان ومكان وفاتها وتعيين مدفنها وقبرها.

وقد اطّلعت حين اعداد هذا الكتاب على مجموعة من المؤلفات والكتابات عن شخصية السيدة زينب وحياتها ، وكان في بعضها جودة وفائدة ، لكن اعتماد بعض المؤلفين على الرّوايات غير الموثوقة ، والمصادر الضّعيفة واتباع طريقة السّرد التاريخي والقصصي دون أيّ تحليل أو استنتاج ، ودون تركيز على المواقف والجوانب الأساسية في شخصيتها وسيرتها . . كلّ ذلك يجعل استفادة القارىء محدودة ، والمعرفة التي يكسبها عن السيدة زينب غير وافية .

واذا كان الالمام بسيرتها ، أو ابراز كامل حقيقة شخصيتها أمراً صعب المنال ، فانّ المطلوب هو بذل الجهد لرسم أجلى صورة عن ملامح شخصيتها العظيمة وسيرتها العطرة .

وهذا ما حاولته في هذه السّطور مع اعترافي المسبق بالقصور والتّقصير أسأل الله (تعالى) القبول .

وأن يجعلنا من السائرين على خطى السيدة زينب وعلى نهج أُسرتها النّبوية الطّاهرة . . وأن يكفينا الاسواء بحقهم وأن يحشرنا يوم القيامة في زمرتهم إنّه ولي التوفيق والحمد .

حسن الصفار
١٤١٣/١١/١٠ هـ
١٩٩٣/٥/٢ م

اشرف عائلة

حسب الانسان ونسبه ، وانتماؤه العائلي ، له أهميّة كبيرة في شخصية الإنسان ، وفي نظرة الآخرين اليه . فهو عامل مؤثر في صياغة نفس الأنسان وفي توجيه سلوكه ومسار حياته .

وقد أثبتت العلوم الحديثة عبر دراسة الجينات والكروموسومات الموجودة في الخليّة الحيّة ما يخلقه العامل الوراثي من قابليّة واستعداد في نفس الانسان . فانّه اذا ما انحدر من أُسرة شريفة ، وعائلة كريمة فإنّ ذلك يخلق في نفسه أرضيّة واستعداداً لتقمّص صفات أسرته وعائلته ، وعكس ذلك لو كان ينتمي لعائلة فاسدة ، وأسرة منحرفة فانّ انشداده وميله للانحراف والفساد يكون أقوى .

بالطّبع تلك قاعدة للأعمّ الأغلب ، ولا تمثّل حتمية كلية ثابتة . كما أنّ للبيئة والتربية والظروف المحيطة بالانسان دورها في تنمية تأثيرات العامل الوراثي أو كبحها عبر ارادة الانسان وحرية اختياره .

هذا عن التأثير الذاتي لعامل الحسب والنّسب ، أمّا التأثير الأجتماعي فانّ من الطبيعي ان يأخذ النّاس في الاعتبار عند نظرتهم للشخص تاريخ أهله وعائلته ،

وذلك من زاويتين :

الأولى :ـ توقّعهم مشابهة الفرد لأهله وأسرته ، فهم يرجون منه الخير والصّلاح ان كان منبته طيّباً . ويحذرون منه السّوء والانحراف ان كان أصله فاسداً . لما يلحظه الناس من تأثير العامل الوراثي غالباً .

يقول الإمام علي (عليه السلام) :ـ « عليكم في طلب الحوائج بشراف النفوس ذوي الأصول الطّيّبة ، فانّها عندهم اقضى وهي لديهم أزكى[1] .

ويقول ـ أيضاً ـ موصياً مالك الأشتر :ـ « ثم إلصق بذوي المروءات والأحساب ، وأهل البيوتات الصّالحة ، والسّوابق الحسنة . . فانّهم جماع الكرم ، وشعب من العرف »[2] .

والثانية :ـ انّ الفرد يعتبر امتداداً لأهله وأُسرته ، فاذا كانت عائلته ذات فضل واحسان للمجتمع فانّ الوجدان يدفع الناس لمقابلة ذلك الفضل والاحسان باحترام أبناء العائلة المحسنة ، وعكس ذلك لو انتمى الفرد لعائلة سيّئة أصاب الناس منها الأذى والضرر ، فانّ حسّ الأنتقام سيدفعهم لأهمال أبناء تلك العائلة وتجاهلهم على الأقلّ .

تقول السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) : « أما كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أبي يقول : (المرء يحفظ في ولده)[3] .

من هذا المنطلق سنبدأ حديثنا عن السيدة زينب(ع) بتسليط الأضواء على حسبها ونسبها .

فإنّها قد انحدرت من أشرف حسب ، وانتمت الى أفضل عائلة في تاريخ

---

(١) (الطفل بين الوراثة والتربية) محمد تقي فلسفي ج١ ، ص٨٣ .
(٢) (نهج البلاغة) الإمام علي(ع) كتاب رقم: ٥٣ .
(٣) (فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد) محمد كاظم القزويني ص٤٤٩ .

البشر . ممّا يعني امتلاكها لأعلى درجة من القابليّة والاستعداد لتقمّص رداء الفضيلة ، وتسنّم ذروة المجد ، وقد تجسّد ذلك الاستعداد فعلاً وسلوكاًفي حياتها وسيرتها .

من ناحية أخرى فانّ البشرية المجبولة بطبعها على احترام الصالحين المحسنين ، واحترام ذرياتهم تبعاً لذلك لابدّ وان تعرف البشرية للسيدة زينب مكانتها ، وتُبدي اتجاهها أعلى مستوى من الاحترام والاكبار وعرفاناً بحق عائلتها وتقديراً لخدمات اسرتها على الناس عامة وعلى المسلمين خاصة ، هذا فضلاً عن الجدارة الذاتية للسيدة زينب (عليها السلام) .

بالطبع فان كل حلقة من حلقات نسبها الشريف تستدعي التوقف اجلالاً واكباراً لكننا سنقتصر على ذكر أقرب الحلقات لها .

جدها الرسول الأعظم (ص) (٥٧٠ م ـ ٦٣٢ م) : انه أعظم رسل الله وأفضل أنبيائه نبينا محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله)، وهو القائل عن نفسه بحق : « أنا سيد ولد آدم ولافخر »[٤] .

وفي حديث آخر يقول (صلى الله عليه وآله) : « فأنا أتقى ولد آدم ، وأكرمهم على الله جلّ ثناؤه ولافخر »[٥] .

واذا كنا نحن المسلمين نعتقد بأفضلية النبي محمد (ص) على جميع الخلق والبشر من منطلق ديني ، فإنّ علماء ومفكرين لايدينون بالاسلام وجدوا انفسهم مضطرين للاعتراف بالتميز والتفوق للنبي محمد (ص) على جميع عظماء البشر .

فهذا الدكتور (مايكل هارت) الاميركي الجنسية والمولد والحاصل على شهادة ليسانس في الرياضيات من جامعة كورنيل عام (١٩٥٢ م) وشهادة ليسانس في القانون من جامعة نيويورك عام (١٩٥٨ م) ، وشهادة ماجستير في العلوم من

---

(٤) (بحار الأنوار) المجلسي ج١٦ ، ص٣٢٥.

(٥) المصدر السابق ج١٦ ، ص٣١٥.

جامعة اديلفي عام (١٩٦٩ م) وشهادة دكتوراه في الفلك من جامعة برينستون عام (١٩٧٢ م) والذي عمل في مركز أبحاث الفضاء في غرين بلت في ميريلاند ، وفي المركز القومي لأبحاث طبقات الجو في كولورادو وفي أكبر مرصد للأفلاك في كاليفورنيا في باسادينا (مرصد هيل) وهو أحد العلماء المعتمدين في الفيزياء التطبيقية وعضو الجمعية الفلكية وفروعها في علوم الكواكب ، هذا الرجل المسيحي ألّف كتاباً يقع في (٥٧٢ صفحة) من الحجم الكبير تناول فيه دراسة حياة المائة الأوائل من تاريخ البشرية ونشره عام(١٩٧٨ م) في الولايات المتحدة وأحدث ضجة هناك مالبثت ان انتقلت الى أنحاء كثيرة في العالم .

وقد وضع المؤلف شخصية النبي محمد(ص) على رأس القائمة، واعتبره أهم شخصية في تاريخ البشر .

(إنّ اختيار المؤلف لمحمد (ص) ليكون على رأس القائمة التي تضمّ الاشخاص الذين كان لهم أعظم تأثير عالمي في مختلف المجالات ، انّ هذا الاختيار ربما أدهش كثيراً من القراء الى حد أنه قد يثير بعض التساؤلات ، ولكن في اعتقاد المؤلف انّ محمداً (ص) كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي .

لقد أسّس محمد (ص) ونشر أحد أعظم الأديان في العالم ، و أصبح أحد الزعماء العالميين السياسيين العظام ، ففي هذه الأيام و بعد مرور ثلاثة عشر قرناً تقريباً على وفاته فإنّ تأثيره لايزال قوياً وعارماً)[٦] .

هذا هو جد زينب (ع) والذي فتحت عينيها في احضانه، وسنرى علاقته بها وعلاقتها به .

أبوها ـ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) (٢٣ قبل الهجرة ـ ٤٠ هـ) .

---

(٦) (دراسة في المائة الأوائل) الدكتور مايكل هارت.

وإذا كان النبي محمد (صلى الله عليه وآله) هو الشخصية الاولى في تاريخ البشر والنموذج الأفضل والأرقى للانسان فان علي بن ابي طالب (ع) يحتل المكانة الثانية في العظمة بعد رسول الله (ص) ، وهذا مايؤكد عليه القرآن الحكيم حيث نصّ على أنّ علياً نفس الرسول كما هو صريح آية المباهلة :ـ ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾(٧) .

فقد ذكر المؤرخون والمحدثون والمفسرون أنّ الآية نزلت لدعوة نصارى نجران للمباهلة وأنّ النبي (صلى الله عليه وآله) اختار للمباهلة علياً وفاطمة وولديها الحسن والحسين عليهم السلام وخرج بهم وقال :ـ

« ان أنا دعوت فأمّنوا أنتم »(٨) .

وبذلك فعلي (ع) هو المقصود بـ (أنفسنا) في الآية الكريمة كما أنّ فاطمة هي مصداق (نساءنا) والحسنان (أبناءنا) .

وقد تحدث رسول الله (صلى الله عليه وآله) في موارد عديدة وكثيرة لكي يبين افضلية الإمام علي (ع) وموقعيته الخاصة لديه والتي لايدانيه فيها أحد وهذه بعض النماذج من أقواله وأحاديثه تلك :ـ

« علي عتبة علمي ، أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب »(٩) .

« أنا وعلي من شجرة واحدة ، وسائر الناس من أشجار شتّى ، إنّ علياً مني

---

(٧) سورة آل عمران، الآية(٦١).

(٨) (التفسير المنير) وهبة الزحيلي ج٣، ص٢٤٨.

(٩) (اخلاقيات أمير المؤمنين) هادي المدرسي ص٥١٣، نقلاً عن (تاريخ ابن عساكر) ج٢، ص٩٨٣.

وأنا منه ، لحمه من لحمي ودمه من دمي »[10] .

« علي مني بمنزلة هارون من موسى »[11] .

« من كنت مولاه فهذا علي مولاه »[12] .

« ياعلي لولا أن أخاف أن تقول فيك طائفة من امتي ، ما قالته النصارى في عيسى بن مريم ، لقلت فيك كلمة لاتمرّ بها على ملأ الّا وأخذوا من تراب نعليك ، ومن طهورك مايستشفون به ، ولكن حسبك انّك مني وأنا منك وأنت أخي وصاحبي »[13] .

هذا اضافة الى أنّه أوّل من آمن برسول الله (ص) ، وأوّل من ضرب بالسيف في سبيل الله، وأوّل من لبّى وأجاب وأعلن نصرته لرسول الله(ص)، وأوّل من قاتل وجاهد وهاجر بعد رسول الله(ص)، ومن يقرأ تاريخ الدعوة الاسلامية يرى دور علي(ع) هو الأساس في ظهور الاسلام بعد دور النبي(صلى الله عليه وآله)، وتتجلى شخصيته كالعنصر والعامل الثاني بعد رسول الله(ص) في دوره ومواصفاته وعلاقته بالرسول.

(٣) أمّها ـ فاطمة الزهراء (عليها السلام) (٨ قبل الهجرة ـ ١١ هـ) .

المرأة في بعدها الانساني العام الذي تشترك فيه مع الرجل على قدم المساواة ، يكون مثلها الأعلى وقدوتها الأولى هو خير البشر النبي محمد (ص) . أمّا في جانبها الانثوي الخاص فيبدو من النصوص الثابتة عند جميع المسلمين انّ المقام الأرفع للمرأة في تاريخ البشرية قد تبوأته سيدتنا فاطمة الزهراء (عليها السلام)

---

(١٠) المصدر السابق، نقلاً عن (سنن ابن ماجة) ج١، ص٦٤٤.
(١١) المصدر السابق ص٥١٤، نقلاً عن (صحيح البخاري) ج٢، ص٣٠٠.
(١٢) المصدر السابق، نقلاً عن (تاريخ ابن عساكر) ج٢ ص٢٨٠.
(١٣) المصدر السابق، نقلاً عن (أعيان الشيعة) ج٢، ص٢٠٦.

فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين .

ففي رواية عن عائشة زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله) قالت : قال رسول الله : « فاطمة سيدة نساء أهل الجنة »[١٤] .

وعن حذيفة (رضي الله عنه) قال :ـ

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :ـ « نزل ملك من السماء فاستأذن الله ان يسلم عليّ لم ينزل قبلها فبشّرني أنّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنة »[١٥] .

وعن عائشة أنّ النبي (ص) قال وهو في مرضه الذي توفي فيه :ـ

« يافاطمة الاترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء هذه الامة »[١٦] .

وعن ابن مسعود قال :ـ قال رسول الله (ص) :ـ « خير رجالكم علي وخير شبابكم الحسن والحسين وخير نسائكم فاطمة » رواه الخطيب وابن عساكر[١٧] .

وكذلك ماأخرجه جماعة من الحفظة وأهل الضبط ممن حملوا العلم بأسانيده وطرقه كابن عبد البر في ترجمتها (عليها السلام) من (الاستيعاب) أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) عادها وهي مريضة فقال :ـ كيف تجدينك يابنية ؟ قالت :ـ إني لوجعة وانّه ليزيدني اني مالي طعام آكله ! قال :ـ يابنيّه أما ترضين انّك سيدة نساء العالمين ؟ .

قالت :ـ ياأبة فأين مريم بنت عمران ؟ قال :ـ تلك سيدة نساء عالمها وأنت

---

(١٤) (رسالة فضل أهل البيت وحقوقهم) ابن تيمية ص٧٢.
(١٥) المصدر السابق ص١١٠ .
(١٦) المصدر السابق ص١١١ .
(١٧) المصدر السابق ص١٣٠ .

سيدة نساء عالمك[١٨] .

ويقرر الامام السيد عبد الحسين شرف الدين (رحمه الله) أفضلية الزهراء وتفوقها على كل بنات حواء قاطبة بما فيهن السيدة مريم بنت عمران (عليها السلام) فيقول :ـ

[وحسبك في تفضيل الزهراء انّها بضعة من سيد الانبياء ولا نعدل به ولا ببضعته أحداً من العالمين ، وقد وافقنا في تفضيلها جمهور المسلمين وصرح به كثير من المحققين نقل ذلك عنهم غير واحد من العلماء الباحثين المتتبعين ، كالمعاصر النبهاني حيث قال في احوال الزهراء من كتابه (الشرف المؤبد) ماهذا لفظه :ـ وصرح بافضليتها على سائر النساء حتى على السيدة مريم كثير من العلماء المحققين ومنهم التقي السبكي والجلال السيوطي والبدر الزركشي والتقي المقريزي . قال :ـ وعبارة السبكي حين سئل عن ذلك :ـ الذي نختاره وندين به أنّ فاطمة بنت محمد أفضل ، قال :ـ وسئل عن مثل ذلك ابن أبي داوود فقال :ـ إنّ رسول الله (ص) قال :ـ « فاطمة بضعة مني » ولاأعدل ببضعة رسول الله (ص) أحداً . ونقل المناوي : هذا عن جمع من الخلف والسلف][١٩].

(٤) أخواها ـ الحسن (ع) (٣ هـ ـ ٥٠ هـ) ، الحسين (ع) (٤ هـ ـ ٦١ هـ) .

ويكفي في فضلهما وشأنهما مارواه المسلمون عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في تبيين مكانتهما كالحديث الذي رواه حذيفة بن اليمان قال :ـ أتيت النبي فصليت معه الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم تبعته وهو يريد ان يدخل بعض حجره فقام وأنا خلفه كأنّه يكلم أحداً قال :ـ ثم قال :ـ من هذا ؟ .

قلت :ـ حذيفة .

---

(١٨)(الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء) عبد الحسين شرف الدين ص٨٠ .
(١٩) المصدر السابق ص٧٧ .

قال :ـ أتدري من كان معي ؟ .

قلت :ـ لا .

قال :ـ فانّ جبرئيل جاء يبشرني انّ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة[20] .

وعن يعلى بن اميّة قال :ـ جاء الحسن والحسين يسعيان الى رسول الله (ص) فأخذ أحدهما فضمّه الى إبطه وأخذ الآخر فضمّه الى إبطه الآخر ، وقال :ـ « هذان ريحانتاي من الدنيا من أحبّني فليحبهما »[21] .

وروى سلمان الفارسي قال :ـ سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول :ـ « الحسن والحسين ابناي من أحبهما أحبّني ومن أحبّني أحبّه الله ومن أحبّه الله أدخله الجنة ، ومن أبغضهما أبغضني ومن أبغضني أبغضه الله ومن أبغضه الله أدخله النار »[22] .

وممّا أشتهر بين المسلمين قوله (صلى الله عليه وآله) :ـ « الحسن والحسين امامان ان قاما وان قعدا »[23] .

وحياة الحسنين(ع) وسيرتهما سجلٌ عظيم رائع للمكارم والفضائل ، والتاريخ يكبر للامام الحسن(ع) موقفه السياسي الحكيم في الصلح مع معاوية ، وللإمام الحسين(ع) ثورته الخالدة التي أصبحت منبعاً يستلهم منه الأحرار والثائرون روح التضحية والبطولة والفداء .

وبعد هذا الاستعراض السريع لأهم أقرب الشخصيات للعائلة التي انحدرت

---

(٢٠) ترجمة الإمام الحسن من (تاريخ مدينة دمشق) ابن عساكر ص٧٢ .

(٢١) المصدر السابق ص٨٥ .

(٢٢) (حياة الإمام الحسن) باقر شريف القرشي ج١ ، ص٩٨ .

(٢٣) المصدر السابق، ص١٠٢ .

منها السيدة زينب(ع)، والذي اتضح لنا من خلاله عظمة وأفضلية كل قطب من أقطاب بيتها الطاهر يمكننا القول بثقة و اطمئنان انّ لاأحد يداني السيدة زينب في عراقة النسب وشرافة الحسب فهي أفضل الناس جداً وأباً وأماً وأخاً عدا عن بقية أطراف نسبها الطاهر . وينطبق عليها ماقاله رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حقّ أخويها الحسن والحسين(ع) حسب رواية ابن عباس انّ رسول الله(ص) أتى المسجد فقام والحسنان(ع) على عاتقيه ثم قال :

« معاشر المسلمين : ألا أدلّكم على خير الناس جداً وجدة ؟ قالوا : بلى يارسول الله .

قال : الحسن والحسين جدّهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) خاتم المرسلين ، وجدّتهما خديجة بنت خويلد سيدة نساء أهل الجنة .

ثم قال : ألا أدلكم على خير الناس عماً وعمة ؟ .

قالوا : بلى يارسول الله .

قال : الحسن والحسين عمّهما جعفر بن أبي طالب وعمتهما أم هاني بنت أبي طالب .

ثم قال : أيها الناس ألا أدلكم على خير الناس خالاً وخالة ؟ .

قالوا : بلى يارسول الله .

قال : الحسن والحسين خالهما القاسم بن رسول الله وخالتهما زينب بنت رسول الله .

ثم قال : اللهم إنّك تعلم انّ الحسن والحسين في الجنه وعمّهما في الجنة وعّمتهما في الجنة ومن أحبّهما في الجنة ومن أبغضهما في النار »[٢٤] .

---

(٢٤) المصدر السابق، ص١٠٠.

اشراقة النور

في السنتين الخامسة والسادسة للهجرة النبوية ، دخل المسلمون مرحلة جديدة تميزت بتثبيت الوجود والكيان الاسلامي بعد سنوات من النضال والمقاومة والمعاناة .

فقد بادر المسلمون في هاتين السنتين الى القيام بحملات عسكرية هجومية ضد أعدائهم الذين كانوا يتآمرون ويتهيئون للقضاء على القوة الاسلامية الناشئة ، وبذلك يكون المسلمون قد تجاوزوا مرحلة الدفاع الى مرحلة المبادرة والهجوم .

ومن الغزوات والسرايا التي حصلت خلال هاتين السنتين :

غزوة ذات الرقاع :-

والتي يروى أنّها حصلت في شهر المحرم من السنة الخامسة للهجرة ، حيث قاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أربعمائة رجلٍ من أصحابه للهجوم على جماعة من غطفان من بني محارب وبني ثعلبة بنجد حيث بلغه انّهم يعدّون العدّة لمحاربته[1] .

---

(١) (سيرة الرسول وخلفاؤه) السيد علي الحسني ج٣، ص٢٥٧.

غزوة دومة الجندل :-

وكانت في شهر ربيع الأول في السنة الخامسة للهجرة ، حيث هاجم رسول الله (صلى الله عليه وآله) على رأس ألف من أصحابه جمعاً من المشركين في منطقة قريبة من دمشق الشام حيث يفصل بينها وبين الشام مسير خمس ليال ، بينما تبعد عن المدينة مسير خمسة عشر يوماً ، ويبدو أنّ هذه الغزوة كانت بمثابة رسالة واشارة لقيصر ملك الروم كما يشير بعض المؤرخين[٢] .

غزوة بني المصطلق :-

وقعت في شهر شعبان من السنة الخامسة للهجرة ، وبنوا المصطلق بطن من خزاعة كانوا يقيمون في ناحية بين مكة والمدينة وقد علم المسلمون أنّ بني المصطلق يشترون الأسلحة والخيول استعداداً للهجوم على المسلمين ، فبادرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) في سبعمائة رجل من أصحابه فهزمهم[٣] .

غزوة الخندق أو (واقعة الأحزاب) :-

وهي من المعارك الحاسمة والفاصلة في تاريخ المسلمين ، حيث تآمر اليهود وقريش وغطفان والعديد من قبائل الكفّار المعادية وحشدوا لهم جيشاً كبيراً يقدر بعشرة آلاف رجل مع استعداد عسكري ضخم ، وقرروا الهجوم على المدينة وانهاء الوجود الاسلامي .

وأمام هذا الحشد الرّهيب الزّاحف نحو المدينة شاور الرسول (ص) أصحابه في الموقف وقرّروا حفر خندق حول المدينة يمنع هجوم الأعداء عليها وكانت تلك فكرة سلمان الفارسي (رضي الله عنه) .

وبالفعل فوجئت الأحزاب بهذه الخطّة ولم يستطيعوا اقتحام المدينة ، ولمّا اقتحم أبرز فرسان التحالف المعادي وهو عمرو بن عبد ودّ العامري والمعروف بقوّته

(٢) (تاريخ الاسلام) الحافظ الذهبي ـ كتاب المغازي ـ ص٢٥٨ .
(٣) المصدر السابق، ص٢٥٩ .

وشجاعته استقبله الإمام علي بن أبي طالب(ع) بشجاعة نادرة وتصاول معه ثم أرداه قتيلاً مّما أوقع الهزيمة في نفوس الجيوش المتحالفة وعادت خائبة.

وأكدت غزوة الخندق التي وقعت في شهر شوال في السنة الخامسة للهجرة مناعة الدولة الاسلامية وعجز الأعداء أمامها مهما تآمروا وحشدوا من قوة.

غزوة بني قريظة :ـ

وهم من اليهود وقد تآمروا مع الأحزاب ضدّ المسلمين في واقعة الخندق لذلك بادرهم النبي (صلى الله عليه وآله) بالهجوم بعد الخندق مباشرة أواخر شهر ذي القعدة للسنة الخامسة للهجرة ، وحاصرهم وكانوا متحصّنين في منطقتهم حوالي عشرين ليلة ، حتى استسلموا ، محكّمين أحد الصّحابة في أمرهم وهو سعد بن معاذ فحكم بقتل رجالهم المحاربين وسبي نسائهم وصارت أموالهم الكثيرة وأسلحتهم غنائم عظيمة للمسلمين[٤].

اضافة الى هذه المعارك الهامّة كانت هناك سرايا كثيرة خلال هاتين السنتين ، حيث بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعض فرق جيشه لمواجهة القوى المناوئة للمسلمين ، ومنها :

١ ـ سريّة نجد بقيادة محمد بن مسلمة في شهر المحرم السنة السادسة للهجرة[٥].

٢ ـ سرّية عكاشة بن محصن الى الغمر قرب المدينة في ربيع الأول السنة السادسة[٦].

٣ ـ سرّية أبي عبيدة الى ذي القصّة قرب المدينة[٧].

---

(٤) (الكامل في التاريخ) ابن الأثير، ج٢، ص١٨٥.
(٥) (المغازي) الحافظ الذهبي ص٣٥٠ ـ ٣٦١.
(٦) (المغازي) الحافظ الذهبي ص٣٥٠ ـ ٣٦١.
(٧) (المغازي) الحافظ الذهبي ص٣٥٠ ـ ٣٦١.

٤ ـ سرّية زيد بن حارثة الى بني سليم بالجموم قرب المدينة[٨] .

٥ـ سرية زيد بن حارثة الى الطرف[٩] .

٦ ـ سرية زيد بن حارثة الى العيص في شهر جمادي الأولى للسنة السادسة[١٠] .

٧ ـ سرية زيد بن حارثة الى جسمس خلف وادي القرى في شهر جمادي الثاني السنة السادسة[١١] .

٨ ـ سرية زيد بن حارثة الى وادي القرى بين الشام والمدينة في شهر رجب السنة السادسة[١٢] .

٩ ـ سرية علي بن أبي طالب الى بني سعد بن بكر بفدك في شهر شعبان للسنة السادسة[١٣] .

١٠ ـ سرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل في شهر شعبان أيضاً[١٤] .

١١ ـ سرية كرز بن جابر الفهري الى العرتين في شهر شوال للسنة السادسة[١٥] .

١٢ ـ سرية عبد الله بن رواحة الى اسير بن زارم اليهودي في شهر شوال أيضاً[١٦] .

---

(٨) (المغازي) الحافظ الذهبي ص٣٥٠ ـ ٣٦١ .
(٩) (المغازي) الحافظ الذهبي ص٣٥٠ ـ ٣٦١ .
(١٠) (المغازي) الحافظ الذهبي ص٣٥٠ ـ ٣٦١ .
(١١) (المغازي) الحافظ الذهبي ص٣٥٠ ـ ٣٦١ .
(١٢) (المغازي) الحافظ الذهبي ص٣٥٠ ـ ٣٦١ .
(١٣) (المغازي) الحافظ الذهبي ص٣٥٠ ـ ٣٦١ .
(١٤) (المغازي) الحافظ الذهبي ص٣٥٠ ـ ٣٦١ .
(١٥) (المغازي) الحافظ الذهبي ص٣٥٠ ـ ٣٦١ .
(١٦) (المغازي) الحافظ الذهبي ص٣٥٠ ـ ٣٦١ .

الى العديد من السرايا الأخرى . أمّا الحدث الأهم في السنة السادسة للهجرة على الصعيد العسكري والسياسي فكان صلح الحديبية حيث خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) في شهر ذي القعدة للسنة السادسة على رأس حوالي (١٥٠٠) من أصحابه قاصداً دخول مكّة للعمرة وزيارة البيت الحرام ، فكان في ذلك أحراج كبير لقريش ، ممّا دفعها للمفاوضات مع المسلمين والتي انتهت بعقد اتفاقية الصلح بين قريش والمسلمين والتي عرفت بصلح الحديبية ، وكان محتواها اعتراف قريش بكيان الإسلام ووجود المسلمين[١٧] وقد سمّاها القرآن الكريم فتحاً مبيناً ﴿ **إنّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبيناً** ﴾[١٨] .

وهكذا تجذّرت قوّة المسلمين خلال هذه الفترة ، واستثماراً لذلك وتتويجاً له بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) رسائل الى ملوك العالم ككسرى ملك الفرس وقيصر ملك الروم والنجاشي ملك الحبشة ، كما بعث للمنذر بن ساوى زعيم عبد القيس حاكم البحرين وجيفر بن جلندي وعباد بن جلندي صاحبي عُمان ، والى المقوقس صاحب الاسكندرية وغيرهم . . .وقد تضّمنت تلك الرسائل دعوة الملوك الى الاسلام وتعريفهم بدعوته وقد استجاب العديد منهم للدعوة واعتنق الاسلام مع قومه .

هذا على المستوى السياسي العام ، أمّا على المستوى الداخلي للمجتمع الاسلامي فقد كانت مبادىء الاسلام وقيمه تتعمّق في النفوس أكثر على حساب رواسب الجاهلية والكفر ، وكانت محاولات المغرضين غير الصّادقين في اسلامهم تفشل في إثارة النّعرات الجاهلية ، كما حصل في غزوة بني المصطلق من تحريض رأس النفاق ابن أُبي على الفتنة بين المهاجرين والأنصار لكن محاولته وئدت بوعي

---

(١٧) (سيرة الرسول وخلفائه) السيد علي الحسني ج٣، ص٤٠٧.

(١٨) سورة الفتح، الآية(١).

المسلمين وتصدّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

وكان للوحي الآلهي دور أساسي في انجاح عملية تجذير القيم الايمانية الجهادية في نفوس المسلمين ، حيث كان يكشف ويفضح الحالات النفاقية التي كانت تحصل في تلك الفترة من قبل بعض المنضوين تحت راية الاسلام ، ففي غزوة الخندق تخلّفت طائفة من المنافقين عن العمل في حفر الخندق بمبرّر الضّعف والعجز . كما أنّ البعض كان يتسلّل ويهرب خفية عن القيام بواجبه ، فنزل الوحي متحدّثاً عن هذه الظاهرة موبّخاً المنافقين كاشفاً لسلوكهم ، وذلك في أواخر سورة النور من قوله (تعالى) :ـ ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَئْذِنُوهُ ﴾ الى قوله (تعالى) : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[١٩] .

على الصعيد العائلي بالنسبة للرسول (صلى الله عليه وآله) فقد أضاف الى حياته العائلية بعض الزوجات خلال هاتين السنتين حيث تزوّج جويريّة بنت الحارث من سبايا غزوة المصطلق ـ التي سبق ذكرها ـ في شهر شعبان السنة الخامسة للهجرة .

كما تزوّج في السنة السادسة تقريباً ابنة عمته زينب بنت حجش بعد ان طلّقها زيد بن حارثة في قصّة مشهورة تحدّث عنها القرآن الكريم في سورة الأحزاب (آية ٣٧ وما بعدها) .

وقد أُضيفت هاتان الزوجتان الى زوجات خمس كنّ لدى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهنّ :

١ ـ سودة بنت زمعة .

---

(١٩) سورة النور، الآية(٦٢ ـ ٦٤).

٢ ـ عائشة بنت أبي بكر .

٣ ـ حفصة بنت عمر بن خطاب .

٤ ـ أم سلمة بنت أبي أميّة .

٥ ـ زينب بنت خزيمة[٢٠] .

ولم تنجب أيّ واحدة من هذه الزوجات لرسول الله (ص) شيئاً ومن الأحداث العائلية البارزة في بيت رسول الله (صلى الله عليه وأله) خلال هذه الفترة ، ما حصل لزوجته عائشة بنت أبي بكر عند رجوعها من غزوة بني المصطلق السّابقة الذكر حيث تخلّفت في الصحراء تبحث عن عقد لها أضاعته ، ولم يلتفت المسلمون وسار ركبهم ظانّين أنّها في هودجها فلمّا وصلوا المدينة لم يجدوها ! .

لكنّها فيما بعد لقيها أحد الصحابة في الطريق وهو صفوان بن المعطل السلمي فجاء بها الى المدينة . فوجد المنافقون فيما حصل فرصة سانحة لإثارة الشّكوك حول زوج رسول الله ، ممّا سبّب الأذى والحرج لرسول الله ، والذي أذن لعائشة أن تبقى آنذاك في منزل أبيها حتى نزل الوحي من الله يبرىء ساحتها في بضع آيات من سورة النّور وعرفت هذه القضية بقصة الإفك[٢١] .

وشهدت هذه الفترة صعوبة اقتصادية بالغة للمسلمين كما تشير بعض قصص غزوة الخندق[٢٢] وحتى الطبيعة بخلت عليها بمائها حيث أجدب النّاس جدباً شديداً فاستسقى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالنّاس في رمضان في السنة السادسة[٢٣] .

---

(٢٠) (الكامل في التاريخ) ابن الأثير، ج٢، ص٣٠٧.

(٢١) (سيرة الرسول وخلفائه) السيد علي الحسني ج٣، ص٢٨١.

(٢٢) المصدر السابق ص٣١٩.

(٢٣) (الكامل في التاريخ) ابن الأثير ج٢، ص٢١٠.

وفي هذه الفترة تألّق نجم علي بن أبي طالب(ع) أكثر في سماء المجتمع الإسلامي ، حيث حسمت شجاعته الرّائعة الموقف لصالح المسلمين في واقعة الخندق بقتله عمرو بن عبد ودّ العامري .

وكانت اشراقة النور بولادة السيدة زينب(ع) خلال هذه الفترة التي تحدّثنا عن أجوائها وظروفها وأوضاعها فانّ أقوال المؤرّخين قد اختلفت في تحديد تاريخ ولادتها ، والأرجح من أقوال المؤرّخين قولان :

السنة الخامسة في الخامس من شهر جمادى الأول أو السنة السادسة مطلع شهر شعبان[٢٤] .

أي بين سنتي : (٦٢٦م - ٦٢٧م) .

(٢٤) (زينب الكبرى) النقدي ص١٨ .

نشأة فريدة

لابّد وأنّ العائلة قد استبشرت وابتهجت بولادة السيدة زينب (عليها السلام)، لأنّها أوّل طفلة يحتفي بها بيت علي وفاطمة(ع) فقد سبق وان ازدان البيت الطّاهر بوليدين صبيين هما الحسن(ع) الذي وُلد منتصف شهر رمضان في السنة الثالثة للهجرة، والحسين(ع) الذي وُلد في الثالث من شعبان للسنة الرابعة من الهجرة، وتأتي الآن زينب(ع) في السنة الخامسة كما يرجّح ذلك المحققون[1] وبعد عام أو أكثر أنجبت السيدة الزهراء(ع) بنتاً أخرى هي أمّ كلثوم لتكون شقيقة لأختها زينب(ع).

وخلافاً لما كان منتشراً عند بعض العرب في الجاهلية من التّشاؤم والاستياء عند ولادة البنت واعتبارها مولودا ناقص القيمة والشأن، بل قد تسبّب لهم العار والفضيحة، كما أنها لا تنفعهم في المعارك والحروب، ولذلك كان بعضهم يئدها عند ولادتها بقتلها او بدفنها حيّة كما أشار الى ذلك القرآن الكريم بقوله: ﴿ **وَإِذاً بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثى ظَلَّ وَجْهُهُ مَسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ ، يَتَوارى مِنَ القَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا**

(١) (زينب الكبرى) النقدي ص١٨.

﴿بُشِّرَ بِهِ أَيُمسِكُهُ على هَونٍ أمْ يَدُسُّهُ في التُّرابِ ألاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[2] .

خلافاً لذلك فقد أرسى الإسلام ثقافة سلوكية جديدة في المجتمع الإسلامي تُدين تلك النظرة الأحتقارية للبنت وتجعلها مساوية في الشأن والقيمة للولد ، وأكثر من ذلك فانّ الرسول (صلى الله عليه وآله) كان يتحدّث عن البنات بايجابية أكبر ، ويربّي المسلمين على أن يكونوا أكثر احتفاءً وسروراً بقدوم البنت .

وننقل هنا بعض الأحاديث والنصوص الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآله) ، وعن الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) :

بُشّر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بابنة فنظر الى وجوه أصحابه فرأى الكراهة فيهم ، فقال : ما لكم ؟! ريحانة أشمّها ورزقها على الله (عزوجل) .

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبا بنات[3] .

عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « خير أولادكم البنات »[4] .

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : « نعم الولد البنات المخدّرات من كانت عنده واحدة جعلها الله ستراً من النار ، ومن كانت عنده اثنتان أدخله الله بهما الجنة ، ومن يكن له ثلاث أومثلهنّ من الاخوات وُضع عنه الجهاد والصدقة »[5] .

عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال : « من عال ابنتين او ثلاثاً كان معي في الجنة »[6] .

---

(٢) سورة النحل، الآيات(٥٨ ـ ٥٩).
(٣) (وسائل الشيعة) الحر العاملي ج١٥، ص١٠٢.
(٤) (بحار الأنوار) المجلسي ج١٠١، ص٩١.
(٥) المصدر السابق ص٩١.
(٦) (الطفل نشوءه وتربيته) مؤسسة البعثة ص٢٧٢.

وعنه (صلى الله عليه وآله) : « من كانت له ابنة واحدة كانت خيراً له من ألف جنة وألف غزوة وألف بدنة والف ضيافة »[7] .

عن الإمام موسى بن جعفر عن آبائه (عليهم السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « ومن يمن المرأة أن يكون بكرها جارية » يعني أول ولدها[8] .

عن ابن عباس قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها الى عياله كان كحامل صدقه الى قوم محاويج وليبدأ بالأناث قبل الذكور ، فانّه من فرّح أنثى فكأنّما أعتق رقبة من ولد اسماعيل[9] .

وسبب آخر يؤكّد على حتمية السّرور والأبتهاج الذي غمر البيت النبوي عند ولادة زينب هو المعرفة المسبقة التي أوحاها الله (تعالى) لرسوله (صلى الله عليه وآله) بالمكانة العظيمة والدور الريادي الذي ستقوم به هذه الوليدة في الأمة الإسلامية لذلك تشير احدى الروايات الى أنّ تسمية السيدة زينب (عليها السلام) قد تمت من قبل الله (تعالى) يقول العلامة الشيخ جعفر النقدي ما نصّه :

لّما ولدت زينب(ع) جاءت بها أمّها الزهراء (عليها السلام) إلى أبيها أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقالت: سمِّ هذه المولودة.

فقال : ما كنت لأسبق رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

وكان في سفر له ، ولّما جاء النبي (صلى الله عليه وآله) وسأله علي عن اسمها ، فقال : ماكنت لأسبق ربّي (تعالى) .

---

(٧) المصدر السابق ص٢٧٢ .

(٨) المصدر السابق ص٢٧٣ .

(٩) (بحار الأنوار) المجلسي ج١٠١ ، ص١٠٤ .

فهبط جبرئيل يقرأ على النبي السلام من الله الجليل ، وقال له : سمِّ هذه المولودة زينب فقد اختار الله لها هذا الاسم . ثم أخبره بما يجري عليها من المصائب ، فبكى النبي (صلى الله عليه وآله) .[10]

ولم يذكر الشيخ النقدي مصدر هذه الرواية ، لكن العلامة الشيخ محمد جواد مغنية نقل تلك الرواية في كتابه : (الحسين وبطلة كربلاء) عن جريدة (الجمهورية) المصرية (٣١-١٠- ١٩٧٢ م) للكاتب المصري يوسف محمود .

ويقول العلامة السيد محمد كاظم القزويني : سمّاها جدّها الرسول زينباً ، والكلمة مركبة من زين الأب)[11] .

وتتحدّث الكاتبة الأديبة عائشة بنت الشاطىء عن الأجواء التي سادت البيت النبوي عند ولادة السيدة زينب ، فتقول :

وبدا كأنّ كل شيء يعد الوليد بحياة سعيدة ، وأقبل المهنّئون من بني هاشم والصحابة ، يباركون هذه الزّهرة المتفتحة في بيت الرسول ، تنشر في المهد عبير المنبت الطّيب ، وتلوح في طلعتها المشرقة ووجهها الصبيح ، ملامح آباء وأجداد لها كرام .

لكنّهم فوجئوا - لو صدقت الأخبار - بظلال حزينة تلفّ المهد الجميل ! ظلال ربّما لا يكون لأكثرها مكان في كتاب تاريخ يكتب للتحقيق العلمي لكن لها مكانها في النفس البشرية ووقعها على الوجدان .

حدّثوا أنّ نبوءة ذاعت عند مولد الطفلة ، تشير الى دورها الفاجع في مأساة « كربلاء » وتحدث بظهر الغيب عمّا ينتظرها في غدها من محن وآلام .

كانت المأساة معروفة فيما يقولون ، قبل موعدها بأكثر من نصف قرن من

---

(١٠) (زينب الكبرى) النقدي ص١٦ .

(١١) (فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد) القزويني ص٢٢٩ .

الزمان ففي (سنن ابن حنبل ج ١ ص ٨٥) أنّ جبرئيل أخبر محمداً بمصرع الحسين وآل بيته في كربلاء .

وينقل ابن الأثير في (الكامل) أنّ الرسول (ص) أعطى زوجه أم سلمة تراباً حمله له أمين الوحي من التّربة التي سيراق فوقها دم الحسين وقال لها : اذا صار هذا التراب دماً فقد قتل الحسين .

وإنّ أم سلمة حفظت ذلك التراب في قارورة عندها فلما قتل الحسين صار التراب دماً ، فعلمت أنّ الحسين قتل واذاعت في الناس النّبأ .

وسوف نسمع المؤرخين بعد ذلك في حوادث عامي : (٦٠ ـ ٦١) يذكرون أنّ « زهير بن القين البجلي) وهو عثماني الهوى خرج من مكة بعد أن حجّ عام (٦٠) فصادف خروجه مسير الحسين الى العراق فكان زهير يساير الحسين الاّ أنّه لا ينزل معه ، فاستدعاه الحسين يوماً فشقّ عليه ذلك ، ثم أجابه فلما خرج من عنده أقبل على أصحابه ، فقال :

« من أحبّ منكم أن يتبعني والاّ فإنّه آخر العهد » .

ثم راح يروي لهم قصّة قديمة من عهدالرسول(ص) : قال انه خرج مع جماعة من المسلمين في غزوة لهم فظفروا وأصابوا غنائم فرحوا بها ، وكان معهم « سلمان الفارسي » فأشار الى أنّ الحسين سيقتل : ثم قال سلمان لأصحابه : « اذا أدركتم سيّد شباب أهل محمد فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معه ، منكم بما أصبتم اليوم من الغنائم .

قال ابن الأثير : وتوجه زهير ـ بعد أن حدّث أصحابه بحديث سلمان الفارسي ـ فودّع أهله وطلّق زوجته مخافة أن يلحقها أذى ، ولزم الحسين(ع) حتى قتل معه .

وكان الحسين(ع) فيما يروي المؤرخون يعلم منذ طفولته بما قدّر له ، كما كان دور أخته زينب حديث القوم منذ ولدت . فهم يذكرون أنّ سلمان الفارسي أقبل على

علي بن أبي طالب(ع) يهنئه بوليدته، فألفاه واجماً حزيناً، يتحدّث عمّا سوف تلقى ابنته في كربلاء.

وبكى علي الفارس الشجاع ذو اللواء المنصور، والملقّب بأسد الإسلام!.

أكانت هذه الروايات جميعاً من مخترعات الرّواة ومبتدعات السمّار؟ أكانت من اضافات المنقّبين وتصوّرات المتحدّثين عن الكرامات؟ أكانت من شطحات الواهمين ورؤى المغرقين في الخيال؟.

ذلك ما اطمأنّ اليه المستشرقون وقرّره «رونالدسون» في كتابه (عقيدة الشيعة)، و«لامنس» في (فاطمة وبنات محمد).

أمّا المؤرخون المسلمون فما يشك أكثرهم في أنّ هذه الروايات كلّها صادقة لا ريب فيها، وقلّ منهم من وقف عند خبر منها مرتاباً أو متسائلاً. وليس الأقدمون وحدهم هم الذين نزهوا مثل هذه الروايات عن الشك، بل انّ من كتّاب العصر من لا يقلّ عنهم ايماناً بتلك الظلال التي أحاطت بمولد زينب. فهذا الكاتب الهندي المسلم «محمد الحاج سالمين» يصف في الفصل الأول من كتابه (سيدة زينب sayyidah zeinab) كيف استقبلت الوليدة بالدموع والهموم، ثم يمضي ـ بعد أن ينقل بعض المرويات عن النّبوءة المشئومة ـ فيمثّل النبي العظيم(ص) وقد انحنى على حفيدته يقبّلها بقلب حزين وعينين دامعتين، عالماً بتلك الأيّام السّود التي تنتظرها وراء الحجب.

ويمضي «سالمين» فيتساءل: «ترى الى أيّ مدى كان حزنه حين رأى بظهر الغيب تلك المذبحة الشّنعاء التي تنتظر الغالي! وكم اهتّز قلبه الرقيق الحاني وهو يطالع في وجه الوليدة الحلوة، صورة المصير الفاجع المنتظر؟!»[١٣].

---

(١٢) (السيد زينب) عائشة بنت الشاطيء ص٢٨.

الأجواء العائلية

لاشكّ أنّ البيئة والأجواء العائلية التي ينشأ فيها الانسان تلعب دوراً أساسياً في بناء شخصيّته فهي التي تغرس في نفسه قيمها وافكارها ، وتربيه على سلوكياتها وعاداتها .

ولنلق الآن نظرة عابرة على الأجواء العائلية التي نشأت من خلالها السيدة زينب (عليها السلام) .

الوضع الحياتي المعيشي

قد تختلف تأثيرات حياة التّرف والرفاه على نفس الطفل عن تأثيرات حياة التقشّف والبساطة ، ففي الحالة الأولى ينشأ الطفل على الدّلع والدلال ، وينعدم لديه الشعور بقيمة الأشياء لتوفّرها أمامه ، ولا تنمو في نفسه حسّاسية ولا شفّافية تجاه حالات الفقر والحرمان لأنه لم يتذوّق مرارتها ، كما أنّ مشاكل الحياة قد تصدمه بقوة لعدم استعداده النفسي لمواجهة الصعوبات والمشاكل .

أمّا في الحالة الثانية فانّ شخصية الطفل قد تكون أكثر اتزاناً وأقوى جلداً ، وأقلّ استهانة بالأشياء والأمور ، وأقرب الى التفاعل النفسي مع الطبقات المحرومة والضعيفة في المجتمع .

كما أننا يجب أن نفرّق بين البساطة والتقشّف اللذين يفرضهما الفقر والحاجة وبينها في حالة الأختيار والطّواعية ، ففى أُولى الحالتين قد تسبّب حالة البساطة والتقشّف عند الأنسان وجود التطلّعات والتمنّيات لرغد العيش ورفاهية الحياة ، كما قد يتسرّب الى نفس الطفل شيء من عدم الارتياح تجاه الموسرين المترفين كارضية للحقد والحسد والانتقام .

بينما توجد حالة البساطة المختارة كنمط للحياة عند العائلة توجد المشاعر والانعكاسات الايجابية دون تلك السّلبيّات حيث يرى الطفل انّ عائلته تمتلك القدرة على الرفاه لكنها لا ترغبه لمنطلقات أخلاقية ، كما لو كانت العائلة تؤثر

الفقراء والمحتاجين ، وتجود على الضعفاء والمعوزين .

والسيدة زينب نشأت في أفضل جو عائلي من هذا الجانب فأسرتها لم تكن فقيرة معوزة ، فلربّما سمعت زينب في فترة طفولتها عن ثروات جدّتها خديجة ، كما ترى الموقع القيادي لجدّها رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث ولدت ونشأت في فترة الانتصارات العسكرية والسياسية والتي كانت تعود على المسلمين بالغنائم الكثيرة ولجدّها النبي (صلى الله عليه وآله) فيها التصرّف المطلق الى جانب استعداد المسلمين لبذل كل امكانياتهم ووضعها تحت تصرّف رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

وتلاحظ السيدة زينب امتلاك عائلتها لبعض الأمكانيات ثم تنازلها عنها لصالح الآخرين ، ويخلد القرآن الحكيم نموذجاً لهذه الحالة عند عائلة زينب مشيداً بها في سورة الأنسان ، حيث يقول (تعالى) : ﴿ **يُوفُونَ بالنَّذْرِ وَيخافُون يوماً كَانَ شَرُّهُ مَستَطِيراً ، وَيُطعِمُونَ الطَّعامَ على حُبهِ مِسكيناً ويتيماً وأسيراً ، إنَّما نُطعِمكم لوجه الله لا نُريدُ مِنكم جزاءً وَلَا شُكُوراً** ﴾[13] .

ففي كثير من التّفاسير أنّ هذه الآيات نزلت في حقّ أهل البيت (عليهم السلام) ونثبت منها عبارة الرازي بنصّها :

ذكر الواحدي من أصحابنا ـ أي السنّة ـ وصاحب (الكشاف) من المعتزلة : انّ الحسن والحسين مرضا فعادهما الرسول في أناس معه ، فقالوا : ياأبا الحسن لو نذرت على ولدك .

فنذر علي وفاطمة وجارية لهما إن شفاهما الله تعالى أن يصوموا ثلاثة أيّام ، فشفيا فاستقرض علي ثلاثة اصوع من شعير ، فطحنت فاطمة صاعاً ، واختبزت خمسة أقراص على عددهم ، ووضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل ، فقال : السلام عليكم ياهل بيت محمد مسكين أطعموني ، أطعمكم الله من

(١٣) سورة الإنسان، الآيات(٧ ـ ٩).

الجنة .

فآثروه ولم يذوقوا الاّ الماء ، وأصبحوا صائمين ، فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف يتيم فآثروه ، وجاءهم اسير في الليلة الثّالثة ، ففعلوا مثل ذلك ، فلما أصبحوا ابصرهم رسول الله يرتعشون كالفراخ ، فقال : ما أشدّ ما يسوءني ما أرى بكم .

فنزل جبرئيل وقال : خذها يامحمد هّناك الله في أهل بيتك ، فاقرأ هذه السورة[١٤] .

وقد سجّل الشيخ الأميني في موسوعته (الغدير) قائمة تحتوي على المصادر التي روت هذه الحادثة من كتب التّفسير والحديث لأهل السنّة والجماعة بلغت (٣٤ مصدراً)[١٥] .

ونموذج آخر تسجّله الروايات يعطينا صورة عن بساطة الحياة والزهد المتعمّد الذي اختارته عائلة زينب انطلاقاً من منهجية خاصة في فهم الحياة والتعامل معها .

عن زرارة عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال : كان رسول (صلى الله عليه وآله) اذا أراد سفراً سلّم على من أراد التّسليم عليه من أهله ، ثم يكون آخر من يسلّم عليه فاطمة ، فيكون وجهه الى سفره من بيتها ، واذا رجع بدأ بها ـ أي يزورها قبل كلّ أحد ـ فسافر مرّةو وقد أصاب علي شيئاً من الغنيمة ورفعه الى فاطمة ، فأخذت سوارين من فضة ، وعلّقت على بابها ستراً ـ أي ألبست الباب ثوباً للزينة ـ فلما قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله) دخل المسجد ، فتوجّه نحو بيت فاطمة كما كان يصنع ، فقامت الى أبيها صبابة وشوقاً اليه ، فنظر فاذا في يدها سواران من فضة واذا على بابها ستر ، فقعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)

(١٤) (التفسير الكاشف) محمد جواد مغنية ج٧، ص٤٨٣ .
(١٥) (الغدير) عبد الحسين الأميني ج٣، ص١٠٧ ـ ١١١ .

حيث ينظر اليها ، فبكت فاطمة وحزنت وقالت : ما صنع هذا بي قبلها .

فدعت ابنيها ، فنزعت السّتر عن بابها ، وخلعت السّوارين من يديها ثم دفعت السّوارين الى أحدهما والسّتر الى الآخر ، ثم قالت لهما :

انطلقا الى أبي فأقرئاه السلام وقولا له : ما أحدثنا بعدك غير هذا فشأنك به .

فجاءاه فأبلغاه ذلك عن أمهما ، فقبّلهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) والتزمهما وأقعد كلّ واحد منهما على فخذه ، ثم أمر بذينك السّوارين فكسّرا فجعلهما قطعاً ، ثم دعا أهل الصفة وهم قوم من المهاجرين لم يكن لهم منازل ولا أموال فقسمه بينهم .

وروى ابن شاهين في (مناقب فاطمة) عن أبي هريرة وثوبان هذا الحديث مع تغيير يسير الى أن قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) فعلت فِداها أبوها ـ ثلاث مرات ـ مالآل محمد والدنيا ؟ فانّهم خلقوا للآخرة وخلقت الدنيا لهم .

وفي رواية أحمد بن حنبل : فانّ هؤلاء أهل بيتي ولا أحبّ أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا .

وقد روى هذا الحديث الخطيب العمري في (مشكاة المصابيح) و الطبري في (ذخائر العقبى) والنّوري في (نهاية الارب) والقندوزي في (ينابيع المودّة) والطبراني في (المعجم الكبير) ، والزبيدي في (أتحاف السادة) وغيرهم(١٦) .

لم تكن عائلة زينب تمتلك بيتاً تقطنه لكن أحد الصحابة المتمكّنين من أهل المدينة وهو (حارثة بن النعمان) وضع أحد منازله تحت تصرّف علي حينما اراد الزواج من بنت الرسول فاطمة ، وبعد فترة بنى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيتاً ملاصقاً لمسجده له باب شارع الى المسجد ، كبقية الحجرات التي بناها لزوجاته ، وانتقلت عائلة زينب الى ذلك البيت الجديد الملاصق لبيت الله المجاور

---

(١٦) (الزهراء من المهد إلى اللحد) القزويني ص٢٧٩ .

لبيت رسول الله (صلى الله عليه وآله)[١٧] .

ويُروى أنّ سلمان الفارسي رأى فاطمة الزهراء مرّة فبكى ، وقال : إنّ قيصر وكسرى في السّندس والحرير وابنة محمد في ثياب بالية[١٨] .

الأنسجام والمحبة

لماذا نرى بعض الناس وديعين أليفين قادرين على التعاون والأنسجام مع الآخرين ، ونرى البعض الآخر عدائيين مزعجين يتعاملون مع الآخرين بخشونة وقسوة ؟ .

إنّ من أبرز العوامل والأسباب التي تؤثّر في صنع نفسية الأنسان وتوجيهها نحو الإلفة والوداعة أو العداء والإساءة ، هي الأجواء العائلية التي يعيشها الأنسان في طفولته ، فاذا عاش الطفل جواً عائلياً تسوده المحبّة والأنسجام فانّه يتربّى ضمن ذلك النّموذج ، أمّا اذا ما نشأ في أجواء المشاحنة والبغضاء بين أبيه وأمه ، أو بينه وبين والديه ، أو فيما بين اخوته ، فانّ ذلك يزرع في نفسه بذور الحقد والقسوة ، ويدفعه لممارسة العنف والأيذاء دفاعاً عن ذاته وحقوقه .

يقول الأستاذ الفلسفي : « إنّ سلوك جميع أفراد البشر وأساليب معاشرتهم مع الناس انما هو خلاصة للأساليب التّربوية التي اتّخذت معهم في دور الطفولة ، من قبل الآباء أو الأمهات في الأسرة أو من قبل المعلمين في المدرسة . فكلّ خير أو شر لقّنوه إيّاهم في أيام الطفولة يظهر على سلوكهم عند الكبر ، وعندما يصبحون أعضاء في هذا المجتمع الإنساني الكبير وبعبارة أخرى فانّ الوضع الروحي والخُلقي والسلوكي للناس في كل عصر إنّما هو حصيلة البذور التربوية التي نثرت في أدمغتهم أيام الطفولة »[١٩] .

---

(١٧) (الزهراء من المهد إلى اللحد) القزويني ص١٨٨ ـ ٢١٣ .

(١٨) (مع بطلة كربلاء) محمد جواد مغنية ص٢٥ .

(١٩) (الطفل بين الوراثة والتربية) محمد تقي فلسفي ج٢ ، ص٧٠ .

لذلك يؤكّد الإسلام على أن يغمر الأطفال بالعطف والحنان وأن يتعامل معهم الوالدان بالمحبّة والشفقة ، وأن يجنبوا ابناءهم حصول المشاكل أمامهم .

وقد عاشت السيدة زينب وترعرعت في جو يغمره العطف والحنان وتسوده المحبّة والإنسجام ، فعمدا البيت وقطباه علي وفاطمة والدا زينب كانت علاقتهما قمّة في الصفاء والحب لا تدانيها أيّة علاقة زوجية في تاريخ البشر .

يقول الإمام علي (عليه السلام) عن حياته مع الزهراء (عليها السلام) :

« فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله (عزوجل) ولا أغضبتني ولا عصت لي أمراً ، لقد كنت أنظر اليها فتنكشف عنّي الهموم والأحزان »[20] .

وفي آخر ساعة من حياتها تخاطب الزهراء علياً (عليهما السلام) قائلة : .

« يابن عم ! ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني » ؟! .

فيجيبها الإمام علي : « معاذ الله أنت أعلم بالله وأبّر وأتقى وأكرم وأشد خوفاً من الله من أن أُوبّخك بمخالفتي »[21] .

الأجواء الرسالية

نشأت العقيلة زينب ضمن عائلة قد نذرت نفسها للجهاد في سبيل الله ، وتربت في أجواء رسالية ما كان يدور فيها غير الأهتمامات القيمية المبدئية ، فجدّها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) قاد بنفسه حوالي (٢٨ غزوة ومعركة)[22] وأبوها الإمام علي (عليه السلام) رافق الرسول (ص) في جميع تلك المعارك عدا

(٢٠) (فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد) القزويني ص٢١٢ .
(٢١) المصدر السابق ص٦٠٩ .
(٢٢) (الرسول القائد) محمود شيت خطاب ص٤٣١ .

واحدة وهي غزوة تبوك حيث تخلّف بأمر من رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

كما قاد الإمام بنفسه العديد من السّرايا والمعارك المحدودة .

إنّ ذلك يعني أنّ بيت زينب وعائلتها كانوا يعيشون ظروف الجهاد في أغلب فترات حياتهم ، فحينما يغادرهم الجدّ أو الأب الى ساحة المعركة فستكون نفوسهم منشدّة ومرتبطة بما يدور على ساحات القتال .

ولا يقتصر الأمر على تفاعل الأسرة مع قضايا الحرب والجهاد بل انها كانت معنيه بكلّ أوضاع المجتمع ، فعائلة زينب هي في موقع القيادة والقلب .

وهكذا عاشت السيدة زينب (عليها السلام) فترة طفولتها في بيت تتموّج فيه هموم مجتمعها ، وفي أجواء مفعمة بالمسؤولية والتضحية.

الفاجعة الكبرى

بعد خمس سنوات عاشتها زينب في كنف عائلتها الحنون ، وفي ظلّ أجواء المحبّة والعطف ، حيث كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يظلل بيت زينب برعايته ، ويغمر أفراد ذلك البيت بعنايته واجلاله . فلا يكاد يمرّ يوم لا يلتقي فيه محمد بأهل بيته ، واذا ما سافر كان بيتهم آخر محطّة ينطلق منها لسفره ، واذا ما عاد كان بيتهم أوّل منزل يدخله .

روى الحاكم في (المستدرك) بسنده عن أبي ثعلبة الخشني : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) اذا رجع من غزوة أو سفر أتى المسجد فصلّى فيه ركعتين ثم ثنّى بفاطمة ثم ياتي أزواجه .

وبسنده عن ابن عمران : انّ النبي (صلى الله عليه وآله) كان اذا سافر كان آخر الناس عهداً به فاطمة ، واذا قدم من سفر كان أوّل الناس به عهداً فاطمة »[23] .

---

(٢٣) (أعيان الشيعة السيد محسن الأمين) ج١ ، ص٣٠٧ .

ويقول الشيخ مغنية : وكان النبي لا يصبر عن بيته هذا ، ولا يشغله عنه شاغل ، بخاصّة بعد ان نبتت فيه رياحينه ، فاذا دخله قبّل هذا ، وشمّ ذاك وابتسم لتلك . . . ودخله ذات يوم فأخذ الحسن وحمله ، فأخذ علي الحسين وحمله ، فأخذت فاطمة زينب وحملتها(٢٤) ، فإهتزّت أركان البيت طرباً لجوّ الصفوة المختارة ، وابتهاج الرسول بآله وابتهاجهم به ، وتدلّنا هذه الظّاهرة وكثير غيرها أنّ محمداً كان أكثر الأنبياء غبطة وسعادة بأهل بيته »(٢٥) .

وشاء الله (سبحانه وتعالى) أن يكون حظّ السيدة زينب من تلك الحياة الهانئة السعيدة محدوداً بالسنوات الخمس الأولى من حياتها ، فما ان دخلت السنة الحادية عشر للهجرة ، وتصرّمت أيّام شهرها الثاني شهر صفر ، الاّ وشمس السّعادة في بيت زينب قد آذنت بالغروب ، فرسول الله (صلى الله عليه وآله) يلبّي نداء ربّه ويفارق الحياة ويلتحق بالرفيق الأعلى في الثّامن والعشرين من شهر صفر سنة (١١ هـ) .

واذا كان فقد رسول الله (صلى الله عليه وآله) يشكّل صدمة كبرى وفاجعة مهولة عظمى على المسلمين جميعاً فانّه ولا شكّ أشّد وقعاً وأعظم أثراً على أهل بيته الملتصقين به والمتنعّمين برعايته وعطفه .

وزينب الصغيرة في السنّ المرهفة الأحساس الرّقيقة المشاعر وجدت نفسها في مواجهة هذه الرّزية الكبرى ، ورأت كيف انقلبت الأجواء في بيتها راساً على عقب من بهجة وغبطة وسرور الى كآبة وحزن واضطراب .

لقد صحبت زينب أمها الزهراء وهي تنكّب على أبيها رسول الله عند مصارعته لسكرات الموت نادبة .

« واويلتاه لموت خاتم الأنبياء ، وامصيبتاه لمهات خير الأتقياء ، ولإنقطاع سيّد

(٢٤) (بحار الأنوار) المجلسي ج١٠، ص٥٨ .
(٢٥) (مع بطلة كربلاء) محمد جواد مغنية ص٢٢ .

الأصفياء ، واحسرتاه لإنقطاع الوحي من السماء ، فقد حرمت اليوم كلامك »[٢٦] .

ورأت زينب أخويها الحسنين حينما القيا بنفسيهما على جدّهما الرسول يودّعانه وهما يذرفان الدموع ، فجعل يقبلهما وهما يقبّلانه واراد عليٌّ أن ينحّيهما عنه ، فقال (صلى الله عليه وآله) : .

« دعهما يتمتّعان منّي وأتمتّع منهما فستصيبهما بعدي اثرة »[٢٧] .

وتوالت مشاهد الألم والحسرة أمام ناظري زينب فهذه أمها الزهراء تنكبّ على جثمان أبيها رسول الله (ص) بعد وفاته تبكي أمر البكاء قائلة : « وأبتاه ، الى جبرئيل أنعاه ! وأبتاه جنّة الفردوس مأواه ! وأبتاه أجاب ربأً دعاه !! »[٢٨] .

وتقول أيضاً : « واأبتاه وارسول الله ، وانبيّ الرحمتاه ، الآن لا يأتي الوحي ، الآن ينقطع عنّا جبرئيل ، اللهم إلحق روحي بروحه ، واشفعني بالنظر الى وجهه ، ولا تحرمني أجره وشفاعته يوم القيامة »[٢٩] .

وهذا أبوها علي بن أبي طالب (ع) وهو الجبل الأشم في صموده وبطولته لكنّه تذوب نفسه أمام هذه المصيبة ، فيقول : « إنّ الصبر لجميل الاّ عنك ، وإنّ الجزع لقبيح الاّ عليك ، وإنّ المصاب بك لجليل ، وإنّه قبلك وبعدك لجلل »[٣٠] .

وقال أيضاً وهو يلي غسل رسول الله (ص) وتجهيزه : « بأبي أنت وأمي يارسول الله ! لقد انقطع بموتك مالم ينقطع بموت غيرك من النبّوة والإنباء وأخبار السماء ، خصّصت حتّى صرت مسلّياً عمّن سواك ، وعمّمت حتّى صار النّاس

---

(٢٦) (حياة الإمام الحسن) باقر شريف القرشي ج١ ، ص١٣٣ .
(٢٧) المصدر السابق، ص١٣٤ .
(٢٨) المصدر السابق، ص١٣٦ .
(٢٩) (حياة الإمام الحسين) باقر شريف القرشي ج١ ، ص٢٢١ .
(٣٠) (نهج البلاغة) الإمام علي، قصار الحكم، رقم: ٢٩٢ .

فيك سواء ، ولولا انّك أمرت بالصّبر ، ونهيت عن الجزع ، لأنفذنا عليك ماء الشّئون ، ولكان الدّاء مماطلا ، والكمد محالفاً ، وقلّا لك ، ولكنّه مالايملك ردّه ، ولا يستطاع دفعه ! بأبي أنت وأمّي ! أُذكرنا عند ربّك ، واجعلني من بالك ! »[٣١] .

ويتحدّث الامام جعفر الصادق (ع) عن مدى وقع المأساة على بيت زينب ، فيقول : « لما مات النّبي (صلى الله عليه وآله) بات أهل بيته كأنّ لا سماء تظلّهم ولا أرض تقلّهم »[٣٢] .

وروى الكليني بسنده عن الامام جعفر الصادق (عليه السلام) قال :

عاشت فاطمة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) خمسة وسبعين يوماً لم تر كاشرة ولا ضاحكة تأتي قبور الشهداء في كل جمعة مرتين الاثنين والخميس ، فتقول : « ها هنا كان رسول الله ، وها هنا كان المشركون » .

وقال ابن شهراشوب في (المناقب) روي أنّها مازالت بعد أبيها معصّبة الرأس ناحلة الجسم منهدّة الركن باكية العين محترقة القلب يُغشى عليها ساعة بعد ساعة ، وتقول لولديها : أين أبوكما الذي كان يكرمكما ويحملكما مرّة بعد مرّة ؟ أين أبوكما الذي كان أشدّ النّاس شفقة عليكما فلا يدعكما تمشيان على الأرض ولا أراه يفتح هذا الباب أبداً ولايحملكما على عاتقه كما لم يزل يفعل بكما .

وروي أنّه لمّا قبض النبي (صلّى الله عليه وآله) امتنع بلال من الأذان ، وقال : لا أُؤذّن لأحد بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وإنّ فاطمة قالت ذات يوم :

(أشتهي أن أسمع صوت مؤذّن أبي باذان) .

فبلغ ذلك بلالاً فاخذ في الاذان فلّما قال : الله أكبر الله أكبر . ذكرت أباها وأيّامه ، فلم تتمالك من البكاء ، فلما بلغ الى قوله : (أشهد أنّ محمداً رسول

---

(٣١) المصدر السابق، الخطبة رقم: ٢٣٥ .

(٣٢) (حياة الإمام الحسين) باقر شريف القرشي ج١ ، ص٢٢٥ .

الله) .

شهقت فاطمة وسقطت لوجهها وغشي عليها ، فقال الناس لبلال : امسك فقد فارقت ابنة رسول الله الدنيا .

وظنّوا أنّها قد ماتت ، فلم يتمّ الاذان . فأفاقت فسألته اتمامه فلم يفعل ، وقال لها : ياسيّدة النّسوان إنّي أخشى عليك ممّا تنزلينه بنفسك اذا سمعت صوتي بالاذان .

فأعفته من ذلك .

وعن علي (عليه السلام) قال : غسلت النّبي في قميصه فكانت فاطمة تقول : أرني القميص . فاذا شمّته غشي عليها ،فلّما رأيت ذلك غيّبته(٣٣) .

ورأت الزهراء (ع) يوماً أنس بن مالك ، فقالت : ياأنس كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على النبي التّراب ؟(٣٤) .

ولك أن تتصوّر حالة السيدة زينب وهي طفلة ذات خمس سنوات من العمر لابدّ أنّها كانت ملتصقة بأمّها الزهراء (ع) وتعايش معها هذه الصدمة العاطفية الكبيرة) .

---

(٣٣) (أعيان الشيعة) السيد محسن الأمين ج١ ، ص٣١٩.

(٣٤) (تاريخ الاسلام) الحافظ الذهبي «السيرة النبوية» ص٥٦٢

المحنة السياسية

حينما تحل بالإنسان مصيبة أو كارثة فإنّ من أهمّ العوامل التي تساعده على التحمّل والصّمود في مواجهتها هو توفّر التّعاطف والمواساة له من قبل ذويه وأصحابه وجيرانه وأبناء مجتمعه .

إنّ مايلقاه المصاب من تعاطف انساني ومواساة اجتماعية يكون بمثابة البلسم لجراحه ، والسّلوة لنكبته ، لذلك ورد التشجيع من قبل الاسلام على مواساة المصابين ، كما يندفع الناس بفطرتهم للتّعاطف مع المصابين على اختلاف أديانهم ومللهم .

وعائلة زينب التي نكبت بفقد رسول الله (صلى الله عليه وآله) بدل أن يغمرها المسلمون بتعاطفهم ومواساتهم خاصة مع كثرة توصيات الرسول بذريّته وأهل بيته ، بدل ذلك ألمّت بهم محنة سياسية رهيبة بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) مباشرة ، ضاعفت عليهم المصاب وزادت آلامهم ومأساتهم .

وتسجل كتب التاريخ والحديث الكثير من تفاصيل تلك المحنة مع اختلاف المؤرّخين والمحدّثين والكتّاب في تفسير وقائعها ، ولسنا الآن بصدد مناقشة الآراء

والتّفسيرات لكّننا نعرض بإيجاز مااتفق عليه المؤرّخون والمحدّثون عن تلك المحنة لتكتمل لنا صورة الأجواء والحياة التي مرّت بها السيدة زينب في تلك الفترة .

فهناك قضيّتان مهمّتان تعتبران جوهر المحنة في أعقاب وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لدى أهل بيته :

الأولى : قضيّة خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله) : فقد كان الامام علي يرى نفسه الأجدر بمقام الخلافة والإمامة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان بنو هاشم وبعض الصحابة يرون ذلك ، إمّا لنصوص سمعوها من الرسول في حقّ علي وأولويّته في الخلافة ، أو لأنّه الأكفأ والأجدر من بين الاصحابة .

لكنّ اجتماعا حصل في سقيفة بني ساعدة لم يحضره علي وبنو هاشم لانشغالهم بتجهيز رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ثم فوجئوا بأنّ ذلك الاجتماع في سقيفة بني ساعدة انتهى بمبايعة أبي بكر بخلافة رسول الله (ص) .

ورأى الامام علي وأهل بيته فيما حصل اغتصاباً لحقّهم الشّرعي في الخلافة ، وانتزاعاً لدور علي بن أبي طالب (ع) ، ولذلك لم يقبل علي بنتائج اجتماع السقيفة وتأخّر لفترة يختلف المؤرّخون في تحديدها حتى خضع وبايع أبا بكر .

يقول ابن الأثير : لمّا توفي رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) ، اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عُبادة ، فبلغ ذلك أبا بكر فأتاهم ومعه عمر وأبوعبيدة بن الجّراح ، فقال : ماهذا ؟ .

فقالوا : منّا أمير ومنكم امير . .

فقال أبوبكر : منّا الأمراء ومنكم الوزراء . .

ثم قال أبوبكر : قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين عمر وأبا عبيدة أمين هذه الأمة . .

فقال عمر : أيّكم يطيب نفساً أن يخلُف قدمين قدمهما النّبي (صلى الله عليه وسلّم) ؟ . .

فبايعه عمر ، وبايعه الناس . .

فقالت الأنصار أو بعض الأنصار : لانبايع الآّ علياً . .

قال : وتخلّف علي وبنو هاشم والزّبير وطلحة عن البيعة . .

وقال الزبير : لا أُغمد سيفاً حتى يبايع علي . .

فقال عمر : خذوا سيفه واضربوا به الحجر . .

ثم أتاهم عمر فأخذهم للبيعة . .

وقيل : لما سمع علي بيعة أبي بكر خرج في قميص ماعليه ازار ولا رداء عجلاً حتى بايعه ، ثم استدعى ازاره ورداءه فتجلّله[1] .

والصحيح : انّ أمير المؤمنين مابايع الآّ بعد ستّة أشهر ، والله أعلم . .

ويقول المؤرّخ المسعودي : ولما بويع أبوبكر في يوم السقيفة وجدّدت البيعة له يوم الثلاثاء على العامّة ، خرج علي فقال :

أفسدت علينا أمورنا ولم تستشر ، ولم ترع لنا حقاً . .

فقال أبوبكر : بلى ، ولكنّي خشيت الفتنة . .

وكان للمهاجرين والأنصار يوم السقيفة خطب طويل ، ومجاذبة في الامامة ، وخرج سعد بن عُبادة ولم يبايع ، فصار الى الشام ، فقتل هناك في سنة خمس عشرة ، وليس كتابنا هذا موضعاً لخبر مقتله . .

ولم يبايعه ـ أبا بكر ـ أحد من بني هاشم حتى ماتت فاطمة (رضي الله عنها)[2] .

وقال أحمد أمين : تمّت البيعة في هذا المجلس لأبي بكر التّيمي القرشي ، لم

(١) (الكامل في التاريخ) ابن الأثير ج٢، ص٣٢٥.
(٢) (مروج الذهب) المسعودي ج٢، ص٣٠١.

يكن علي حاضراً هذا الاجتماع لاشتغاله هو وأهل بيته في جهاز رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأخذ العدّة لدفنه ، فلّما بلغه خبر البيعة لأبي بكر لم يرض عنها ، وتكوّن أمر ثالث وهو أن تكون الخلافة في بيت النبي ، وأقرب الناس اليه (صلى الله عليه وسلّم) عمّه العباس بن عبد المطلب وابن عمّه علي بن أبي طالب ، ولكنّ العباس لم يكن من السّابقين الى الاسلام ، فقد حضر غزوة بدر مع المشركين ، و لم يسلم الاّ آخراً ، فأولى النّاس من قرابة النبي علي بن أبي طالب ، وهو من أوّل النّاس اسلاماً ،وزوج فاطمة بنت النبي (صلى الله عليه و سلّم) ، وجهاده وفضله وعلمه لاينكر ، وحجّة أصحاب هذا الرأي انّ أقرب الناس الى النبي أولى أن يخلفوه ، وانّ بيت بني هاشم خير من بيت أبي بكر ، فالقرب للأوّلين أطوع ، وانّ المهاجرين احتجّوا على الأنصار بأنهم قوم النبي وعشيرته فآل النبي وأقربهم اليه أولى ، كما جاء في (نهج البلاغة) أنّ علياً سأل عمّا حدث في سقيفة بني ساعدة ، فقال : فماذا قالت قريش ؟ .

قالوا : احتجّت بأنها شجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) . .

فقال علي : « احتجّوا بالشّجرة وأضاعوا الثّمرة » . .

يريد أنّ المهاجرين احتجّوا بأنهم من شجرة النبي ، فأولى بالاحتجاج من يجمعهم والنبي أنهم من ثمرة قريش ، وهم قرابته ، وسواء صحّ هذا القول عن علي أم لم يصح فهو تعبير صادق عمّا في نفسه . ودعا الى هذا الرأي علي ، وأيّده بعض بني هاشم ، وأيده الزبير بن العّوام ، و عطف عليه بعض الأنصار لما كان موقفهم وموقف علي سواء في ضياع الأمر من أيديهم ، ولم يبايع علي أبا بكر الاّ بعد لأي[٣] .

هذه بعض المقتطفات ممّا نقله المؤرخون حول موضوع الخلافة وموقف أهل البيت منها ولايخلو كتاب يؤرّخ تلك الفترة أو ينقل الأحاديث عن الخلافة من

(٣) (فجر الاسلام) أحمد أمين ص٢٥٣ .

الاشارة الى هذا الموضوع . .

ومايهمّنا الآن الاشارة اليه التأكيد على أنّ أهل البيت كانوا يعتقدون بأحقّيّة علي بالخلافة بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وإنّ ماحصل من بيعة أبي بكر كان أشبه بالانقلاب على علي . .

١ـ قال الامام علي (عليه السلام) في خطبة له بعد انصرافه من صفّين :

« لايقاس بآل محمد (صلى الله عليه وآله) من هذه الأمّة أحد ، و لايسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً : هم أساس الدين ، وعماد اليقين . اليهم يفيء الغالي ، وبهم يلحق التّالي ، ولهم خصائص حقّ الولاية ، وفيهم الوصيّة والوراثة ، الآن اذا رجع الحقّ الى أهله ، ونقل الى منتقله »[٤] .

وقد أثبت هذه الخطبه الشّريف الرضي في (نهج البلاغة) ، كما ذكرها محمد بن طلحة الشافعي في الجزء الأول من (مطالب السئول) ، ونقل بعض المقاطع من هذه الفقرات الآمدي في (غرر الحكم) ، كما روى الطبري في (المسترشد) قوله (عليه السلام) : « لهم خصائص حقّ الولاية والوراثة »[٥] .

وواضح من خلال هذه الكلمات تمسّك علي (عليه السلام) في الخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فمن حيث الأفضلية لايعدل أهل البيت أحد ، كما أنّ كفاءات الإمرة والولاية تتوفّر فيهم فقط ، ووصيّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيهم وهم ورثته ، و أخيراً فإنّ علياً بعد أن بويع بالخلافة يرى أنّ الحقّ رجع الى أهله . . .

٢ ـ وفي خطبته المعروفة بـ« الشقشقيّة » يقول (عليه السلام) :

« أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة ، وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى، ينحدر عنّي السّيل ، ولايرقى اليّ الطّير ، فسدلت دونها ثوباً ،

---

(٤) (نهج البلاغة) الإمام علي، الخطبة رقم: ٢.

(٥) (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) عبد الزهراء الخطيب ج١، ص٣٠٢.

وطويت عنها كشحاً ، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جّذاء ، أو أصبر على طخية عمياء ، يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربّه ، فرأيت أن الصّبر على هاتا أحجى ، فصبرت و في العين قذى ، وفي الحلق شجاً ، أرى تراثي نهبا »[٦] .

وهذه الخطبة من خطبه المشهورات حتى قال المفيد (رحمه الله) : هي أشهر من أن ندلّ عليها لشهرتها وقد روتها العامّة والخاصّة ، وشرحوها ، وضبطوا ألفاظها من دون غمز في متنها ولاطعن في أسانيدها . فهناك أكثر من (١٧) مصدراً معتمداً نقل هذه الخطبة غير الشريف الرضي في (نهج البلاغة) ، وبعضهم قبل الشريف الرضي ، والآخرون بطرق و أسانيد غير طرقه وأسانيده[٧] .

وهذه الخطبة تحكي بصراحة عن رأي الامام علي (عليه السلام) و موقفه من الخلافة ، فهو الأجدر بها ، والذين تولّوا الخلافة يعلمون ذلك ، وقد جعلته الظروف يعدل عن المواجهة لهم ، فصبر مضطراً غير راض عمّن نهبوا تراثه . .

٣ـ وقال (عليه السلام) في خطبة له : « فوالله مازلت مدفوعاً عن حقّي ، مستأثَراً عليّ منذ قبض الله نبيه (صلى الله عليه وآله وسلّم) حتى يوم الناس هذا »[٨] .

وقد استفاضت هذه الخطبة عنه (عليه السلام) ورواها المؤرّخون واستشهد بها اللغويون قبل الرضي وبعده كالطبري في (تاريخه) ، و ابن سلام في (غريب الحديث) ، والجوهري في (الصحاح) ، و غيرهم[٩] .

---

(٦) (نهج البلاغة) الإمام علي، الخطبة رقم: ٣.
(٧) (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) عبد الزهراء الخطيب ج١، ص٣٠٩.
(٨) (نهج البلاغة) الإمام علي، الخطبة رقم: ٦.
(٩) (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) عبد الزهراء الخطيب ج١، ص٣٣١.

٤ ـ وفي خطبة أخرى يقول (عليه السلام) : « حتى اذا قبض الله رسوله رجع قوم على الأعقاب ، وغالتهم السّبل ، واتّكلوا على الولائج ، ووصلوا غير الرّحم ، وهجروا السبب الذي أُمروا بمودته ، ونقلوا البناء عن رصّ أساسه ، فبنوه في غير موضعه »[١٠] .

وقد روى الطبري فقرات من أواخر هذه الخطبة في (المسترشد) (ص ٧٤)[١١] .

٥ ـ ومن كلام له (عليه السلام) لبعض أصحابه وقد سأله : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به ؟ فمّها أجابه :

« أما الاستبداد علينا بهذا المقام ، ونحن الأعلون نسباً ، و الأشّدون بالرسول (صلى الله عليه وآله) نوطاً ، فانّها كانت اثرة شحّت عليها نفوس قوم ، وسخت عنها نفوس آخرين ، والحكم لله والمعوّل اليه يوم القيامة »[١٢] .

هذه بعض النّماذج من كلمات الامام علي (عليه السلام) وغيرهاكثير ممّا يؤكّد اعتقاد علي (عليه السلام) بأحقيّته بالخلافة وأنّها اغتصبت منه ، وقد جمع الدكتور سعيد السّامرائي من (نهج البلاغة) ما يؤيّد هذا الموقف ضمن كتابه الجميل (حجج النّهج) وطبع سنة : (١٩٨٧ م) في بيروت في (٤٥٠ صفحة) . .

وكذلك كان رأي فاطمة الزهراء (عليها السلام) وقد أعلنت موقفها واضحاً أمام الخليفة أبي بكر وأمام نساء المهاجرين والأنصار ففي خطبتها المشهورة في المسجد ، قالت (عليها السلام) :

«وإطاعتنا نظاماً للملّة ، وإمامتنا أماناً للفرقة »[١٣] .

---

(١٠) (نهج البلاغة) الإمام علي، الخطبة رقم: ١٥٠.
(١١) (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) عبد الزهراء الخطيب ج٢، ص٣٣٧.
(١٢) (نهج البلاغة) الإمام علي، الخطبة رقم: ١٦٣.
(١٣) (فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد) القزويني ص٣٨٧.

كما تحدّثت في خطبتها بإسهاب عن تفسيرها للتّطوّرات التي حصلت بعد وفاة أبيها وأنّها انحراف ومؤامرة على حقّ أهل البيت كقولها (عليها السلام) : « فلّما اختار الله لنبيّه دار أنبيائه ومأوى أصفيائه ظهر فيكم حسكة النفاق . . . . فوسمتم غير ابلكم وأوردتم غير شربكم ، هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجرح لّما يندمل ، والرّسول لّما يقبر ، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة ألا في الفتنة سقطوا وإنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين »[14] .

ودافعت عن حقّ علي في الخلافة امام نساء المهاجرين والأنصار اللاتي جئن لعيادتها وزيارتها ، وممّا قالته لهنّ :

« أنّى زحزحوها عن رواسي الرسالة ، وقواعد النبوّة و الدلالة ، ومهبط الروح الأمين والطيبين بأمور الدنيا والدين ؟ ألا ذلك هو الخسران المبين ، وما الذي نقموا من أبي الحسن ؟ نقموا منه والله نكير سيفه ، وقلّة مبالاته بحتفه ، وشدّة وطأته ، ونكال وقعته ، وتنّمره في ذات الله (عزوجل) »[15] .

وتشير بعض الروايات الى أنّ فاطمة برفقة بعلها علي وابنيها الحسنين كانت تدور على بيوت ومجالس المهاجرين والأنصار تدعوهم الى الالتفاف حول قيادة الامام علي (عليه السلام) ، وقد جاءت تلك الروايات في العديد من المصادر . .

يقول ابن قتيبة الدينوري المتوفّي سنة (٢٧٦ هـ) : وخرج علي (كرّم الله وجهه) يحمل فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) على دابّة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النّصرة ، فكانوا يقولون : يابنت رسول الله ، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ، ولو أنّ زوجك وابن عمّك سبق الينا قبل أبي بكر ، ماعدلنا به . .

فيقول علي (كرّم الله وجهه) : أفكنت أدع رسول الله (صلّى الله عليه

(١٤) المصدر السابق ص٤٣١ .

(١٥) المصدر السابق ص٥٢٥ .

وسلّم) في بيته لم أدفنه ، وأخرج أنازع الناس سلطانه ؟ . .

فقالت فاطمة : ماصنع أبوالحسن الاّ ماكان ينبغي له ولقد صنعوا ماالله حسيبهم وطالبهم[١٦] .

ولثبوت هذا الأمر وشهرته فقد عيّر به معاوية الامام علي (عليه السلام) في احدى رسائله اليه بقوله : وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار ، ويداك في يدي ابنيك حسن وحسين يوم بويع أبوبكر ، فلم تدع أحداً من أهل بدر والسّوابق الاّ دعوتهم الى نفسك ، و مشيت اليهم بإمرأتك ، وأدليت اليهم بابنيك . . .[١٧] .

هذه اللوعة والألم الذي يعتلج في نفس علي وفاطمة حول قضية الخلافة لابدّ وأنّه ينعكس على نفوس أبنائهما ، ويحدّثنا التّاريخ أنّ الحسن بن علي على صغر سنّه حيث كان في السابعة من العمر ، إنطلق الى مسجد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فرأى أبابكر على منبر رسول الله يخطب الناس فإلتاع ووجّه اليه لاذع النّقد قائلاً له :

« أنزل . . انزل عن منبر أبي ، واذهب الى منبر أبيك » !! .

فأجابه أبوبكر : « صدقت والله ، إنّه لمنبر أبيك لامنبر أبي »[١٨] .

بالطّبع ليس بحث مسألة الخلافة من مهمّات هذا الكتاب ولكنّنا أردنا تسليط الأضواء على الأجواء التي عاشتها السيدة زينب (عليها الاسلام) ضمن عائلتها بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) . .

القضية الثانية : مصادرة فدك : وهي « قرية بالحجاز بينها و بين المدينة يومان ، وقيل ثلاثة » كما يقول الحموي في (معجم البلدان) . .

---

(١٦) (تاريخ الخلفاء «الإمامة والسياسة») ابن قتيبة ص١٢ .

(١٧) (فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد) القزويني ص٥٨١ .

(١٨) (حياة الإمام الحسن) القرشي ج١ ، ص١٦٤ ، ونقلها عن عدّة مصادر .

وكان يسكنها اليهود فاستسلموا بعد واقعة خيبر لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) دون قتال . .

ومقتضى الرواية التي يذكرها الجوهري في (السقيفة وفدك) أنّها كانت تقدّر بـ(١٠٠٠٠٠ مائة ألف درهم) ، ويقول الحموي عنها : وفيها عين فوّارة ونخيل كثيرة . .

ولأنّها لم يسبقها حرب ولا قتال فهي فيء وملك خاص لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) حسب مفاد الآية الكريمة : ﴿ **ما أفاءَ الله على رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَما أوْجَفْتُمْ عليْهِ مِنْ خَيْلٍ ولا رِكابٍ** ﴾[١٩] .

فباتّفاق المسلمين هي ملك خاص للنبي وقد وهبها وأنحلها لابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، ويبدو أنها كانت تحت سلطتها كما يقول الامام علي : « بلى كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلته السماء فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قوم آخرين »[٢٠] .

لكنّ الخليفة ابا بكر رأى أن يصادر فدك من فاطمة الزهراء (عليها السلام) باعتبار أنّ النبي لايورث كما ينقل هو أنّه سمع ذلك من النبي ، ولم يقبل قول الزهراء أنّ أباها وهبها أيّاها كما رفض شهادة علي بذلك لفاطمة وشهادة أمّ أيمن الصّحابية الجليلة !! .[٢١]

وقد جاء انتزاع فدك من فاطمة الزهراء (عليها السلام) في الأيام الأولى لمصيبتها بأبيها ومواكباً لتنحية علي عن حقّه الشّرعي في خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فأحدث ذلك أثراً كبيراً في نفس فاطمة دفعها لإعلان معارضتها للخليفة والاحتجاج عليه أمام المسلمين في خطبتها المشهورة ، كقولها :

---

(١٩) سورة الحشر، الآية(٦).
(٢٠) (نهج البلاغة) الإمام علي، الكتاب رقم: ٤٥.
(٢١) (فاطمة الزهراء أمّ أبيها) فاضل الميلاني ص١٤٤.

« وأنتم الآن تزعمون أن لاإرث لنا ! أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ؟ أفلا تعلمون ؟ بلى قد تجلّى لكم كالشمس الضّاحية إنّي ابنته أيّها المسلمون ! أغلب على إرثيه . . .

ياابن أبي قحافة ! أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي ؟ لقد جئت شيئاً فريّاً ! أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ ﴾[22] .

وقال فيما اقتصّ من خبر زكريا اذ قال : ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَّدُنْكَ وَلياً يَرِثُني وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾[23] .

وقال : ﴿ وَأُوْلُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ في كِتابِ اللهِ ﴾[24] .

وقال : ﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ في أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ ﴾[25] .

وقال : ﴿ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْروفِ حَقاً عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾[26] .

وزعمتم أن لاحظوة لي ولا أرث من أبي ! أفخصّكم الله بآية أخرج أبي منها ؟ أم تقولون : إنّ أهل ملّتين لايتوارثان ؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة ؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن و عمومه من أبي وابن عمي ؟ . . .

إيها بني قيلة ! أأهضم تراث أبي ؟ وأنتم بمرأى منّي ومسمع ؟ .[27] .

وهكذا ظلّلت بيت زينب غيوم وهموم ثقيلة سلبت من عائلتها حالة السّرور

---

(٢٢) سورة النمل، الآية(١٦).

(٢٣) سورة مريم، الآيات(٥ ـ ٦).

(٢٤) سورة الأنفال، الآية(٧٥).

(٢٥) سورة النساء، الآية(١١).

(٢٦) سورة البقرة، الآية(١٨٠).

(٢٧) (فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد) القزويني ص٤٤٧.

والسّعادة والهناء وجعلتهم يعيشون أفظع المآسي وأشدّ الآلام ، فقد فقدوا زعيمهم وأباهم الحنون رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما زوي عنهم حقّهم السّياسي في القيادة والخلافة ، واضافة الى ذلك صودرت أهمّ ممتلكاتهم الماليّه فدك !! .

وأفتقدت أمها الزهراء

بعد حوالي (٧٥ يوماً) عاشتها فاطمة الزهراء في وضع مأساوي يصعب تصويره ، وكانت زينب هي الأقرب لأمّها ، والمشاركة لها في آلامها وأحزانها ، خاصّة وأنّها تلحظ تدهور صحّة أمّها الزهراء وازدياد توجّعها . . .

وفي اليوم الأخير من حياتها تحاملت الزهراء على مرضها وقاومت أوجاعها لتقوم بخدمة وداعية حانية لأطفالها الذين سيصبحون يتامى بعدها . . فقد قامت الزهراء تتكىء على جدار المنزل ودعت اطفالها الأربعة الحسن والحسين وزينب وأمّ كلثوم لتغسل أجسامهم ورؤوسهم بالماء والطين ، وهي تملأ عينيها نظراً الى أجسامهم النحيفة ، وتذرف من أعماق قلبها دموع الحزن على فراقهم ، وفوجىء علي (عليه السلام) حينما أقبل ورأى فاطمة وقد غادرت فراش مرضها ، وكاد أن يمتلكه الفرح والسرور لأنّ فاطمة استعادت صحتها وعافيتها ، لكنّه رآها كزهرة يكتنفها الذّبول ولاحظها تستعين بالجدار لتواصل خطواتها البطيئة ، فسألها عن سبب اجهاد نفسها بغسل الأولاد ، فأجابته بصوتها الخافت :

« لأنّ هذا اليوم آخر يوم من أيّام حياتي ، قمت لأغسل رؤوس أطفالي وثيابهم

لأنّهم سيصبحون يتامى بلا أمّ »[1] .

وعادت الزهراء (عليها السلام) الى فراشها لتبثّ لبعلها وزوجها الغالي العزيز همومها ووصاياها . .

وكان مستقبل أولادها احدى القضايا التي ركّزت عليها في وصيّتها له حيث قالت :

« يا ابن عم : أوصيك أن تتزوّج بعدي بابنة أختي أُمامة فإنّها تكون لولدي مثلي ، فإنّ الرجال لابدّ لهم من النساء ، وإن أنت تزوّجت امرأة اجعل لها يوماً وليلة واجعل لأولادي يوماً وليلة »[2] .

وعند اقتراب الأجل أرادت الزهراء أن تبعد ابنتيها زينب وأم كلثوم عن مشاهدة تلك اللحظات الأليمة حيث الموت ومفارقة الحياة فأرسلتهما الى بيوت بعض الهاشميات ـ كما تشير احدى الروايات ـ[3] بينما كان الحسنان مع أبيهما خارج المنزل . .

وما عادت زينب وأختها أم كلثوم الى المنزل الاّ وقد انطفأ منه ذلك النور ، وذبلت فيه تلك الزهرة النديّة ، وخمدت تلك الشّعلة المتّقدة بالعاطفة والحنان ، لم تعد زينب تسمع صوت أمّها الرقيق ولا تنعم بابتسامتها المشرقة ، انها قد التحقت روحها بالرفيق الأعلى لترتاح من عناء هذه الدنيا وظلم أهلها ، أمّا جسدها النّحيف الضّعيف فباتّجاه القبلة على الفراش وقد أسبلت يديها ورجليها وأغمضت عينها . .

يالها من لحظات أليمة مرّت على العقيلة زينب واخوتها . . ولكنّه أمر الله ،

---

(١) (فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد) القزويني ص٦٠٧ .

(٢) المصدر السابق، ص٦١٠ .

(٣) المصدر السابق، ص٦١٦ .

وهم على صغر سنّهم ـ أي أطفال فاطمة ـ يعون هذه الحقيقة فيؤلمهم الفراق لكنّهم يسلمون أمرهم الى الله ويردّدون في ثقة ويقين ﴿ **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾[٤] .

وفي ظلام الليل قام علي (عليه السلام) بتغسيل فاطمة ثم أدرجها في أكفانها بمنظر من زينب واخوتها ، تقول الرواية : « فغسّلها أمير المؤمنين (عليه السلام) ولم يحضرها غيره والحسن والحسين وزينب وأمّ كلثوم وفضّة جاريتها وأسماء بنت عميس »[٥] .

وحانت ساعة الوداع الأخيرة ، فلابدّ وأن يعطي علي (ع) الفرصة لأبنائه ليلقوا آخر نظرة على محيا أمّهم الزهراء . .

يقول السيد القزويني : .

رأى الامام أنّ يتامى فاطمة ينظرون الى أمّهم البارّة الحانية ، وهي تلفّ في أثواب الكفن ، إنّها لحظة فريدة في الحياة ، لايستطيع القلم وصفها ، إنّها لحظة يهيج فيها الشوق الممزوج بالحزن ، إنّه الوداع الأخير الأخير ! ! .

هاجت عواطف الأب العطوف على أطفاله المنكسرة قلوبهم ، فلم يعقد الخيوط على الكفن ، بل نادى بصوت مختنق بالبكاء : .

ـ ياحسن ياحسين يازينب يا أمّ كلثوم هلّموا وتزوّدوا من أمّكم ، فهذا الفراق واللقاء في الجنة ! ! .

كان الأطفال ينتظرون هذه الفرصة وهذا السّماح لهم كي يودّعوا تلك الحوراء ، ويعبّرون عن آلامهم وأصواتهم ودموعهم المكبوتة المحبوسة ، وأقبلوا مسرعين وجعلوا يتساقطون على ذلك الجثمان الطّاهر كما يتساقط الفراش على السّراج . .

كانوا يبكون بأصوات خافتة ، ويغسلون كفن أمّهم الحانية بالدموع فتجفّفها

(٤) سورة البقرة، الآية(١٥٦).
(٥) (بحار الأنوار) المجلسي ج٤٣، ص١٧١.

الآهات والزّفرات ، كان المنظر مشجياً مثيراً للحزن ، فالقلوب ملتهبة ، والأحاسيس مشتعلة ، والعواطف هائجة والأحزان ثائرة[6]

وقد روى صاحب (ناسخ التّواريخ) في كتابه : انّ زينب أقبلت عند وفاة أمّها وهي تجرّ رداءها وتنادي : يا أبتاه يارسول الله الآن عرفنا الحرمان من النظر اليك .

وروى هذه الرواية صاحب (البحار) عن (الرّوضة) بهذا اللفظ : وخرجت أم كلثوم وعليها برقعة تجرّ ذيلها متجلببة برداء عليها تسحبها ، وهي تقول : يا أبتاه يا رسول الله الآن حقاً فقدناك فقداً لالقاء بعده أبداً .

وأمّ كلثوم هذه هي زينب (عليها السلام) من غير شك كما صرّح بإسمها في رواية صاحب (ناسخ التّواريخ) ، ولكونها أكبر بنات فاطمة (عليها السلام)[7] .

---

(٦) (فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد) القزويني ص٦٢٤ .

(٧) (زينب الكبرى) جعفر النقدي ص١٨ .

سيّدة العائلة :

وبعد رحيل أمّها الزهراء الى عالم الخلود ، أصبحت السيدة زينب على صغر سنّها سيدة المنزل وربّة البيت ، ترعى شؤون أبيها واخوتها تماماً كما كانت أمّها الزهراء تملأ فراغ أمّها خديجة بنت خويلد بالنّسبة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) حتّى سمّيت أمّ أبيها .

وقد أشار العديد من الكتّاب والباحثين الى تحمّل السيدة زينب لأعباء المنزل والعائلة بعد وفاة أمّها الزهراء (عليها السلام) .

يقول الأستاذ محمود يوسف : وقدّر للسيدة زينب أن تفقد جدّها (صلى الله عليه وسلم) وهي في الخامسة من العمر ، وفقدت أمّها الزهراء بعد ذلك بشهور قلائل فحزنت وهي الصّبيّة الصغيرة عليهما حزناً شديداً ، وواجهت حياة البيت ورعته وأدارت شؤونه بعقلية رتيبة واعية ، وحسّ صادق وقلب مؤمن[8] .

ويقول السيد بحر العلوم : وتحّملت عقيلة بني هاشم مسؤولية بيت علي

(٨) مجلّة (الموسم) نقلاً عن جريدة (الجمهورية) المصرية/ ٣١/ ١٠/ ١٩٧٢م.

وعاشت في خضمّ المشاكل والأحداث ، ويكاد هذا البيت ينفجر من الأحداث ، فالأقدار تتواثب عليه ، والنّوائب تصليه . . . وقلب زينب أخذ يتّسع لكلّ هذه وأكثر منها ، ولاغرابة فهي ابنة علي . .[9] .

وتقول السيدة عائشة بنت الشاطيء : واذا استطعنا أن نتناسى الى حين أحزان تلك الصّبية التي روّع عامها الخامس بشهود مأساة الموت مرّتين ، في أعزّ الناس لديها وأحبّهم اليها ، اذا استطعنا أن نكفّ لحظة عن التّحديق في تلك الظلال التي حامت على مهدها ، والأحزان التي أرهقت صباها ، ألفينا جانباً آخر من الصّورة مشرقاً ، حيث تبدو « زينب » في بيت أبيها ذات مكانة أكبر من سنّها : أنضجتها الأحداث ، وهيّأتها لأن تشغل مكان الرّاحلة الكريمة ، فتكون للحسن والحسين وأمّ كلثوم ، أُمّاً لاتعوزها عاطفة الأمومة بكل مافيها من حنو وايثار ، وإن أعوزتها التّجربة والاختبار[10] .

---

(٩) (في رحاب السيدة زينب) محمد بحر العلوم ص٢٤ .
(١٠) (السيدة زينب) عائشة بنت الشاطيء ص٤٢ .

في بيت الزوجية

وتجاوزت زينب مرحلة الصّبا ، واكتمل نضجها الجسدي والنّفسي ، ومع شديد رغبتها في البقاء قرب أبيها ، وفي توفير الرعاية والعناية لأخويها الحسنين ، الاّ أنّه كان لابدّ لها من الزواج ، لما يعنيه الزواج من تكامل في الشّخصية ، واستجابة للسنّة الآلهية التي جعلها الله (تعالى) في بني البشر بل في كافة المخلوقات كما يقول (تعالى) : ﴿ وَمِن كُلِّ شيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنْ ﴾[1] ، ولأنّ تعاليم الاسلام تحثّ على الزواج وتحبذّه ، وتذمّ العزوبة وتنفّر منها .

فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « النّكاح سنّتي فمن رغب عن سنتي فليس منّي »[2] .

وعنه (صلى الله عليه وآله) أنّه قال لرجل يقال له عكاف : ألك زوجة ؟ .

قال : لا .

---

(١) سورة الذاريات، الآية(٤٩).

(٢) (الفقه: كتاب النكاح) السيد محمد الشيرازي ج٦٢، ص١٢.

فقال (صلى الله عليه وآله) : ألك جارية ؟ .

قال : لا يا رسول الله .

قال (صلى الله عليه وآله) : أفأنت موسر ؟ .

قال : نعم .

قال (صلى الله عليه وآله) : تزوّج والاّ فأنت من المذنبين .

وفي رواية : تزوّج والاّ فأنت من إخوان الشياطين[3] .

وعن النبي (صلى الله عليه وآله) : « شراركم عزّابكم وأراذل موتاكم عزابكم »[4] .

ومهما كانت كفاءة البنت وفضلها فإنّ ذلك لايغنيها عن نعمة الحياة الزوجية ، ومخطئة جداً من تظنّ أنّ الشهادة الدراسية أو المنصب الوظيفي أو أيّ كفاءة علمية أو اجتماعية يمكن أن تصبح بديلاً عن الزواج أو أن تملأ الفراغ في حياة المرأة بدلاً عن الزواج . . إنّه لوكان كذلك لاستغنت سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عن الزّواج وهي لاتداني في فضلها ومؤهلاتها ، ولاستغنت ابنتها العقيلة زينب عن تحمّل أعباء الحياة الزوجية لما لها من الفضل والكفاءة ! .

لقد دخلت امرأة ذات يوم على الامام الصادق (عليه السلام) وقالت : أصلحك الله إنّي متبتّلة .

فسألها الامام : وما التبتّل عندك ؟ .

قالت : لا أريد التّزويج أبداً .

قال : ولِمَ ؟ .

---

(٣) المصدر السابق، ص١٦.

(٤) (ميزان الحكمة) الري شهري ج٤، ص٢٧٥.

قالت : ألتمس في ذلك الفضل .

فقال : انصرفي فلو كان في ذلك فضل لكانت فاطمة (عليها السلام) أحقّ به منك ، انّه ليس أحد يسبقها الى الفضل[٥] .

وجاء الخاطبون يتوافدون على بيت علي بن أبي طالب (عليه السلام) كلّ منهم يتمنّى أن يحظى بشرف الاقتران بالعقيلة زينب ، رغبة في الاتّصال بالنّسب النبوي الشريف ، ولما يعرفونه من كمال زينب وفضلها وأدبها ، لكنّ أباها علياً كان يردّ كل خاطب لأنّه (عليه السلام) قد اختار لابنته الزوج المناسب والكفوء .

يقول السيد الهاشمي : إنّ العقيلة زينب بنت علي خطبها الأشراف من قريش والرؤساء من القبائل . . ويروى انّه خطبها الأشعث بن قيس وكان من ملوك كندة[٦] .

والعناية الآلهية التي أحاطت بالسيدة زينب (عليها السلام) ووجّهت مسارات حياتها كان لابدّ وأن تتدخّل في شأن هذا الأمر الخطير من حياة السيدة زينب ، وهو اختيار القرين والزوج المناسب الكفوء لهذه المرأة العظيمة . . وهذا ماحصل بالفعل فقد شاء الله (تعالى) أن تقترن العقيلة زينب بواحد من أعظم وأنبل شباب الهاشميين وهو ابن عمّها عبدالله بن جعفر بن أبي طالب .

واختيار الامام علي لعبد الله بن جعفر ليكون زوجاً لابنته زينب اختيار أكثر من موفّق ، فعلي يعرف مكانة أخيه جعفر ، وعبد الله ربيب للامام علي حيث أصبح في رعايته بعد شهادة أبيه جعفر ، وأمّه أسماء بنت عميس وثيقة الصّلة والعلاقة بالسيدة الزهراء أم العقيلة زينب ، ثم هي قد أصبحت زوجاً للامام علي ، اضافة لكلّ ذلك المؤهلات الشخصية التي كان يجدها الامام في ابن أخيه عبد الله بن

(٥) (ميزان الحكمة) الري شهري ج٤ ، ص٢٧٤ .
(٦) (عقيلة بني هاشم) السيد علي الهاشمي ص٣١ .

جعفر ، وقد أصدق الامام ابنته زينب ٤٨٠ درهماً من خالص ماله كصداق أمها فاطمة الزهراء(ع) .

ولنسلّط الأضواء الآن على شخصية هذا الرجل العظيم :

أبوه : جعفر الطيَّار :

وجعفر الطيّار هو ابن أبي طالب ، وأخو الامام علي ، وهو أكبر من الامام علي بعشر سنين ، وهو ثالث من أسلم وصلّى مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، بعد علي وخديجة ، حيث كان النبي (صلّى الله عليه و آله) يتقدّمهم للصلاة وعلي عن يمينه وجعفر عن يساره وخديجة من خلفه .

وكان جعفر يشبه النبي (صلى اللهعليه وآله) في خَلقه وخُلقه ، وكان يكنّيه « أبا المساكين » .

وعن الزّمخشري في (ربيع الأبرار) : كان جعفر أشبه الناس برسول الله خلقاً وخُلقاً ، وكان الرجل يرى جعفر فيقول : السلام عليك يارسول الله . يظنّه ايّاه ، فيقول : لست برسول الله أنا جعفر .

قال حسان بن ثابت :

وكنا نرى في جعفر من محمّد ... وقاراً وأمراً حازماً حين يأمر

ومازال في الاسلام من آل هاشم ... دعائم صدق لاترام ومفخر

هم جبل الاسلام والنّاس حولهم ... رضام الى طود يطول ويقهر

بها ليل منهم جعفر وابن أمّه   علي ومنهم أحمد المتخير[7]

وهو الذي قاد أوّل مجموعة مسلمة مهاجرة الى الحبشة ، من مكة المكرمة ومعه زوجته أسماء بنت عميس .

وبقي جعفر في الحبشة حتى السنةالسابعة من الهجرة ، وعندما ترك الحبشة قاصداً المدينة ، كان النبي (صلى الله عليه وآله) راجعاً من حرب خيبر ، والتقاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقبّله بين عينيه ، و قال : ماأدري بأيّهما أشد فرحاً بقدوم جعفر أو بفتح خيبر .

وقال له : أنت أشبه الناس بخلقي وخُلقي وقد خلقت من الطّينة التي خلقت منها .

ولم يمض على بقاء جعفر في المدينة الى جنب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الاّ حوالي سنة واحدة حتى بعثه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) سنة ٨ هـ على رأس جيش من المسلمين يبلغ ثلاثة آلاف مقاتل لمواجهة الروم .

وفي مؤتة ـ قرية في الأردن ـ حصلت معركة حاسمة على حدود الشام حيث كان عدد جيش الروم أكثر من مائة ألف ، وأخذ الرّاية جعفر وتقدّم بمن معه من المسلمين وحمل على تلك الحشود التي ملأت الصحراء بعددها وعتادها ، وظلّ يقاتلهم حتّى قطعت يمينه وشماله وخرّ صريعاً ، ووجدوا في مقدم جسده بعد شهادته أكثر من تسعين ضربة وطعنة .

وكان ينشد أثناء القتال :

ياحبّذا الجنة واقترابها   طيبة وبارد شرابها

والرّوم روم قد دنا عذابها   كافرة بعيدة أنسابها

عليّ إذ لاقيتها ضرّابها

(٧) مجلة (الموسم) ص١٠٦٥ ـ ١٠٦٨ .

وكانت شهادة جعفر في غزوة مؤتة في جمادي الأولى سنة ٨ هـ .

وفي (عمدة الطالب) : لما رأى جعفر الحرب قد اشتدّت ، والروم قد غلبت ، اقتحم عن فرس له أشقر ثم عقره ، وهو أوّل من عقر في الاسلام فقاتل حتى قطعت يده اليمنى ، فأخذ الراية بيده اليسرى وقاتل الى أن قطعت يده اليسرى أيضاً ، فاعتنق الراية وضمّها الى صدره حتى قتل ، و وجد فيه نيّف وسبعون ، وقيل نيّف وثمانون مابين طعنة وضربة و رمية .

وحينما وصل خبر مقتله الى المدينة جزع المسلمون كثيراً ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « لاتبكوا على أخي بعد اليوم ، إنّ له جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة » .

فسمّي ذا الجناحين والطيار[٨] .

وقال (صلى الله عليه وآله) : « اللهمّ إنّ جعفراً قد قدم الى أحسن الثّواب فاخلفه في ذريّته بأحسن ماخلفت أحداً من عبادك في ذريّته »[٩] .

وينقل التاريخ أنّ جعفر بن أبي طالب كان معروفاً بحسن السيرة و السّلوك حتى قبل الاسلام ، وروي عنه أنّه كان يتحدّث عن حياته في الجاهلية ، فيقول : ماشربت خمراً قط ، لأنّي علمت إن شربتها زال عقلي ، وماكذبت قط ، لأنّ الكذب ينقص المروءة ، ومازنيت قط ، لأنّي خفت انّي اذا عملت عُمل بي ، وماعبدت صنماً قط ، لأنّي علمت انّه لايضرّ ولاينفع .

وروي أنّ جعفر بن أبي طالب كان يقول لأبيه : يا أبة إني لأستحي أن أطعم طعاماً وجيراني لايقدرون على مثله ! فأجابه أبوه : إني لأرجو أن يكون فيك خلف

---

(٨) (زينب وليدة النّبوة والإمامة) م. صادق ص٥٣ ـ ٥٥ بتصرّف.
(٩) (في رحاب السيدة زينب) محمد بحر العلوم ص٣٣.

من عبد المطلب[10] .

وفي الحديث أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال : « إنّ الله اختارني في ثلاثة من أهل بيتي ، أنا سيّد الثلاثة : اختارني وعلياً وجعفراً وحمزة »[11] .

ذلك هوالأصل الذي تفّرع عنه عبد الله بن جعفر زوج السيدة زينب (عليها السلام) .

---

(١٠) مجلة (الموسم) العدد الرابع من المجلد الأول ص١٠٦٥ ـ ١٠٦٨ .

(١١) (مع بطلة كربلاء) محمد جواد مغنية ص٢٨ .

أمّه :(أسماء بنت عميس)

كانت أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة كريمة شريفة ذات رأي حازم ، ومعرفة وتجربة ، هاجرت في سبيل الله مع زوجها جعفر الطيار هجرتين ،الأولى الى الحبشة ، والثانيةالى المدينة .

وبعد شهادة زوجها جعفر تزوجت من أبي بكر فأولدها « محمد بن أبي بكر » .

وكانت وثيقة الصّلة بالسيدة الزهراء (عليها السلام) وهي التي ساعدتها فترة مرضها بعد وفاة ابيها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، و كانت قريبة منها عند وفاتها ، وشاركت الامام علي في تجهيز فاطمة الزهراء .

وبعد وفاة أبـي بكر تزوّجها الامام علي وضمّها الى عياله مع ولدها محمد بن أبي بكر وهو في الرابعة من عمره ، والذي أصبح ربيب الامام علي ، وولدت للامام علي ولداً أسماه « يحيى »[١٢] ، فعبد الله بن جعفر ومحمد بن أبي بكر ويحيى بن علي اخوة من أمّ واحدة .

---

(١٢) (زينب وليدة النبوة والإمامة) م. صادق ص٥٦ .

يقول عنها العلّامة المحقّق الشيخ جعفر النّقدي : كانت أسماء من القانتات العابدات ، روت الحديث عن النبي (صلّى الله عليه وآله) ، وعن علي والزهراء (عليهما السلام) . وروى عنها كثيرون منهم ابنها عبد الله بن جعفر ، وحفيدها القاسم بن محمد بن أبي بكر وهو جدّ امامنا الصادق (عليه السلام) لأمّه ، وروى عنها عبد الله بن عباس وهو ابن أختها « لبابة بنت الحارث » . . .

قيل : وكان الخليفة عمر يسألها عن تفسير المنام ، ونقل عنها أشياء من ذلك ومن غيره ،قال في (الاصابة) : ويقال أنّها لمّا بلغها قتل ولدها محمد بمصر قامت الى مسجد بيتها وكظمت غيظها حتى شخب ثدياها دماً[١٣] .

وقد عبّر عنها الامام الصادق (عليه السلام) بـ « النّجيبة » ، وترحّم عليها بقوله : « رحم الله الاخوات من أهل الجنّة » وعدّ أسماء في مقدّمتهنّ[١٤] .

هذا هو الحضن الذي تربّى فيه عبد الله بن جعفر زوج السيدة زينب (عليها السلام) .

---

(١٣) (زينب الكبرى) جعفر النقدي ص٧٧ .

(١٤) (في رحاب السيدة زينب) بحر العلوم ص٣٤ .

شخصية عبد الله بن جعفر

هو أكبر أولاد أبيه ، وقد ولد في الحبشة عندما هاجر اليها والداه ، وهو أوّل مولود ولد في الاسلام بأرض الحبشة ، وبعد شهادة أبيه في مؤتة أخذه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في حجره قائلاً :

« أمّا عبدالله فشبيه خَلقي وخُلقي ، اللهم اخلف جعفراً في أهله ، وبارك لعبدالله في صفقة يمينه » .

وخاطب رسول الله (صلى الله عليه وآله) أسماء زوجة جعفر والتي كانت متأثّرة ليتم ابنائها قائلاً : « لاتخافي عليهم أنا وليّهم في الدنيا والآخرة »[١٥] .

وطبيعي أن يرعاه عمّه علي بعد شهادة أبيه .

وصحب عبدالله بن جعفر النبي ، وحفظ الحديث عنه ، ولازم عمّه أمير المؤمنين ، وابني عمّه الحسن والحسين ، وأخذ العلم عنهم .

قال عبدالعزيز سيّد الأهل : راى النبي وكانت له به صحبة وكرّمه رسول الله

---

(١٥) (مع بطلة كربلاء) محمد جواد مغنية ص٣٢.

فأردفه يوماً في ركوبه ثم شرّفه فاسرّ اليه حديثاً حين أركبه فاردفه[١٦] .

وكان أغنى بني هاشم وايسرهم ، وكانت له ضياع كثيرة ، ومتاجر واسعة وكان أسخى رجل في الإسلام ، وله حكايات في الجود كثيرة وعجيبة[١٧] .

وجاء في كتاب (الأستيعاب) : أنّ عبدالله بن جعفر كان كريماً جواداً ظريفاً خليقاً عفيفاً سخياً ، يسمّى بحر الجود .

وذكر ابن عساكر قال : روى الحافظ : أنّ معاوية كان يقول : بنو هاشم رجلان رسول الله لكلّ خير ذكر ، وعبدالله بن جعفر لكلّ شرف ، والله لكأنّ المجد نازل منزلاً لا يبلغه أحد وعبدالله بن جعفر نازل وسطه[١٨] .

ومن جود ابن جعفر وكرمه ، ما ذكره ابن عساكر في (تاريخه) قال : جاء شاعر الى عبدالله بن جعفر فأنشده :

رأيت أبا جعفر في المنام	كساني من الخزّ دراعة
نقلت الى صاحبي أمرها	فقال ستئوق بها الساعة
سيكسوكها الماجد الجعفري	ومن كفّه الدّهر نفاعة
ومن قال للجود لا تعدني	فقال : لك السمع والطّاعة

فقال عبدالله لغلامه : ادفع اليه جبّتي الخزّ .

ثم قال له : ويحك كيف لم تر جبّتي الوشي التي اشتريتها بثلاثمائة دينار منسوجة بالذهب .

---

(١٦) (زينب عقيلة بني هاشم) عبد العزيز سيد الأهل ص٢٠.
(١٧) (مع بطلة كربلاء) محمد جواد مغنية ص٣٣.
(١٨) (عقيلة بني هاشم) الهاشمي ص٣٤.

فقال : اغفي غفية أخرى فلعلّي أراها في المنام .

فضحك منه عبدالله وقال لغلامه : ادفع اليه جبّتي الوشي أيضاً[19] .

وقال ابن حيان : كان يقال لعبدالله بن جعفر قطب السّخاء ، وكان له عند موت النبي عشر سنين[20] .

وقال ابن حجر في (الأصابة) : أخرج ابن أبي الدنيا والخرائطي بسند حسن الى محمد بن سيرين : انّ دهقاناً من أهل السّواد كلّم ابن جعفر في أن يكلّم علياً في حاجة ، فكلّمه فيها ، فقضاها فبعث اليه الدهقان أربعين ألفاً ، فردّها وقال : إنّا لا نبيع معروفاً[21] .

ومضى اليه رجل يدّعي أنّه ابن سبيل ، قد راهن الناس على انّ عبدالله أجود الناس ، فقالوا : أرنا .

فجاء اليه وعبدالله على راحلته يريد ضيعة له ، فقال الرجل :

ياابن عمّ رسول الله .

قال : قل ما تشاء.

قال : انا ابن سبيل قد انقطع بي .

فأخرج عبدالله رجله من ركابه ونزل عن راحلته ، وقال له : ضع رجلك ، واستوعلى النّاقة ، وخذ ما في الحقيبة ، وايّاك أن تخدع عن السيف فانه من سيوف علي بن أبي طالب .

ثم ترك الرجل ورجع .

أمّا الرجل فقد وضع رجله في الركاب واستوى على النّاقة ومدّ يده الى الحقيبة

---

(١٩) (عقيلة بني هاشم) الهاشمي ص٣٤.

(٢٠) (زينب الكبرى) جعفر النقدي ص٨١.

(٢١) المصدر السابق ص٨٦.

فوجدها ممتلئة بمطارف الخزّ ، وبها اربعة آلاف دينار ، وكان سيف علي أنفس من المطارف وأجلّ من الدنانير[٢٢] .

وخرج عبدالله بن جعفر يوماً الى ضيعة له فنزل على حائط به نخيل لقوم وفيه غلام اسود يقوم عليه ، فأتى بقوته ثلاثة اقراص فدخل كلب فدنا من الغلام ، فرمى اليه بقرص فأكله ، ثم رمى اليه بالثاني والثالث فأكلهما ، وعبدالله ينظر اليه .

فقال : ياغلام كم قوتك كلّ يوم ؟ .

قال : ما رأيت .

قال : فلم آثرت هذا الكلب ؟ .

قال إنّ أرضنا ما هي بأرض كلاب ، وانّ هذا الكلب جاء من مسافة بعيدة جائعاً فكرهت أن أردّه .

قال : فما أنت صانع اليوم ؟ .

قال : أطوي يومي هذا .

فقال عبدالله بن جعفر : ءألام على السّخاء وهذا العبد أسخى مني ؟ .

ثم اشترى الحائط وما فيه من النخيل والآلات ، واشترى الغلام ثم أعتقه ووهبه الحائط بما فيه من النخيل[٢٣] .

ويشير السيد بحر العلوم الى أن الخيرات والبركات قد انهالت على عبدالله بن جعفر عند زواجه بالسيدة زينب (عليها السلام) فيقول : وزحفت البركة على ابن جعفر مع زينب فوفد عليه الرزق من المال والولد ، وامتلاك الضياع ، وفاضت أرضه بالثّمار والغلات ، ووفد أهل المدينة وأبناء السبيل في حاجاتهم على

---

(٢٢) (زينب عقيلة بني هاشم) عبد العزيز سيد الأهل ص٢٢.
(٢٣) زينب الكبرى ص٨٨.

بابه : باب زينب بنت الزهراء[٢٤] .

وكان عبدالله بن جعفر منقطعاً الى عمّه أمير المؤمنين(عليه السلام) ثم الى الحسنين (عليهما السلام) وله في الجمل وصفين والنهروان ذكر مشهور .

واشار ابن عبد ربه الأندلسي الى أنّ عبدالله بن جعفر كان كاتباً لعّمه الإمام علي فترة خلافته[٢٥] .

ويقول السيد الخوئي (قده) عن شخصية عبدالله بن جعفر : جلالة عبدالله بن جعفر الطّيار بن أبي طالب بمرتبة لاحاجة معها الى الأطراء . وممّا يدلّ على جلالته أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يتحفّظ عليه من القتل كما كان يتحفّظ على الحسن والحسين (عليهما السلام) ومحمد بن الحنفية[٢٦] .

أمّا عدم خروجه مع الحسين (عليه السلام) الى كربلاء فقد قيل : انّه كان مكفوف البصر ، ولّما نعي اليه الحسين ، وبلغه قتل ولديه عون ومحمد كان جالساً في بيته ، ودخل عليه الناس يعزّونه فقال غلامه ابو اللسلاس : هذا ما لقينا من الحسين .

فحذفه عبدالله بنعله ، وقال له : يابن اللخناء أللحسين تقول هذا والله لو شهدته لما فارقته حتى أقتل معه ، والله انهما لمّا يسخى بالنفس عنهما : ويهون عليّ المصاب بهما انّهما أصيبا مع أخي وابن عمي مواسيين له صابرين معه .

ثم انّه أقبل على الجلساء فقال : الحمدلله اعزز عليّ بمصرع الحسين إن لم أكن واسيت الحسين بيدي فقد واسيته بولدي[٢٧] .

بقي أن نشير الى انّ عبدالله بن جعفر قد تزّوج في حياة السيدة زينب بنساء

(٢٤) (مقاتل الطالبيين) الأصفهاني ص٩١ ـ ٩٢ .
(٢٥) (العقد الفريد) الاندلسي ج٤ ، ص١٦٤ .
(٢٦) (معجم رجال الحديث) السيد الخوئي ج١٠ ، ص١٣٨ .
(٢٧) المصدر السابق ص٨٨.

أخريات منهنّ : الخوصاء بنت حفصة بن ثقيف بن ربيعه من بني بكر بن وائل ، ومنها ولده محمد الشهيد في كربلاء ، وكذلك أخوه عبيدالله الذي ذكرت بعض المصادر أنّه الشهيد الثالث من أولاد عبدالله بن جعفر في كربلاء[٢٨] .

تلك هي بعض الملامح والمعالم من حياة عبدالله بن جعفر قرين السيدة زينب وشريك حياتها .

وقد توفي سنة (٨٠ هـ) أو أربع أو خمس وثمانين ، في خلافة عبدالملك بن مروان ، وصلّى عليه السجّاد أو الباقر (عليهما السلام) وأمير المدينة يومئذٍ ابان بن عثمان بن عفان ، والذي أبّنه بقوله : كنت والله خيراً لا شرّ فيك ، وكنت والله شريفاً واصلاً براً[٢٩] .

---

(٢٨) (في رحاب السيدة زينب) بحر العلوم ص٣٦.
(٢٩) (زينب الكبرى) جعفر النقدي ص٩٠.

أولاد السيدة زينب :

من يتأمل نضال السيدة زينب وأدوارها الرسالية العظيمة يكاد يغفل عن أنّ لها ابناءً كانت تتحّمل مسئوليه رعايتهم وتربيتهم ، لتكون العقيلة زينب (عليها السلام) قدوة كاملة متكاملة للمرأة المسلمة الطموحة ، والتي تقوم بكلّ الأعباء والمهام العائلية المنزلية والدينية الأجتماعية ، ولنتعرّف الآن على ثمرات فؤادها وفلذات كبدها :

١ ـ عون بن عبدالله بن جعفر

كان مع أمه زينب في صحبة خاله الإمام الحسين ، وقد نال شرف الشهادة في كربلاء ، وفجعت به أمّه زينب الى جنب فجائعها الأخرى .

وقد برز الى ساحة الجهاد ، فجعل يقاتل قتال الأبطال وهو يرتجز :

ان تنكروني فأنا ابن جعفر   شهيد صدق في الجنان أزهر
يطير فيها بجناح أخضر   كفى بهذا شرفاً في المحشر

وتمكّن الشّاب البطل من قتل ثلاثة فوارس ، وثمانية عشر راجلاً . ثم ضربه

عبدالله بن قطنة الطائي النبهاني بسيفه فقتله .

وقد ورد ذكر عون في الزيارة الواردة من النّاحية المقدّسة أي عن الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر (عليه السلام) حيث قال :

« السلام على عون بن عبدالله بن جعفر الطيار في الجنان ، حليف الإيمان ، ومنازل الأقران ، النّاصح للرحمن ، التّالي للمثان ، لعن الله قاتله عبدالله بن قطنة النبهاني »[٣٠] .

٢ ـ محمد :

وقد ذكره العديد من الباحثين في حياة السيدة زينب ، كالسبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص) (ص ١١٠)[٣١] وذكره السيد الهاشمي في كتابه (عقيلة بني هاشم) (ص ٣٦) والدكتورة بنت الشاطي في (السيدة زينب) (ص ٥٠) والشيخ محمد جواد مغنية (مع بطلة الطف) (ص ٣٦) و م. صادق (زينب وليدة النبوة والإمامة) (ص ٦٢) وكتّاب آخرون .

ولكن يبدو أنّ لعبد الله بن جعفر ولداً آخر اسمه محمد من زوجة أخرى هي الخوصاء من بني بكر بن وائل ، وقد استشهد مع الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء ، ممّا سبّب الأشتباه عند بعض الباحثين فاعتبروا ولدّي عبدالله بن جعفر الشهيدين بكربلاء اعتبروهما ولدي السيدة زينب (عليها السلام) لكن التّحقيق يثبت أنّ عوناً فقط هو ابن السيدة زينب ، أمّا أخوه محمد فهو ابن ضرّتها « الخوصاء » كما نصّ على ذلك الباحثون حول شهداء كربلاء[٣٢] .

٢ ـ عباس :

ذكر المؤرخون اسمه دون الأشارة الى شيء من حياته وسيرته .

---

(٣٠) المصدر السابق ص١٢٨ . (٣١) المصدر السابق ص١٢٦ .

(٣٢) يراجع : (ابصار العين في أنصار الحسين) للشيخ محمد السماوي ص٤٠ ، و(حياة الإمام الحسين) للشيخ باقر شريف القرشي ج٣، ص٢٥٩ .

٣ - علي :

المعروف بالزينبي ، وفي نسله الكثرة والعدد ، وفي ذرّيته الذيل الطويل والسلالة الباقية ، وهو كما في (عمدة الطالب) أحد ارجاء آل أبي طالب الثلاثة .

وفي (تاج العروس) مادة « زينب » : « والزينبون بطن من ولد علي الزينبي بن عبدالله الجواد بن جعفر الطيار ، نسبة الى أمّه زينب بنت سيدنا علي (رضي الله عنه) وأمّها فاطمة (رض) وولد علي هذا أحد أرجاء آل أبي طالب الثلاثة »[٣٣] .

ويقول عنه السيد الهاشمي : وأما علي بن عبدالله فهو المعروف بالزينبي ، نسبة الى أمّه زينب بنت علي (عليهما السلام) ذكروا[٣٤] أنّه كان ثلاثة في عصر واحد بني عم ، يرجعون الى أصل قريب ، كلهم يسمّى علياً ، وكلهم يصلح للخلافة ، وهم : علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (السجاد) ، وعلي بن عبدالله بن العباس ، وعلي بن عبدالله بن جعفر الطيار ، ولكن إمام المسلمين وقتئذٍ كان السجّاد زين العابدين ، يعظّمه القريب والبعيد ، وتعنوا له كبار المسلمين ، وقد تزّوج علي بن عبدالله بن جعفر ، لبابة بنت عبدالله بن عباس حبر الأمة ، وكان نسل عبدالله بن جعفر منه ، والسّادة الزينبية كثيرون في العراق وفارس ومصر والحجاز والأفغان والهند ، وقد جعل الله البركة في نسل هذه السيدة الطّاهرة وطيب سلالتها[٣٥] .

وقال ابن عنبه : كان علي الزينبي يكنّى أبا الحسن وكان سيداً كريماً[٣٦] .

وقد ألّف الحافظ جلال الدين السيوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ) رسالة حول ذريّه السيدة زينب سمّاها (العجاجة الزرنبيّة في السلالة الزينبية)[٣٧] .

---

(٣٣) (زينب الكبرى) جعفر النقدي ص١٢٧ .

(٣٤) نقل ذلك الأزورقاني من كتاب (المصابيح) لأبي بكر الورّاق .

(٣٥) (عقيلة بني هاشم) الهاشمي ص٤٠ .

(٣٦) (عقيلة الطهر والكرم) موسى محمد علي ص١١٤ . (٣٧) مجلة (الموسم) ص٨٥٨ .

٥ ـ أمّ كلثوم :

أمّ كلثوم : وهي البنت الوحيدة كما يبدوا للسيدة زينب ، ولابد وأنّها قد ورثت شمائل أمّها ، وتحلّت بمكارم أخلاق أبيها ، ولذلك تسابق الخاطبون لطلب يدها وكان من جملتهم معاوية بن أبي سفيان خطبها أيّام سلطته لولده يزيد ، وكلّف واليه على المدينة مروان بن الحكم أن يخطبها من أبيها ليزيد بن معاوية ، فقال أبوها عبدالله بن جعفر :

إن أمرها ليس اليّ إنّما هو الى سيدّنا الحسين وهو خالها .

فأخبر الحسين بذلك ، فقال : أستخير الله (تعالى) اللهمّ وفّق لهذه الجارية رضاك من آل محمد .

فلما اجتمع الناس في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أقبل مروان حتى جلس الى الحسين (عليه السلام) وقال :

إنّ أمير المؤمنين معاوية أمرني بذلك ، وأن أجعل مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ ، مع صلح ما بين هذين الحيّين ، مع قضاء دينه ، واعلم انّ من يغبطكم بيزيد أكثر ممّن يغبطه بكم ، والعجب كيف يستمهر يزيد وهو كفؤ من لاكفؤ له ، وبوجهه يستسقي الغمام ، فردّ خيراً ياأباعبدالله .

فقال الحسين : الحمد لله الذي اختارنا لنفسه ، وارتضانا لدينه ، واصطفانا على خلقه .

ثم قال : يامروان قد قلت فسمعنا .

أمّا قولك : مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ ، فلعمري لو أردنا ذلك ما عدونا سنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بناته ونسائه وأهل بيته ، وهو اثنتاعشرة أوقية يكون اربعمائة وثمانين درهماً .

وأما قولك : مع قضاء دين أبيها ، فمتى كنّ نساؤنا يقضين عنّا ديوننا ؟ .

وأمّا صلح ما بين هذين الحيّين ، فإنّا قوم عاديناكم في الله ، ولم نكن نصالحكم للدنيا ، فلعمري لقد اعيا النّسب فكيف السبب ؟ .

وأمّا قولك : والعجب كيف يستمهر يزيد ؟ فقد استمهر من هو خير من يزيد ، ومن أبي يزيد ، ومن جدّ يزيد ! .

وأمّا قولك : إنّ يزيد كفؤ من لاكفؤ له ، فمن كان كفوه قبل اليوم فهو كفوه اليوم ما زادته امارته في الكفاءة شيئاً .

وأمّا قولك : وجهه يستسقى به الغمام : فإنّما كان ذلك وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

وأمّا قولك : من يغبطنا به أكثر ممّن يغبطه بنا ، فإنّما يغبطنا به أهل الجهل ويغبطه بنا أهل العقل .

ثم قال (عليه السلام) : فاشهدوا جميعاً إني قد زوّجت أمّ كلثوم بنت عبدالله بن جعفر من ابن عمّها القاسم بن محمد بن جعفر على اربعمائة وثمانين درهماً وقد نحلتها ضيعتين بالمدينة ـ أو قال أرضي العقيق ـ وإنّ غلتّها بالسنة ثمانية آلاف دينار ففيهما لهما غنى إن شاء الله تعالى . فتغيّر وجه مروان ، وقال :

أردنا صهركم لنجد وداً قد أخلقه به حدث الزمان
فلمّا جئتكم فجبهتموني وبحتم بالضمير من الشنان

فأجابه ذكوان مولى بني هاشم :

أماط الله عنهم كلّ رجس وطهرهم بذلك في المثاني
فمالهم سواهم من نظير ولاكفو هناك ولا مداني
أتجعل كلّ جبار عنيد الى الأخيار من أهل الجنان[٣٨]

---

(٣٨) (زينب الكبرى) جعفر النقدي ص١٢٩ .

مع أبيها علي

طبيعي أن تنشدّ البنت لأبيها وتتعلّق به ، وخاصّة اذا ما فقدت البنت أمّها فسيصبح أبوها حينئذٍ هو المنبع الوحيد للعاطفة والحنان و الرعاية تجاهها .

وفي علاقة السيدة زينب بأبيها علي بن أبي طالب هناك عامل اضافي يتمثل في الصّفات والسّمات النّفسية والأخلاقية التي يتمتّع بها الإمام علي والتي تفرض حبّه وعشقه واكباره على كلّ من التقى به أو عاشره أو سمع عنه .

بل إنّ أيّ واحدة من سوابقه ومناقبه لحريّة باخضاع النّفوس والقلوب لمكانته وجلالته كما يقول أبو الطفيل :

قال بعض أصحاب النبي : لقد كان لعلي من السّوابق مالو أنّ سابقه منها بين الخلائق لو سعتهم خيراً[1] .

ومن عرف علياً أو تعرّف عليه فلم يهيمن حبّ علي على قلبه فذلك دلالة على انحراف في طبعه وخلل في ذاته .

---

(١) (أسد الغابة في معرفة الصّحابة) ابن الاثير ج٣، ص٥٩٨ .

وهل يكره الخير عاقل ؟! أو هل يبغض النور سويّ ؟ لذلك قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) للإمام علي : « لايحبّك الاّ مؤمن ولا يبغضك الاّ منافق »[2] .

وقال أبو سعيد الخدري : كنّا نعرف المنافقين ـ ، نحن معاشر الأنصار ـ ببغضهم علي بن ابي طالب[3] .

وحتّى ألدّ خصومه وأعدائه معاوية بن أبي سفيان لم يستطع كتمان اعجابه بشخصيّته (عليه السلام) حيث قال لمّا بلغه قتله :

ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب .

فقال له اخوه عتبة : لايسمع هذا منك أهل الشام ؟ .

فقال له : دعني عنك[4] .

وحينما وصف ضرار بن ضمرة شخصيّة الإمام علي بمحضر معاوية بعد وفاة الإمام بكى معاوية ووكفت دموعه على لحيته ما يملكها ، وجعل ينشفها بكمّه ، وقد اختنق القوم بالبكاء ، وقال معاوية :

رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك ، فكيف حزنك عليه ياضرار ؟ قال : حزن من ذبح ولدها بحجرها فهي لا ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها[5] .

واذا كانت شخصيّة علي تأسر حتى قلوب أعدائه فضلاً عن أصحابه وأتباعه فما هو مدى تأثير شخصيّته على ابنته القريبة منه والمتعلّقة به ؟ .

---

(٢) المصدر السابق ص٦٠٢ .
(٣) المصدر السابق ص٦٠٧ .
(٤) (أئمتنا) علي دخيّل ج١ ، ص٩١ .
(٥) المصدر السابق ص٩٢ .

نحاول في السطور التّالية أن نقتطف من ذاكرة التاريخ ما سجلّته من صور ولقطات عن تلك العلاقة الإيمانية الانسانية الحميمة بين السيدة زينب وابيها الإمام (عليهما السلام) ، لنرى كيف عاشت السيدة زينب في ظلّ أبيها :

الحفاظ على مهابة زينب وصونها :

حدّث يحيى المازني قال : كنت في جوار أمير المؤمنين (عليه السلام) في المدينة مدّة مديدة وبالقرب من البيت الذي تسكنه زينب ابنته ، فلا والله ما رأيت لها شخصاً ولا سمعت لها صوتاً ، وكانت اذا أرادت الخروج لزيارة جدّها رسول الله (صلى الله عليه وآله) تخرج ليلاً ، والحسن عن يمينها ، والحسين عن شمالها ، وأمير المؤمنين أمامها ، فاذا قربت من القبر الشريف سبقها أمير المؤمنين (عليه السلام) فأخمد ضوء القناديل .

فسأله الحسسن مرّة عن ذلك ؟ .

فقال : أخشى أن ينظر أحد الى شخص أختك زينب(٦) .

سيدة بيت أبيها تزوّج الإمام علي (عليه السلام) بعد فقد الزهراء (عليها السلام) أكثر من زوجة ، لكن أياً من زوجاته لم تكن لتأخذ مكان السيدة زينب وموقعها في بيت أبيها فهي سيّدة البيت بما تمثّله من امتداد لأمّها الزهراء وبما تمتلكه من صفات ومؤهلات ، وبما تتمتّع به من محبّة واحترام متبادل مع أبيها وأخويها الحسنين .

---

(٦) (زينب الكبرى) جعفر النقدي ص٢٢.

وحتّى بعد زواجها بابن عمّها عبدالله بن جعفر فإنّها لم تنقطع عن بيت أبيها ، ولم تشغلها التزاماتها الزّوجية والعائلية عن أداء دورها المّميز في بيت علي .

يقول السيد بحر العلوم : ورغم أنّ زينب عاشت في بيت الزوجية ، لكن الزواج لم يشغلها عن تحمّل مسؤليات بيت أبيها علي ، فهي بنت الزهراء ، وحفيدة خديجة ، وتحمّل المسؤلية من خصال ربّات هذا البيت . وزينب عقيلة بني هاشم ، وسيّدة البيت العلوي ، وزعيمة القوم ، رغم أنّها تزّوجت ، وانتقلت الى بيت ابن جعفر الاّ أنّها لم تتخلّ عن المسؤولية ، لتدير بيت أبيها ،وتهتّم بشؤون أخويها ، وتصبح المسؤولة عنهم أولاً وآخراً[٧] .

وتقول بنت الشاطيء : ولم يفرق الزواج بين زينب وأبيها واخوتها ، فقد بلغ من تعلّق الإمام علي بابنته وابن أخيه أن أبقاها معه ، حتّى اذا ولي أمر المسلمين وانتقل الى الكوفة ، انتقلا معه ، فعاشا في مقّر الخلافة ، موضع رعاية أمير المؤمنين واعزازه ، ووقف عبدالله بجانب عمّه في نضاله الحربي ، فكان أميراً بين أمراء جيشه في صفين .

وعرف الناس مكانة عبدالله من بيت النبّوة ، فكانوا يلتمسون لديه الوسيلة الى أمير المؤمنين ، والى ولديه الحسن والحسين ، فلا يردّ له طلب ولا يخيب رجاء .

جاء في (الأصابة) (ج ٤ ص ٤٨) نقلاً عن محمد بن سيرين : أنّ دهقاناً من أهل السّواد كلّم أبن جعفر في أن يكلّم علياً في حاجة ، فكلّمه ، فقضاها ، فبعث اليه الدهقان أربعين ألفاً فردّها قائلاً : إنّا لا نبيع معروفاً[٨] .

---

(٧) (في رحاب السيدة زينب) بحر العلوم ص٣٧.
(٨) (السيدة زينب) عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء ص٥٠.

في موكب أبيها الى الكوفة :

بعد أن اختارته جماهير الأمّة حاكماً وخليفة ، وبايعه النّاس برغبتهم واختيارهم ، وبشكل لاشبيه له في تاريخ المسلمين ، وذلك في شهر ذي الحجة سنة (٣٥ هـ) في أعقاب مقتل الخليفة عثمان بن عفان .

قرّر الإمام علي الأنتقال الى الكوفة لمواجهة التّطوّرات السياسيّة حيث نكث بعض مبايعيه بيعته كطلحة والزبير واستقطبوا معهم السيدة عائشة زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله) واتّخذوا البصرة بؤرة لتّمردهم عليه ، كما كانَ معاوية يعبّيء أهل الشام ضدّ خلافة الإمام .

وكانا الإمام مدركاً لما ينتظره من أوضاع خطيرة في عاصمة خلافته الجديدة « الكوفة » ولكنه قرّر أن يصطحب معه ابنته زينب ، فهو يريدها الى جانبه في الظروف الحسّاسة والحرجة ، وهي تصعب عليها مفارقة أبيها والابتعاد عنه .

وهكذا ودّعت السيدة زينب مسقط رأسها ومرتع طفولتها ومثوى جدّها وأمّها المدينة المنورة ورافقت اباها في رحلته الى الكوفة بمعيّة زوجها عبد الله بن جعفر .

ويصف الشيخ النقدي ظروف سفر السيدة زينب في موكب أبيها بقوله : سافرت زينب هذه السفرة وهي في غاية العز ، ونهاية الجلالة والأحتشام يسير بها موكب فخم رهيب من مواكب المعالي والمجد ، محفوف بأبّهة الخلافة ، محاط بهيبة النبّوة ، مشتمل على السكينة والوقار ، فيه أبوها الكرّار أمير المؤمنين ، واخوتها الحسنان سيّد شباب أهل الجنة ، وحامل الراية العظمى محمد بن الحنفية ، وقمر بني هاشم العباس بن علي ، وزوجها الجواد عبدالله بن جعفر ، وأبناء عمومتها عبدالله بن عباس ، وعبيدالله واخوتهما ، وبقيّة أبناء جعفر الطيار ، وعقيل بن أبي طالب ، وغيرهم من فتيان بني هاشم ، وأتباعهم من رؤساء القبائل ، وسادات العرب مدجّجين بالسّلاح ، غاصّين في الحديد ، والرايات ترفرف على رؤوسهم ،

وتخفق على هاماتهم ، وهي في غبطة وفرح وسرور[9] .

مدرستها العلمية :

لم تكن دار علي في الكوفة مجرّد مركز للسّلطة والحكم ، ولا كان وجوده الشريف منحصراً في شخصيته ودوره كحاكم وقائد ، بل كانت داره مركز اشعاع للمعرفة والفكر ، وكان دوره في التّوجيه الروحي الفكري لايقلّ عن دوره في الزّعامة السياسية الإجتماعية .

ولكي تنتشر المعرفة في جميع أوساط المجتمع ، وحتى لا يحرم أحد من حقّه في الثقافة والوعي ، عهد الإمام علي الى ابنته العقيلة زينب أن تتصدّى لتعليم النّساء وأن تبث المعرفة والوعي في صفوفهن .

فكانت العقيلة زينب تفسّر لهنّ القرآن الكريم ، وتروي لهنّ أحاديث جدّها المصطفى (صلى الله عليه وآله) وأخبار أمّها الزهراء (عليها السلام) وتوجيهات أبيها المرتضى (عليه السلام) .

فقد ورد أنّه كان لها مجلس في بيتها أيّام اقامة أبيها (عليه السلام) في الكوفة ، وكانت تفسّر القرآن للنساء ، وقد دخل عليها أبوها ذات يوم وهي تفسّر بداية سورة الكهف وسورة مريم (كهيعص)[10] [11] .

---

(٩) (زينب الكبرى) جعفر النقدي ص٩٢ .
(١٠) سورة مريم، الآية(١).
(١١) (زينب الكبرى) جعفر النقدي ص٣٦.

امتيازات الخلافة والحكم :

الوصول الى سدّة الخلافة والحكم يعني الحصول على الأمتيازات والمكاسب المادّية والسياسيّة والإجتماعيّة ، فالحاكم تتمركز بيده القوة وتكون تحت تصرّفه الثروة والامكانات فيعيش في أعلى درجة من الراحة والرفاه ، وتنعم عائلته واقرباؤه واعوانه بصنوف النّعم والأمتيازات من مناصب واقطاعات وعطاءات وهبات .

هذا ما ينقله التّاريخ لنا من تلاعب الحكّام الأمويين والعباسيين وغيرهم في الماضي بثروات الأمّة ، وبناء القصور بها والأستيلاء على الأرضي واكتناز الثّروات ، وبسط الموائد الفاخرة .

فقد كان شباب بني مروان ايّام حكمهم يرفلون في الوشيىء كأنّهم الدنانير الهرقلية ، وكان مروان بن ابان بن عثمان يلبس سبعة اقمص كأنّها درج بعضها أقصر من بعض ، وفوقها رداء عدني بألفي درهم ، أمّا نساؤهم فقد كنّ يلبسن الديباج والحرير[١٢] .

---

(١٢) (حياة الإمام الباقر) باقر شريف القرشي ج٢ ، ص١٥١ .

ولما تزوّج مصعب بن الزبير بعائشة بنت طلحة أمهرها بألف ألف درهم واهدى لها ثماني حبّات من اللؤلؤ قيمتها عشرون ألف دينار ، وكانت تحجّ ومعها ستّون بغلة عليها الهوادج والرحائل[١٣] .

وكان معاوية بن أبي سفيان يقول : الأرض لله وأنا خليفة الله فما آخذ من مال الله فهو لي وما تركته كان جائزاً لي[١٤] .

وكتب معاوية الى زياد بن أبيه عامله على العراق أن يصطفي له الصفراء والبيضاء ، فأوعز زياد الى عمّاله بذلك ، وأمرهم أن لا يقسموا بين المسلمين ذهباً ولا فضة[١٥] .

وكذلك كان الحال لدى حكّام بني العباس ، فقد ورد أنّ هارون الرشيد كان ينفق كل يوم على موائد طعامه عشرة آلاف درهماً ، وربّما اتّخذ له الطّباخون ثلاثين لوناً من الطعام[١٦] .

وقد شغف هارون الرشيد بالجواهر والأحجار الثّمينة فاشترى خاتماً بمائة ألف دينار ، وكان عنده قضيب زمرّد أطول من ذراع ، وعلى رأسه تمثال طائر من ياقوت أحمر لا تقدير لثمنه ، نظراً لنفاسته وقد قُيِّم الطائر وحده بمائة ألف دينار[١٧] .

ويتحدّث التاريخ عن ترف واسراف زوجته زبيدة ، فقد اشترت غلاماً ضرّاباًعلى العود مجيداً بثلاثمائة ألف درهم ،واتخذت الخفاف ـ الأحذية ـ المرصّعة بالجوهر تلبسها في قصرها ، واتّخذت سبحة من يواقيت رمانية كالبنادق اشترتها بخمسين ألف دينار . وصنعت لها بساطاً من الديباج جمع صورة كل حيوان من جميع الأجناس ، وصورة كلّ طائر من الذهب وأعينها من يواقيت وجواهر يقال أنّها أنفقت عليها نحواً من ألف ألف دينار ، واتّخذت آلة من الذهب المرصّع

---

(١٣) المصدر السابق ص١٥٢ .
(١٤) (حياة الإمام موسى بن جعفر) باقر شريف القرشي ج١ ، ص٣٠١ .
(١٥) المصدر السابق ص٣٠١ .
(١٦) المصدر السابق ج٢ ، ص٣٩ . (١٧) المصدر السابق ص٤٦ .

بالجوهر ، والثّوب من الوشي الرفيع يزيد ثمنه على خمسين ألف دينار[١٨] .

ولم تقتصر مظاهر البذخ وحياة التّرف على الخلفاء والحاكمين وعوائلهم بل شملت وزراءهم وأعوانهم ، فقد كانت لأمّ جعفر الوزير البرمكي للعباسيين مائة وصيفة لباس كلّ واحدة وحليّها خلاف لباس الأخرى وحليّها[١٩] .

هكذا يعيش الخلفاء ونساؤهم وعوائلهم فكيف كان يعيش علي بن أبي طالب مع نسائه وعائلته أيّام خلافته ؟ وماذا نالت ابنته زينب من امتيازات الخلافة والحكم ؟ وهي كبرى بنات الخليفة ، وحبيبة قلبه ، وسيّدة بيته ؟ .

لنستعرض بعض ما ينقله لنا التاريخ عن حياة علي أثناء خلافته لنرى الظروف والأوضاع التي عايشتها السيدة زينب في ظلّ خلافة أبيها في الجانب الحياتي المادّي .

كان علي يوزّع ما في بيت المال اسبوعياً كلّ جمعة ، ثم يكنس بيت المال وينضحه بالماء ، ثم يصلّي فيه ركعتين ويقول : « أشهد لي يوم القيامة أنّي لم أحبس فيك المال على المسلمين »[٢٠] .

وعن الشعبي قال : دخلت الرّحبة وأنا غلام في غلمان فاذا أنا بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب قائماً على صرّتين من ذهب وفضّة ، فقسّمه بين الناس حتى لم يبقَ منه شيء ورجع ولم يحمل الى بيته منه شيئاً ، فرجعت الى أبي فقلت : لقد رأيت اليوم خير الناس أو أحمق الناس .

قال : ومن هو يابني ؟ .

قلت : رأيت أمير المؤمنين علياً فقصصت عليه الذي رأيته يصنع فبكى وقال :

---

(١٨) المصدر السابق ص٤٨ .

(١٩) المصدر السابق ص٥٠ .

(٢٠) (الغارات) أبو اسحاق الثقفي (المتوفى: ٢٨٣هـ) ج١ ، ص٤٩ .

يابني بل رايت خير النّاس[٢١] .

وعن أبي رجاء يزيد بن محجن أنّ علياً أخرج سيفاً له الى السوق فقال : من يشتري منّي سيفي هذا ؟ فوالذي نفسي بيده لو أنّ معي ثمن إزار لما بعته ! .

قال ابو رجاء : فقلت : ياأمير المؤمنين أنا أبيعك ازاراً وأنسئك ثمنه الى عطائك .

فبعته ازاراً الى عطائه ، فلمّا قبض عطاءه أعطاني حقّي[٢٢] .

وعن سويد بن غفلة قال : دخلت على أمير المؤمنين (عليه السلام) فاذا بين يديه قعب لبن أجد ريحه من شدّة حموضته ، وفي يده رغيف ترى قشار الشعير على وجهه ، وهو يكسره ويستعين أحياناً بركبته ، واذا جاريته فضة قائمة على رأسه ، فقلت لها :

يافضة أما تتّقون الله في هذا الشيخ ؟ لو نخلتم دقيقه .

فقالت : إنّا نكره أن يؤجر ونأثم ، وقد أخذ علينا أن لا ننخل له دقيقاً ما صحبناه .

فقال علي : ما يقول ؟ .

قالت : سله .

فقلت له : ما قلت لها : لو ينخلون دقيقك .

فبكى ثم قال : بإبي وأُمي من لم يشبع ثلاثاً متوالية من خبز برّ حتى فارق الدنيا ، ولم ينخل دقيقه ـ يعني رسول الله (صلى الله عليه وآله) ـ[٢٣] .

---

(٢١) المصدر السابق ص٥٤ .
(٢٢) المصدر السابق ص٦٣ .
(٢٣) المصدر السابق ص٨٧ .

وعن الإمام جعفر بن محمد قال : أُتي علي بخبيص فأبى أن يأكله .

قالوا : تحرّمه ؟ .

قال : لا ولكني أخشى أن تتوق اليه نفسي .

ثم تلا ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾[24] [25] .

هكذا كانت السيدة زينب ترى حياة أبيها الخليفة ، وكانت سياسة أبيها تنعكس بالطبع على حياتها فقد روي أنّ زوجها عبدالله بن جعفر أصابته حاجة وهو ثري لكنّه ينفق أمواله كرماً وجوداً .

فجاء الى عمّه أمير المؤمنين علي ليطلب منه معونة من بيت المال ، وعبد الله عزيز على قلب عمّه ، وهو زوج ابنته العزيزة الأثيرة زينب ، فبماذا أجابه علي ؟ . .

لنقرأ نصّ الرواية :

قال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لعلي : ياأمير المؤمنين لو أمرت لي بمعونة فوالله ماعندي الاّ أن أبيع بعض علوفتي .

وفي رواية : الاّ أن أبيع دابّتي .

قال له علي : لا والله ماأجد لك شيئاً الاّ أن تأمر عمّك أن يسرق فيعطيك !![26] .

فعلي لايجد لابن أخيه العزيز وزوج ابنته العزيزة عطاءً أكثر من حصّته المقرّرة كسائر المسلمين ، ويعتبر أيّ عطاء اضافي نوعاً من السرقة من بيت المال !! .

---

(٢٤) المصدر السابق ص٩٠ .

(٢٥) سورة الأحقاف ، الآية(٢٠).

(٢٦) (الغارات) أبو اسحاق الثقفي ج١ ، ص٦٦ .

وقال الإمام محمد الباقر (عليه السلام) : إنّ علياً ولي الخلافة خمس سنين وماوضع آجرة ولا لبنة على لبن ولا أقطع قطيعاً ولا أورث بيضاء ولا حمراء[٢٧] .

وقصّة أخرى ينقلها التّاريخ تحكي عن وضع بنات الإمام علي وعائلته اثناء خلافته ، وكيف انّهم لم يستفيدوا أيّ شيء مادي من امتيازات الخلافة والسلطة :

عن علي بن أبي رافع قال : كنت على بيت مال علي بن أبي طالب وكاتبه ، وكان في بيت المال عقد لؤلؤ .

قال : فأرسلت اليّ بنت علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقالت لي : بلغني أنّ في بيت مال أمير المؤمنين عقد لؤلؤ وهو في يدك ، وأنا أحبّ أن تعيرنيه أتجمّل به في أيّام عيد الأضحى . فأرسلت اليها ، وقلت : عارية مضمونة يا ابنة أمير المؤمنين . .

فقالت : نعم عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام . .

فدفعته اليها . . وإنّ أمير المؤمنين رآه عليها فعرفه ، فقال لها : من أين صار اليك هذا العقد ؟ . .

فقالت : استعرته من أبن أبي رافع خازن بيت مال أمير المؤمنين لأتزيّن به في العيد ثمّ أردّه . .

قال : فبعث اليّ أمير المؤمنين فجئته ، فقال : أتخون المسلمين يابن أبي رافع ؟ .

فقلت : معاذ الله أن أخون المسلمين .

فقال : كيف أعرت بنت أمير المؤمنين العقد الذي في بيت مال المسلمين بغير اذني ورضائي ؟ .

فقلت : ياأمير المؤمنين إنّها ابنتك ، وسألتني أن أعيرها إيّاه تتزيّن به ،فأعرتها

(٢٧) (علي من المهد إلى اللحد) القزويني ص١٤٠ .

إيّاه عارية مضمونةمردودة ، وضمنته في مالي ، وعليّ أن أردّه مسلّماً الى موضعه .

فقال : ردّه من يومك وإيّاك أن تعود لمثل هذا فتنالك عقوبتي ، ثم اولى لإبنتي لوكانت أخذت العقد على غيرعارية مضمونة مردودة لكانت أذن أول هاشمية قطعت يدها في سرقة .

قال : فبلغ مقالته ابنته ، فقالت له : يا أمير المؤمنين أنا ابنتك وبضعة منك فمن أحقّ بلبسه منّي ؟ .

فقال لها أمير المؤمنين : يابنت علي بن أبي طالب لاتذهبي بنفسك عن الحق ، أكلّ نساء المهاجرين تتزيّن في هذا العيد بمثل هذا ؟ .

قال ابن أبي رافع : فقبضته منها ورددته الى موضعه[٢٨] .

من كانت تلك البنت ؟ هل هي زينب ؟ أم احدى أخواتها ؟ لعلّها لم تكن زينب لأنّ تقواها ومعرفتها بسياسة أبيها تمنعها من ذلك .

والمهمّ أن نعرف أنّ زينب لم تنل من امتيازات الخلافة والحكم شيئاً ، حتّى بمقدار سدّ عوز وحاجة بيتها ، أو في حدود استعارة شيء من بيت المال كعارية مضمونة مردودة .

---

(٢٨) (بحار الأنوار) المجلسي ج٤٠، ص٣٣٨.

من بيتها انطلق الى الشهادة :

لقد واكبت السيدة زينب حوالي ثلثي عمر أبيها وحياته فحينما ولدت في السنة الخامسة للهجرة كان عمر أبيها (٢٨ سنة) ، وعاصرته وهو يتقلّب بين المعارك والحروب في عهد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، ثم عايشت معه مصيبة فقد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) والأحداث التي تلتها ، من مصادرة حقّه في الخلافة ، ومن ثمّ انعزاله وانكفاؤه لفترة في منزله وخاصّة عند فقد شريكة حياته الزهراء (عليها السلام) ، ورافقت أباها حينما تولّى الخلافة والحكم وصحبته الى الكوفة وبالتّالي عايشت الظروف الصّعبة القاسية التي مرّت بأبيها فترة السنوات الخمس ، من تمرّد الناكثين والمارقين والقاسطين ، حيث اضطرّ الإمام علي لخوض ثلاث معارك مؤلمة :

١ ـ معركة الجمل :

حيث تحالفت السيدة عائشة بنت أبي بكر زوج رسول الله مع طلحة بن عبد الله التيمـي ، والزّبير بن العوّام ابن عمّة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، تحالفت معهما للتمرّد على سلطة الإمام علي وكانا قد بايعاه ، فسارت معهما الى

البصرة تحرّض النّاس ضدّ الإمام وتدعوهم لقتاله تحت شعار المطالبة بدم الخليفة عثمان ، واحتشد معها ثلاثون ألف مقاتل ، وقد سعى الإمام وحاول التّفاوض والحوار معهم لاعادتهم الى جادّة الحقّ والشرعية لكنهم أصرّوا على القتال والمواجهة ، فزحف اليهم الإمام علي في عشرين ألف مقاتل ، ودارت بين الطرفين معركة حامية الوطيس تكشفت عن سقوط حوالي (١٨ ألف قتيل) ، (١٣ ألف من أصحاب الجمل) ، و (٥ آلاف من أصحاب علي) ، وقتل طلحة والزبير في المعركة ، وعقر الجمل الذي كانت تمتطيه عائشة وسمّيت المعركة بإسمه .

وكان ذلك في يوم الخميس العاشر من جمادي الثانية سنة (٣٦ هـ) .

٢ ـ معركة صفّين :

من عهد الخليفة عمر بن الخطاب كان معاوية والياً على الشام ، و قد ازداد نفوذه وصلاحياته أيام ابن عمّه الخليفة عثمان بن عفان ، وقد علم أنّ الإمام علياً لن يقرّه على منصبه ، ولن يفسح له المجال ليلعب كما يحلو له وكما كان في العهد السابق ، اضافة الى مايعتمل في نفسه من حقد وعداء للإمام علي ، لذلك رفض بيعة الإمام وأعلن التمرّد وشجّعه على ذلك ماأقدمت عليه عائشة وطلحة والزبير ، فعبّأ أهل الشّام وماحولها وقاد منهم جيشاً لجباً يبلغ عدد مقاتليه (٨٥ ألف جندي) .

وزحف معاوية بجيشه الى منطقة يقال لها صفين قرب الرقّة حيث استقبله الإمام بجيش قوامه تسعون ألفاً ، ولم تجد محاولات الإمام في الموعظة والارشاد والتفاوض والحوار شيئاً ، لذلك نشبت المعركة في أول يوم من ذي الحجة سنة (٣٦ هـ) أي بعد حوالي خمسة أشهر من معركة الجمل ، وانتهت في (١٣ شهر صفر ـ سنة ٣٧ هـ) عبر قضية التحكيم المشهورة ، وبعد أن تساقط من المسلمين (٧٠ ألف قتيلاً) ، (٤٥ ألف من جيش معاوية) ، و (٢٥ ألفاً من معسكر الإمام علي) من بينهم خيار أصحاب الإمام وأحّبته كعمّار بن ياسر وهاشم لمرقال .

٣ ـ معركة النهروان :

لقد قبل الإمام علي بالتّحكيم بعد رفع المصاحف من قبل أهل الشام مضطراً لرغبة أكثرية أتباعه في ذلك ، لكنّ طائفة من جيشه غيّروا رأيهم بعد ذلك ورأوا أنّ القبول بالتّحكيم كان خطأً كما هو رأي الإمام علي في البـداية ، وطالبوا الإمام بالتّراجع ونقض نتيجة التحكيم والأعتراف بأنه كان مخطئاً في موقفه ، وشكّلوا لهم تجّمعاً مضاداً منشقاً على الإمام ، وبدأوا يثيرون الفتنة ويمارسون الإرهاب ، فبعث لهم الإمام الرسل والوسطاء المفاوضين حتى يرتدعوا عن غيّهم وردّ على اشكالاتهم وشبههم مراراً في خطبه وأحاديثه ، فلمّا أصرّوا على البغي وممارسة الأرهاب زحف عليهم الإمام بجيشه في منطقة النّهروان بين بغداد وحلوان ، وكانوا أربعة آلاف رجلٍ ، تراجع منهم ألف ومائتان بعد خطب الإمام ومحاولاته لهدايتهم ، أمّا الباقي فقد بادروا الى الحرب ورموا معسكر الإمام بالنّبال ، فحمل عليهم الإمام بجيشه وأبادهم ولم يفلت منهم الاّ أقلّ من عشرة أشخاص .

وتُعرف هذه الواقعة بواقعة الخوارج ، وقد حصلت بعد شهور قلائل من انتهاء واقعة صفين وفي نفس سنة (٣٧ هـ) .

لقد كانت هذه المعارك مؤلمة جداً لنفس الإمام وموجعة لقلبه ، انّه كان يحمل للأمّة منهج إنقاذ وخلاص ، ويخطط لتطبيق العدل والمساواة والحرية ، وأن يكمل مسيرة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في بناء خير أمّة أخرجت للناس ، لكن الأنتهازيين والمصلحين والحاقدين والجهلاء عرقلوا برنامجه الطموح ووضعوا العقبات الكأداء في طريقه اللاحب ، وأضاعوا على الأمة والبشرية جمعاء فرصة ذهبية تاريخية .

وأصبح علي يقلّب كفّيه حسرة على واقع الأمّة المؤسف ، ويجتّر آهاته وآلامه لفقده خيرة أصحابه في تلك المعارك المفروضة عليه ، ولمّا أصاب معسكره وجمهوره من تعب وتردّد وتقاعس ، ولممارسات معاوية الأستفزازية التخّريبية بغاراته على البلدان الخاضعة لحكم الإمام .

ولم تكن السيدة زينب بعيدة عن الآم أبيها ومعاناته ، فهي تسمعه أو يبلغها عنه ما كان يخطب به جمهوره من على منبر الكوفة ، وهو يصرخ فيهم موبّخاً معاتباً يستثير هممهم ويستنهض حميّتهم قائلاً :

« ياأشباه الرجال ولا رجال ! .

حلوم الأطفال ، وعقول ربّات الحجال ! .

لوددت أنّي لم أركم ولم أعرفكم معرفة والله جرّت ندماً ، وأعقبت سدما ! .

قاتلكم الله ! .

لقد ملأتم قلبي قيحاً وشحنتم صدري غيظاً ، وجرّعتموني نُغَبَ التهمام أنفاساً ، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان . . »[٢٩] .

ويأتيه خبر احدى غارات معاوية وعبثه وفساده في منطقة الأنبار ، فيمتلىء قلبه حزناً وألماً لما أصاب الناس الآمنين من بطش جيش معاوية ، ويتمنّى الموت ولا يراه كثيراً أمام تحمّل هذه الآلام والمآسي ، وتسمع زينب اباها وهو يبثّ همومه ومعاناته قائلاً :

« ولقد بلغني أنّ الرجل منهم ـ من جيش معاوية ـ كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة ، فينتزع حجلها وقلبها ، وقلائدها ورعثها ، ما تمتنع منه الاّ بالاسترجاع والاسترحام .

فلو انّ امرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً بل كان به عندي جديرا ! .

فياعجباً ! عجباً والله يميت القلب ويجلب الهمّ »[٣٠] .

ويبلغها عن أبيها موقفه على مصارع خلّص أصحابه في صفّين كعمّار بن ياسر

---

(٢٩) (نهج البلاغة) الإمام علي، الخطبة رقم: ٢٧.
(٣٠) المصدر السابق.

وهاشم المرقال ، وهو يتضجّر من الحياة ويتمنّى الموت ، وينشد باكياً :

ألا أيّها الموت الذي لست تاركي ارحني فقد أفنيت كلّ خليل
أراك بصيراً بالذين أحبّهم كأنّك تنحو نحوهم بدليل

لقد اشتدّت محنة الإمام وأحاطت به الآلام ، فصار يستعجل الرحيل عن هذه الدنيا وأهلها ، ويتشوّق الى لقاء الله لكن عبر أفضل سبيل وأسرع طريق وهو الشهادة ، فهو يكره مغادرة الحياة بموت بارد ساذج ، ويرغب العروج الى الله متوشّحاً برداء الشهادة مضمّخاً بدمها الطاهر . . أو ليس هو القائل :

« أنّ أكرم الموت القتل ! » .

والذي نفس ابن أبي طالب بيده ، لألف ضربة بالسّيف أهون عليّ من ميتة على الفراش في غير طاعة الله »[٣١] .

وهو الذي كان يدعو ربّه قائلاً : « اللهمّ . . فارزقنا الشهادة »[٣٢] .

بالطبع كان عشق علي وشوقه للشهادة عميقاً في نفسه منذ أيّام شبابه ، ولم يكن شيئاً مستجداً طارئاً على نفسه بعد أن كبرت سنّه واشتدّت معاناته ، وهذا ما يؤكّده الإمام حين ينقل احدى ذكرياته مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيقول :

« فقلت : يارسول الله ، أوليس قد قلت لي يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين ، وحيزت عنّي الشهادة ، فشقّ ذلك عليّ ، فقلت لي : أبشر فإنّ الشهادة من ورائك ؟ .

فقال لي : إن ذلك لكذلك ، فكيف صبرك إذن ؟ .

فقلت : يارسول الله ، ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن البشرى

(٣١) المصدر السابق، الخطبة رقم: ١٢٣.
(٣٢) المصدر السابق، الخطبة رقم: ١٧١.

والشكر »[٣٣] .

وحانت ساعة اللقاء . . واقترب موعد الرحيل . ودنت لحظة الفوز بالشهادة التي طالما انتظرها الإمام . . كان ذلك في فجر ليلة التاسع عشر من شهر رمضان المبارك (سنة ٤٠ هـ) .

وشاء القدر أن يكون علي تلك الليلة ضيف ابنته زينب ، وأن ينطلق للشهادة من بيتها . . وتسجّل لنا روايات التاريخ بعض اللقطات عن تلك الليلة الخطيرة والساعات الحسّاسة في بيت العقيلة زينب .

فقد كان الإمام يفطر في شهر رمضان ليلة عند الحسن ، وليلة عند الحسين ، وليلة عند عبدالله بن جعفر زوج زينب ابنته لأجلها[٣٤] .

وكانت ليلة التاسع عشر من رمضان حيث يتناول الإمام افطاره عند ابنته زينب كما تشير الى ذلك بعض روايات (بحار الأنوار) ، وإن كانت بعض الروايات تقول إنه كان عند ابنته أمّ كلثوم ، وحسب تحقيقات العلاّمة الشيخ جعفر النقدي فإنّه غالباً ما يطلق على زينب الكبرى أمّ كلثوم في لسان الروايات[٣٥] .

ولاحظت السيدة زينب أنّ أباها تلك الليلة كان في وضع استثنائي ، وحال لم تعهده منه ، تقول :

لم يزل أبي تلك الليلة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ، ثم يخرج ساعة بعد ساعة يقلّب طرفه في السماء وينظر الكواكب وهو يقول : « والله ما كَذبت ولا كُذبت . وانّها الليلة التي وعدت بها . . هي والله الليلة التي وعدني بها حبيبي رسول الله » .

---

(٣٣) المصدر السابق، الخطبة رقم: ١٥٦ .
(٣٤) (بحار الأنوار) المجلسي ج٤١، ص٣٠٠ .
(٣٥) (زينب الكبرى) جعفر النقدي ص١٧ ـ ١٨ ـ ٢٥ ـ ٣٨ .

ثم يعود الى مصلّاه ويقول : « اللهمّ بارك لي في الموت ، اللهمّ بارك لي في لقائك » ويكثر من قول « انّا لله وانّا اليه راجعون ، ولا حول ولا قوة الاّ بالله العلي العظيم . . ويستغفر الله كثيراً » .

تقول السيدة زينب : فلمّا رايته في تلك الليلة قلقاً متململاً كثير الذكر والأستغفار أرقت معه ليلتي . . وقلت : ياأبتاه مالي اراك هذه الليلة لاتذوق طعم الرقاد ؟ ياأبا مالك تنعى نفسك ؟ .

قال : بنيّة قد قرب الأجل وانقطع الأمل .

قالت : فبكيت . . فقال لي : يابنيّة لا تبكي فإنّي لم أقل لك ذلك الاّ بما عهد اليّ النّبي (صلى الله عليه وآله) .

ثم انّه نعس وطوى ساعة ثم استيقظ من نومه ، وقال : يابنيّة اذا قرب الاذان فاعلميني . . ثم رجع الى ما كان عليه أول الليل من الصلاة والدعاء والتّضرّع الى الله (سبحانه وتعالى) .

قالت : فجعلت أرقب الأذان فلمّا لاح الوقت أتيته ومعي اناء فيه ماء ، ثم أيقظته ، فأسبغ الوضوء ، وقام ولبس ثيابه ، وفتح بابه ثم نزل الى الدار وكان في الدار أوزٌ قد أُهدين الى أخي الحسين (عليه السلام) ، فلما نزل خرجن وراءه ورفرفن ، وصحن في وجهه ، ولم يحدث ذلك من قبل ، فقال (عليه السلام) :

« لا اله الاّ الله صوارخ تتبعها نوايح وفي غداة غد يظهر القضاء .

فقلت : ياأبتاه هكذا تتطيّر ؟ .

قال : يابنيّة ما منّا أهل البيت من يتطيّر ولا يتطيّر به ، ولكن قول جرى على لساني ، ثم قال :

يابنيّة بحقّي عليك الاّ ما أطلقتيه ، وقد حبست ما ليس له لسان ، ولايقدر على الكلام ، اذا جاع أو عطش ، فأطعميه واسقيه ، والاّ خليّ سبيله يأكل من

حشائش الأرض .

فلما وصل الى الباب فعالجه ليفتحه ، فتعلّق الباب بمئزره فانحلّ ميزره حتى سقط ، فأخذه وشدّه وهو يقول :

اشــدد حــيــازيمــك لــلمــوت فــإنّ المــوت لاقــيــكــا
ولا تجــزع مــن المــوت اذا حــلّ بــنــاديــكــا
كــما أضــحــكــك الــدّهــر كــذاك الــدهــر يــبــكــيــكــا

ثم قال : اللهمّ بارك لنا في الموت ، اللهم بارك لي في لقائك .

قالت : وكنت أمشي خلفه فلما سمعته يقول ذلك ، قلت : واغوثاه ياأبتاه أراك تنعى نفسك منذ الليلة !! .

قال : يابنيّة ما هو بنعاء ولكنها دلالات وعلامات للموت يتبع بعضها بعضاً .. ثم فتح الباب وخرج[٣٦] .

وما هي الاّ فترة بسيطة من الوقت واذا بالسيدة زينب تسمع نعي أبيها علي حيث ضربه عبدالرحمن بن ملجم من أتباع الخوارج بالسيف على هامته حين رفع رأسه من السّجدة الأولى من الركعة الأولى لصلاة الصبح ، ووقع الإمام عليّ في محرابه صريعاً قائلاً : « فزت وربّ الكعبة » .

ونقل الإمام الى داره حيث فارقت روحه الحياة بعد يومين من اصابته أي في الحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك .

وقُبيل وفاته عرق جبينه فجعل يمسح العرق بيده ، فقالت السيدة زينب : ياابه أراك تمسح جبينك ؟ .

قال : يابنيّة سمعت جدّك رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : « إنّ

---

(٣٦) (علي من المهد إلى اللحد) القزويني ص٥٥٩ .

المؤمن إذا نزل به الموت ، ودنت وفاته ، عرق جبينه ، كاللؤلؤ الرطب ، وسكن أنينه » .

فقامت زينب والقت بنفسها على صدر ابيها وقالت : ياأبه حدّثتني أمّ أيمن بحديث كربلاء وقد أحببت أن أسمعه منك .

فقال : يابنيّة ، الحديث كما حدّثتك أم أيمن ، وكأني بك وبنساء أهلك لسبايا بهذا البلد ، خاشعين ، تخافون أن يتخطّفكم الناس فصبراً صبراً .

وهكذا ودّعت السيدة زينب أباها علياً ، ورزئت بفقده ، ولك أن تتصّور مدى الحزن والألم الذي أحاط بها بعد أن فارقت أباها الذي كان ملىء حياتها ووجودها ، وكانت متعلّقة به أشدّ التعلّق كما كان يحبّها أشدّ الحبّ .

ولكن كما قال أبوها علي عند فقده أمّها الزهراء .

لكلّ اجتماع من خليلين فرقة ... وكلّ الذي دون الفراق قليل
وانّ افتقادي فاطماً بعد أحمد ... دليل على أن لايدوم خليل

امتداد لشخصية أبيها

عاصرت السيدة زينب اباها لخمس وثلاثين عاماً ، كانت خلالها القريبة الى قلبه والعزيزة عليه ، وكان هو الأقرب الى نفسها ، والأشدّ تأثيراً عليها . . لذلك تقمّصت السيدة زينب شخصية أبيها علي في شجاعته واقدامه ، وفي فصاحته وبيانه ، وفي عبادته وانقطاعه الى الله وفي سائر الفضائل والخصال الكريمة التي ورثتها زينب من أبيها علي بعد أن تربّت في أحضانه وتتلمذت على يديه طوال خمس وثلاثين سنة .

ففي مجال البلاغة والفصاحة يقول العلاّمة الشيخ جعفر النقدي بعد أن يتحدث عن بلاغة علي وبيانه . فاعلم أنّ هذه الفصاحة العلوية ، والبلاغة المرتضوية ، قد ورثتها هذه المخّدرة الكريمة ، بشهادة العرب أهل البلاغة والفصاحة أنفسهم ، فقد تواترات الروايات عن العلماء وارباب الحديث بأسانيدهم عن حذلم بن كثير ، قال :

قدمت الكوفة في المحرم سنة احدى وستين عند منصرف علي بن الحسين من كربلاء ومعهم الأجناد ، يحيطون بهم ، وقد خرج الناس للنّظر اليهم ، فلمّا أقبل

بهم على الجمال بغير وطاء ، وجعلن نساء الكوفة يبكين وينشدن فسمعت علي بن الحسين يقول بصوت ضئيل وقد أنهكته العلّة ، وفي عنقه الجامعة ويده مغلولة الى عنقه : أنّ هؤلاء النسوة يبكين فمن قتلنا ؟ .

قال : ورأيت زينب بنت علي ولم أرَ خفرة أنطق منها كأنّها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين .

وهذا حذلم بن كثير من فصحاء العرب أخذه العجب من فصاحة زينب وبلاغتها ، وأخذته الدهشة من براعتها وشجاعتها الأدبية ، حتّى أنّه لم يتمكّن أن يشبّهها الاّ بأبيها سيّد البلغاء والفصحاء ، فقال : كأنّها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين[٣٧] .

وفي جانب العبادة والمناجاة والتضرّع كانت تحفظ العديد من أدعية ومناجاة أبيها علي وتواظب على قرائتها ، فقد روي عنها أنّها كانت تدعو بعد صلاة العشاء بدعاء أبيها علي وهو : « اللهمّ إنّي أسألك باعالم الأمور الخفيّة ، ويامن الأرض بعزّته مدحية ، ويامن الشمس والقمر بنور جلاله مشرقة مضيئة . . » ، الى آخر الدعاء[٣٨] .

كما كانت تناجي ربّها بمناجاة أبيها علي ، وهي قصيدة روحيه تفيض خشوعاً وتضرّعاً لله (سبحانه) مطلعها :

لك الحمد ياذا الجود والمجد والعلى   تباركت تُعطي من تشاء وتمنع[٣٩] .

وكانت تلهج أيضاً بأبيات حكمية وعظية لأبيها علي جاء فيها :

وكم لله من لطف خفي   يدقّ خفاه عن فهم الذكي

---

(٣٧) (زينب الكبرى) جعفر النقدي ص٤٨ .
(٣٨) (عقيلة بني هاشم) الهاشمي ص١٦ .
(٣٩) المصدر السابق ص١٦ .

وكم يسر أتى من بعـد عسر   وفـرج كـربـة القلب الشّجي
وكم أمـر تساء بـه صباحـاً   فـتـأتـيـك المسّرة بـالـعشي
اذا ضاقت بك الأحـوال يومـاً   فثق بـالـواحـد الفـرد العـلي[٤٠]

هكذا تتابع السيدة زينب خطى أبيها علي ، وتتقمصّ شخصيته وتلهج بأدعيته وكلماته .

(٤٠) المصدر السابق ص١٩ .



في محنة أخيها الحسن

وبادر الناس الى مبايعة الإمام الحسن بعد شهادة أبيه علي (عليه السلام) لما تواتر في أوساطهم من أحاديث وروايات عن جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) في فضله ومكانته كقوله (صلى الله عليه وآله) :

« من سرّه أن ينظر الى سيّد شباب أهل الجنّة فلينظر الى الحسن »[1] .

وما رواه البرّاء قال : رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) والحسن على عاتقه يقول : « اللهمّ إنّي أحبّه فأحبه »[2] .

وفي رواية عن أبي هريرة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انّه قال للحسن : « اللهمّ إنّي أحبّه فأحبه ، وأحبب من يحبّه »[3] .

وعنه (صلى الله عليه وآله) : « الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا »[4] .

---

(١) (حياة الإمام الحسن) القرشي ج١، ص٩٦.
(٢) (صحيح البخاري) ج٥، ص٣٣.
(٣) (صحيح مسلم) ج٢، ص٣٦٧.
(٤) (حياة الإمام الحسن) القرشي ج١، ص٩٦.

وقد بادر بعض الصحابة للإدلاء بشهاداتهم وما سمعوه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حقّ الإمام الحسن عندما خطب الإمام الحسن مؤبّناً أباه علياً ومستقبلاً البيعة من الناس كما روى زهيربن الأقمر قال :

بينما الحسن بن علي يخطب بعدما قتل علي إذ قام اليه رجل من الأزد آدم طوال ، فقال : لقد رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) واضعه في حبوته يقول « من أحبّني فليحبه فليبلغ الشاهد الغائب » ولولا عزمة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ماحدثتكم[٥] .

وممّا دفع الناس الى مبايعة الإمام الحسن ما عرفوه من صفاته وكفاءاته التي لايدانيه فيها أحد ، فهو أفضل الأمّة بعد أبيه علي .

فهذا أنس بن مالك يقول : لم يكن أشبه برسول الله من الحسن[٦] .

وتذاكر قوم من الصحابة يوماً حول من أشبه النبي من أهله ، فقال عبدالله بن الزبير ، أنا أحدّثكم بأشبه أهله به وأحبّهم اليه الحسن بن علي[٧] .

وهذا عبدالله بن عمر وهو جالس في مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله) بالمدينة في حلقة فمرَّ الحسن بن علي ، فقال : « هذا أحبّ أهل الأرض الى أهل السماء »[٨] .

ويقول عمرو بن اسحاق : ما تكلّم أحد أحبَّ اليّ أن لايسكت من الحسن بن علي وما سمعت منه كلمة فحش قط[٩] .

---

(٥) (الاصابة في تمييز الصحابة) ابن حجر ج١ ، ص٣٢٩ .
(٦) المصدر السابق ص٣٢٩ .
(٧) المصدر السابق ص٣٢٩ .
(٨) (درّ السحابة في مناقب القرابة والصحابة) الشوكاني ص٢٨٩ .
(٩) (أئمتنا) علي دخيّل ج١ ، ص١٦٧ .

وعن واصل بن عطاء : كان الحسن بن علي عليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك[10] .

وقال محمد بن اسحاق : مابلغ أحد من الشرف بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ما بلغ الحسن كان يبسط له على باب داره ، فاذا خرج وجلس ، انقطع الطريق ، فما يمرّ أحد من خلق الله اجلالاً له ، فاذا علم قام ودخل بيته فمرّ الناس ، ولقد رأيته في طريق مكّة ماشياً فما من خلق الله رآه الاّ نزل ومشى ، وحتّى رأيت سعد بن أبي وقّاص يمشي[11] .

ولأنّ الإمام الحسن بعد ذلك وصيّ أبيه أمير المؤمنين ، فلهذه العوامل جميعاً بادر النّاس الى مبايعته ، فقد انبرى عبيدالله بن العباس مخاطباً الجمع الحاشد الذي اجتمع بعد مقتل الإمام علي قائلاً :

معاشر الناس هذا ابن نبيّكم - يعني الحسن - ووصيّ إمامكم فبايعوه فهتف الناس مستجيبين قائلين : « ما أحبّه الينا وأوجب حقّه علينا ، وأحقّه بالخلافة »[12] .

وهكذا بويع الإمام الحسن بالخلافة في الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة(٤٠ هـ) ، بايعه النّاس في الكوفة والبصرة والمدائن وجميع أهل العراق ، وبايعته فارس والحجازيون واليمانيّون وجميع البلاد الإسلامية ، لكن معاوية بن أبي سفيان أصرّ على التمّرد كما كان موقفه من خلافة الإمام علي ، بل وبدأ يعدّ العدّة ويحشد الجيوش للزّحف على عاصمة الخلافة الشرعية الكوفة ، ولم تنجح الجهود التي بذلها الإمام الحسن من رسائل ومبعوثين الى معاوية من ثنيه عن موقفه المتمّرد الخارج على الشرعية .

---

(١٠) المصدر السابق ص١٦٨ .

(١١) المصدر السابق ص١٦٨ .

(١٢) (حياة الإمام الحسن) القرشي ج٢، ص٣٤ .

فصمّم الإمام الحسن على مواجهة بغي معاوية ، واستنهض جمهوره وعبّأهم للقتال ، بعد ما بلغته أنباء تحرّك جيش معاوية باتّجاه العراق وقوامه (٦٠ الفاً) ، وقيل أكثر من ذلك[١٣] .

لكنّ الظروف لم تكن في صالح الإمام الحسن ، فقد كان جيشه وجمهوره متعباً منهكاً من الحروب الثلاثة التي خاضها مع الإمام علي ، كما كان الجيش والجمهور موزّع الولاء والاتّجاه للتيّارات المختلفة ومنها الخوارج وأصحاب المطامع ، وبلغ تعداد جيش الإمام الحسن (٤٠ الفاً) على أرجح الروايات التّاريخية[١٤] .

واجتهد معاوية بن أبي سفيان كثيراً لتفتيت وتخريب الجبهة الداخلية لمعسكر الإمام الحسن فبثّ في أوساطه العملاء الذين ينشرون الأشاعات المثبطة والتشكيكات ، كما كثّف مساعيه لأغراء واستقطاب العديد من الزعماء والرؤساء والشخصيات في معسكر الإمام ، بتقديم المبالغ المالية الضخمّة لهم وتطميعهم بالمناصب والمواقع .

وبالفعل فقد تخلّى عن الإمام الكثير من قيادات جيشه حتى ابن عمّه عبيدالله بن العباس والذي كان يقود مقدّمة جيش الإمام لمواجهة معاوية ، حيث أغراه معاوية بمبلغ مليون درهم فتسلّل منحازاً الى معاوية ومعه ثمانية آلاف جندي من أصل اثني عشر ألفاً كانَ يقودهم !! .

كلّ ذلك أدّى الى اضطراب جيش الإمام ، ممّا جرأ البعض منهم على النّيل من هيبة الإمام شخصياً ومحاولة اغتياله وقد هجم جماعة من معسكر الإمام على مضاربه وسرداقه وانتهبوا أمتعته ، وتضيف بعض المصادر أنّهم نزعوا بساطاً كان يجلس عليه وسلبوا رداءه ، كما خاطبه أحد الخوارج وهو الجراح بن سنان قائلاً :

أشركت ياحسن كما أشرك أبوك من قبل ! .

---

(١٣) المصدر السابق ص٧١.

(١٤) المصدر السابق ص٨٠.

وجرت ثلاث محاولات لأغتيال الإمام في معسكره[١٥] .

هذه الظروف المؤلمة الحرجة دفعت الإمام الحسن لأعادة النظر في قرار المواجهة والقتال مع معاوية ، لعدم تكافؤ المعسكرين عدداً وعدّة وتماسكاً ، ممّا يجعل مستقبل المواجهة والحرب لصالح معاوية حتماً ، وذلك بعني الأخطار والمضاعفات الكبيرة على وضع الأمة الإسلامية ككلّ وخطّ أهل البيت (عليهم السلام) بشكل خاص .

لذلك قرّر الإمام الحسن الأستجابة الى دعوة الصّلح التي كان معاوية يلحّ في طرحها ، وتنازل الإمام عن الخلافة والحكم بشروط قبلها معاوية ومن أهمّها العمل بكتاب الله وسنّة نبيّه ، وعدم الظلم والأعتداء على حقوق الناس وخاصة أهل البيت وأتباعهم ، وأن تكون الخلافة بعد معاوية للإمام الحسن أو حسب اختيار المسلمين .

وتمّ الصّلح حوالي شهر ربيع الأول سنة (٤١ هـ) أي بعد ستة أشهر من خلافة الإمام الحسن (عليه السلام) .

بالطبع كان مؤلماً للإمام الحسن ولأهل بيته وأتباعه أن يروا معاوية متسلطاً على المسلمين متحكماً في أمورهم ، وأن يلاحظوا الأنحرافات الكبيرة الخطيرة التي يقوم بها دون رادع أو مانع ، لكن ماذا يصنع الإمام الحسن وقد خانته الظروف ولم تخلص له الأمة ؟ .

وانفعل العديد من المخلصين من أتباع الإمام لما حدث ، ووجّهوا للإمام الحسن عتابهم الحادّ الجارح على قرار الصّلح ، لكنّ الإمام بقلبه الواسع وحلمه الكبير كان يعذرهم على انفعالهم ، ويوضح لهم حقيقة الموقف وأبعاده .

وبعد الصلح بقي الإمام في الكوفة أيّاماً وهو مكلوم القلب قد طافت به الهموم والالام ، يتلقى من شيعته مرارة الكلام ، وقسوة النّقد ، ويتلقى من معاوية

---

(١٥) المصدر السابق ص١٠٦ .

وحزبه الاستهانة بمركزه الرفيع ، وهو مع ذلك صابر محتسب ، قد كظم غيظه ، وأوكل إلى الله أمره، وقد عزم على مغادرة العراق، والشّخوص الى مدينة جّده[١٦] .

وطلب منه بعض أهل الكوفة البقاء عندهم ، لكنه لم يستجب لهم وكان يوم سفره مشهوداً في الكوفة حيث خرج الناس بمختلف طبقاتهم الى توديعه ، وهم ما بين باك وآسف .

ولم تكن العقيلة زينب بعيدة عن تلك الأحداث القاسية ، بل كانت الى جانب أخيها الحسن تشاطره معاناته ، وتعيش معه آلام الأمّة المنكوبة . . وقد غادرت الكوفة مع أخيها الى مدينة جدّها ومسقط رأسها بعد أن قضت في الكوفة حوالي خمس سنوات مليئة بالحوادث والآلام ، ومن أشدّها وأفجعها فقد أبيها علي .

وفي المدينة واصلت السيدة زينب تحمّل مسؤليتها في الهداية والأرشاد وبثّ المعارف والوعي ، كما كانت تشارك أخاها الإمام الحسن مواجهة اساءات الحكم الأموي وانحرافاته ، حيث لم يلتزم معاوية بأيّ شرط من شروط الصّلح ، وصار يحكم المسلمين حسب رغباته وشهواته بعيداً عن تعاليم كتاب الله وسنّة رسوله ، كما كان يوجّه سهام بغيه وحقده صوب أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم ، فسنّ شتم الإمام علي على المنابر ، وقتل خيار أتباعه ، وضيّق على شيعته ، وصار يخطّط لتنصيب ولده يزيد خليفة وحاكماً على الأمّة من بعده .

بالطبع كان وجود الإمام الحسن يقلق معاوية ، ويعرقل بعض مخطّطاته الفاسدة ، لذلك فكّر في تصفية الإمام الحسن والقضاء على حياته ، فأغرى زوجته جعدة بنت الأشعث بمائة ألف درهم ، ووعدها بأن يزوّجها ولده يزيداً إن هي دسّت السمّ للإمام الحسن وقضت على حياته .

واستجابت جعدة لتلك الأغراءات وألقت السمّ الفتّاك الذي بعثه اليها معاوية في طعام الإمام الحسن ، فتقطّعت بذلك كبده وامعاؤه واستعدّ لمفارقة الحياة .

---

(١٦) المصدر السابق ص٢٨٥.

ورأته أخته زينب وهو في فراش الموت ، فانفطر قلبها لمأساة أخيها وتجدّدت عليها المصائب والأحزان .

وممّا زاد في آلام السيدة زينب وأحزانها ما تعرّضت له جنازة أخيها من إساءة وهوان ، حيث كان الإمام الحسن قد أوصى بأن يدفن عند قبر جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) أولا أقلّ أن يمرّ به على قبر جدّه ليجدّد به عهداً ، لكن الحزب الأموي اعترض جنازة الإمام وأثاروا السيّدة عائشة لتتبنّى مواجهة الهاشميين ومنعهم من الأقتراب بجنازة الإمام الحسن عند قبر جدّه بحجّة أنّه يقع في بيتها وأنّها لا تسمح لهم بذلك !! .

وهكذا رافقت الظّلامة والمأساة الإمام الحسن حتى بعد وفاته ، ومنعوا اقتراب جنازته من قبر جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو سبطه الحبيب وولده العزيز ! .

كلّ ذلك ضاعف من أحزان السيدة زينب والهاشميين لذلك ورد في التاريخ أنّ نساء بني هاشم وفي طليعتهن السيدة زينب استمرّين في النّياحة على الإمام الحسن(عليه السلام) شهراً كاملاً ، وأظهرن الحداد ، ولبسن السّواد سنة كاملة[١٧] .

---

(١٧) المصدر السابق ص٥٠٢ .

بطلة كربلاء

يبدو أنّ كلّ ما سبق في حياة السيدة زينب كان بمثابة اعداد وتهيئة للدّور الأكبر الذي ينتظرها في هذه الحياة .

فالسنوات الخمس الأولى من عمرها والتي عايشت فيها جدّها المصطفى (صلى الله عليه وآله) وهو يقود معارك الجهاد لتثبيت أركان الإسلام ويتحمّل هو وعائلته ظروف العناء والخطر .

والأشهر الثلاثة التي رافقت خلالها أمّها الزهراء بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورأت أمّها تدافع عن مقام الخلافة الشّرعي ، وتطالب بحقّها المصادر ، وتعترض على ما حصل بعد الرسول من تطورات ، وتصارع الحسرات والآلام التي أصابتها .

والفترة الحسّاسه الخطيرة التي عاصرت فيها حكم أبيها علي وخلافته وما حدث فيها من مشاكل وحروب .

ثمّ مواكبتها لمحنة أخيها الحسن وما تجرّع فيها من غصص وآلام كلّ تلك المعايشة للأحداث والمعاصرة للتطورّات . . كان لإعداد السيدة زينب لتؤدّي امتحانها الصّعب ودورها الخطير في ثورة أخيها الحسين بكربلاء .

وما كان للسيدة زينب أن تنجح في أداء ذلك الأمتحان ، وممارسة ذلك الدّور لو لم تكن تمتلك ذلك الرصيد الضّخم من تجارب المقاومة والمعاناة ، ولو لم يتوفّر لها ذلك الارث الكبير من البصيرة والوعي .

وواقعة كربلاء تعتبر من أهمّ الأحداث التي عصفت بالأمّة الإسلامية بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ففي واقعة كربلاء تجلّى تيّار الردّة الى الجاهلية والأنقلاب على الأعقاب ووصل الى قمّته وذروته من خلال المعسكر الأموي . . كما تجسد وتبلور خطّ الرسالة والقيم الالهية في الموقف الحسيني العظيم .

وواقعة كربلاء شرّعت للأمّة مقاومة الظلم والطغيان ، وشقّت طريق الثورة والنضال أمام الطّامحين للعدالة والحريّة .

وكان للسيدة زينب دور أساسي رئيسي في هذه الثورة العظيمة .

فهي الشخصية الثانية على مسرح الثّورة بعد شخصية أخيها الإمام الحسين (عليه السلام) .

ومن يقرأ أحداث كربلاء ويقلّب صفحات كتابها ، يرى السيدة زينب الى جانب الحسين في اغلب الفصول والمواقف ، بل انّها قادت مسيرة الثورة بعد استشهاد الإمام الحسين وأكملت حلقاتها .

ولولا كربلاء لما بلغت شخصية السيدة زينب هذه القمّة من السموّ والتألّق والخلود . . ولولا السيدة زينب لما حقّقت كربلاء أهدافها ومعطياتها وآثارها في واقع الأمّة والتاريخ .

لقد أظهرت كربلاء جوهر شخصية السيدة زينب ، وكشفت عن عظيم كفاءاتها وملكاتها القيادية ، كما أوضحت السيدة زينب للعالم حقيقة ثورة كربلاء ، وأبعاد حوادثها .

وحقاً انّها بطلة كربلاء وشريكة الحسين .

سطور من كتاب الثورة

قبل أن نتحدث عن دور السيّدة زينب في ثورة كربلاء، لابّد من قراءة بعض سطور كتاب الثّورة الحسينية، لتوضيح خلفيات ذلك الدور الزّينبي .

طبيعة الحكم الأموي

في شهر (جمادى الأول ـ سنة ٤١ هـ) وبعد صلح الإمام الحسن تمّ لمعاوية ما كان يريده ويسعى اليه ، فقد أصبح هو الخليفة والحاكم على الأمّة الإسلامية جمعاء .

ودخلت الأمة في نفق الحكم الأموي ، حيث لم تعد مبادىء الإسلام وأنظمته هي المرجع والمقياس ، وإنّما هي ارادة الحاكم يعمل كيف يشاء وما يشاء ، وحتّى لا تزاحمه أيّ ارادة اخرى ولا يجرأ أحد على معارضته فقد بدأ في تنفيذ مخطّط لتصفية كلّ رجالات المسلمين الأحرار الشرفاء وكان من ضحايا ذلك المخطط .

الإمام الحسن بن علي حيث دسّ اليه السمّ ، وحجر بن عديّ الصّحابي الجليل ، وعبدالرحمن بن حسان العنزي ، وصيفي بن فسيل الشيباني ، وقبيصة بن ربيعة ، وشريك بن شدّاد الحضرمي ، وكدام بن حيّان العنزي ، ومحرز بن شهاب التّميمي ، والصّحابي العالم رشيد الهجري والصحابي العظيم

عمرو بن الحمق الخزاعي ، واوفى بن حصن ، وجويرية بن مسّهر العبدي ، وعبدالله بن يحيى الحضرمي[1] ، وغيرهم من شخصيات الأمّة وأفاضلها المخلصين .

كما عمل الحكم الأموي على تعبئة أجواء الرأي العام ضدّ أهل البيت (عليهم السلام) ، وسنّ سب الإمام علي بن أبي طالب على المنابر وفي خطب الجمعة ، وفرض ذلك على جميع عمّاله وولاته ومن أبى منهم عزله ، وبقي ذلك سنّة الى عهد عمر بن عبد العزيز حيث أمر بإلغائه حين تولّى الخلافة سنة (٩٩ هـ) أي أنّ سبّ الإمام علي استمّر أكثر من نصف قرن من سنة (٤١ هـ الى سنة ٩٩ هـ) .

وازدادت الضغوط القمعية على أهل البيت وشيعتهم من قبل الحكم الأموي ، فقد رفع معاوية مذكرّة الى جميع عمّاله وولاته جاء فيها :

أُنظروا الى من قامت عليه البيّنة انّه يحبّ علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان واسقطوا عطاءه ورزقه .

ثمّ شفع ذلك بنسخة أخرى جاء فيها : ومن أتّهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به واهدموا داره .

وتحدّث الإمام الباقر عمّا جرى على أهل البيت وشيعتهم من الأضطهاد والأذى في زمن معاوية ، فقال : « وقتلت شيعتنا بكلّ بلدة وقطعت الأيدي والأرجل على الظنّة ، وكان من يذكر بحبّنا والإنقطاع الينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره[2] .

اضافة الى اظهار الفساد والمخالفة للدين ، كتعطيل الحدود وممارسة الخلاعة والمجون ، واستلحاق معاوية لزياد بن أبيه ، والجرأة الصّريحة على مخالفة الأحكام الشّرعية من قبل معاوية حتى في العبادات كالأذان في صلاة العيد والخطبة قبل

---

(١) (حياة الإمام الحسن) القرشي ج٢، ص من ٣٥٨ إلى ٣٨٥. راجع تراجم المذكورين وكيفيّة قتلهم.
(٢) المصدر السابق ص٣٥٦.

صلاة العيد ، وأخذ الزكاة من الأعطية ، والتّطيّب في الاحرام واستعمال أواني الذّهب والفضّة ، ولبس الحرير .

وقد ساءت أوضاع الناس الأقتصادية لأنّ معاوية كان يستأثر هو ومن حوله بأموال المسلمين ويضعون عليهم مختلف الضّرائب ، وكان معاوية يرى لنفسه الحقّ في التّصرّف كما يشاء في ثروات الأمة بينما يتضوّر الفقراء والمستضعفون جوعاً وحرماناً ، وينقل عنه قوله .

الأرض لله وأنا خليفة الله فما أخذت من مال الله فهو لي وما تركته كان جائزاً لي[٣] .

وذكر ابن حجر أنّه جاء بسند رجاله ثقات : إنّ معاوية خطب يوم جمعة فقال : إنّما المال مالنا ، والفيء فيئنا فمن شئنا أعطيناه ، ومن شئنا منعناه[٤] .

وفي (ربيع الأبرار) قال : خطب معاوية فقال :

إنّ الله (تعالى) يقول ﴿ **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ** ﴾[٥] فعلام تلومنني اذا قصّرت في إعطائكم[٦] .

كما سلّط معاوية على الأمّة ولاةً جفاة قساة نشروا الرّعب والبطش ، وحكموا النّاس بالأرهاب والقمع مثل سمرة بن جندب والذي استعمله زياد على البصرة نائباً عنه فأسرف في قتل الأبرياء وازهاق الأنفس بغير حقّ ، فقد حدّث محمد بن سليم وقال :

سألت أنس بن سيرين : هل كان سمرة قتل أحداً ؟ .

فاندفع أنس بحرارة والتّأثّر بادياً عليه قائلاً : وهل يُحصى من قتل سمرة بن

---

(٣) (النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية) محمد بن عقيل ص١٣١ ـ ١٣٤ .
(٤) (النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية) محمد بن عقيل ص١٣١ ـ ١٣٤ .
(٥) سورة الحجر ، الآية(٢١).
(٦) (النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية) محمد بن عقيل ص١٣١ ـ ١٣٤ .

جندب ؟ استخلفه زياد على البصرة وأتى الكوفة فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس .

فقال له زياد : هل تخاف أن تكون قد قتلت أحداً بريئاً ؟ .

فأجابه سمرة : لو قتلت اليهم مثلهم ما خشيت[٧] .

ومن ولاة معاوية الظّالمين : بسر بن أرطاة ، والذي وجّهه الى اليمن ففعل فيها الأفاعيل المنكرة التي لم يشهد التّاريخ نظيراً لها في فظاعتها وقسوتها ، وذكر الرّواة أنّ بسر بن أرطاة قتل ثلاثين ألفاً من المسلمين عدا من أحرقهم بالنار[٨] .

ومن أخطر ولاة معاوية وأكثرهم جوراً وظلماً زياد بن أبيه وقد ولّاه معاوية البصرة والكوفة وسجستان وفارس والسّند والهند .

هكذا عاشت الأمة الإسلامية في ظلّ الحكم الأموي ، وبمراجعة بسيطة لكتب التّاريخ يرى الأنسان صور الظّلم الفظيعة البشعة التي سجّلها الأمويون في تاريخ حكمهم الأسود .

يزيد بن معاوية حاكماً

واستكمالاً لمشروع الردّة الى الجاهلية ختم معاوية بن أبي سفيان حياته باستخلاف ولده يزيد على الأمّة ، ليبدأ بذلك عهد الملك العضوض والحكم الوراثي العائلي ، خلافاً لما اقره الأسلام وتعوّد عليه المسلمون .

ولم تكن لدى يزيد أدنى مؤهّلات الحكم والخلافة ، فقد كان كلفاً بالصيد لاهياً به ، وكان يلبس كلاب الصّيد الأساور من الذهب والجلال المنسوجة منه ، ويهب لكلّ كلب عبداً يخدمه[٩] ، كما كان ولعاً بالقرود وله قرد يجعله بين يديه ويكنّيه

---

(٧) (حياة الإمام الحسن) القرشي ج٢، ص١٩٤ .
(٨) المصدر السابق ص١٩٩ .
(٩) المصدر السابق ص١٨١ .

بأبي قيس ، ويسقيه فضل كأسه[10] كما كان مدمناً على شرب الخمر[11] .

يقول الحسن البصري ضمن تعداده لموبقات معاوية :

واستخلاف ابنه بعده سكّيراً خمّيراً يلبس الحرير ويضرب الطنابير[12] .

وقد اعترض كبار الصّحابة على معاوية حينما أراد مبايعة ولده يزيد بولاية العهد ، وعقد مجلساً في المدينة المنورة ضمّ نخبة من أفاضل الصحابة ليخبرهم برغبته في تعيين ولده يزيد ولياً لعهده ، فانبرى له عبدالله بن جعفر بن أبي طالب زوج السيدة زينب قائلاً بعد حمد الله والثّناء عليه :

« أمّا بعد : فإنّ هذه الخلافة إن أخذ فيها بالقرآن فأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ، وإن أُخذ فيها بسنّة رسول الله فأولوا رسول الله ، وإن أخذ فيها بسنّة الشيخين أبي بكر وعمر فأيّ الناس أفضل وأكمل وأحقّ بهذا الأمر من آل الرسول ؟ وأيم الله لو ولّوه بعد نبيّهم لوضعوا الأمر موضعه لحقّه وصدقه ، ولأُطيع الرحمن ، وعُصي الشيطان ، وما اختلف في الأمة سيفان ، فاتّق الله يامعاوية فانّك قد صرت راعياً ونحن رعيّة فانظر لرعّيتك فانّك مسؤول عنها غداً »[13] .

واندفع عبدالله بن عمر فقال بعد حمد الله والصّلاة على نبيّه :

« أما بعد : فإن هذه الخلافة ليست بهرقليّة ولا قيصرّية ، ولا كسروّية ، يتوارثها الأبناء عن الآباء ، ولو كان كذلك كنت القائم بها بعد أبي ، فوالله ما أدخلني مع الستّة من أصحاب الشورى ، الاّ أنّ الخلافة ليست شرطاً مشروطاً ، وإنّما هي في قريش خاصّة لمن كان لها أهلاً ممّن ارتضاه المسلمون لأنفسهم ممّن كان أتقى وأرضى »[14] .

---

(١٠) المصدر السابق ص١٨٢ .

(١١) المصدر السابق ص١٨٣ .

(١٢) المصدر السابق ص١٨٤ .

(١٣) (حياة الإمام الحسين) القرشي ج٢ ، ص٢٠٥ .

(١٤) المصدر السابق ص٢٠٧ .

وبنفس المضمون تكلّم عبدالله بن عباس ، وعبدالله بن الزبير ، الاّ أنّ معارضة هؤلاء الصّحابة وغيرهم من أعيان الأمة لم تؤثّر في عزم معاوية على فرض ولده حاكماً من بعده ، بل شهر سلاح التّهديد أمام المعارضين ، وقال ناطق بإسم معاوية في حضوره وهو يزيد بن المقفّع : أمير المؤمنين هذا ـ وأشار الى معاوية ـ فان هلك فهذا ـ وأشار الى يزيد ـ ومن أبى فهذا ـ واشار الى السيف ـ[15] .

ومات معاوية في شهر رجب سنة : (٦٠ هـ) وأصبح ولده يزيد خليفة وحاكماً على المسلمين .

الحسين يرفض البيعة :

وكتب يزيد الى الوالي الأموي على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان يطلب اليه أخذ البيعة قسراً من كبار الصّحابة وفي مقدّمتهم الإمام الحسين (عليه السلام) .

وفي منتصف الليل استُدعي الإمام الحسين الى مجلس الوليد ، وطُلب منه البيعة الى يزيد ، فأجاب الإمام : « إنّ مثلي لا يبايع سراً ، ولا يجتزى بها منّي سراً ، فاذا خرجت الى الناس ودعوتهم للبيعة ، دعوتنا معهم كان الأمر واحداً » .

وقبل الوليد كلام الإمام الحسين لكنّ مروان بن الحكم والذي كان جالساً الى جانب الوليد رفض ما قاله الإمام وطالب الوليد بإجبار الحسين على البيعة فوراً !! .

ورداً على هذا التّهديد أعلن الإمام الحسين موقفه الرّافض لبيعة يزيد قائلاً : « أيّها الأمير إنّا أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومحلّ الرحمة ، بنا فتح الله ، وبنا ختم ، ويزيد رجل فاسق ، شارب خمر ، قاتل النفس المحرّمة ، معلن بالفسق ، ومثلي لا يبايع مثله ، ولكن نصبح وتصبحون ، وننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالخلافة والبيعة[16] .

---

(١٥) المصدر السابق ص٢٠٣.

(١٦) المصدر السابق ص٢٥٥.

الحسين يغادر الى مكّة :

وغادر الإمام الحسين المدينة المنّورة في (٢٨ ـ رجب ـ ٦٠ هـ) متجهاً الى مكة المكرمة بعد أن عهد الى أخيه محمد بن الحنفية بوصيّة أبان فيها هدف خروجه وتحرّكه حيث جاء فيها : « إنّي لم أخرج أشراً ، ولا بطراً ، ولا مفسداً ، ولا ظالماً ، وإنّما خرجت لطلب الأصلاح في أمّة جدّي ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب ، فمن قبلني بقبول الحقّ ، فالله أولى بالحق ، ومن ردّ عليّ أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين[١٧] .

ووصل مكّة المكرمة في الثّالث من شهر شعبان ، وبدأ يعلن موقفه هناك ، ويوضح رأيه في الحكم الأموي لجموع المسلمين الذين يؤمّون البيت الحرام حجّاجاً ومعتمرين .

كما بعث الإمام برسائله الى زعماء العراق في الكوفة والبصرة يخبرهم بموقفه الرافض لحكم يزيد ويستحثّهم على تأييده ونصرته .

استجابة الكوفة

أجواء الكوفة كانت مهيّأة للثورة على الحكم الأموي ، لذلك تفاعل الكوفيون مع موقف الإمام الحسين ، وبعثوا له الوفود ، وكتبوا له آلاف الرسائل يعلنون بيعتهم له واستعدادهم لنصرته .

ويقول المؤرّخون : انّه اجتمع عنده في نوب متفرّقة اثنا عشر ألف كتاب ، ووردت اليه قائمة فيها مائة وأربعون ألف اسم يعربون عن نصرتهم له حال ما يصل الكوفة ، كما ورد عليه في يوم واحد ستمائة كتاب .[١٨] .

فبعث اليهم الإمام الحسين ابن عمّه مسلم بن عقيل ، ليرى حقيقة الأوضاع

---

(١٧) المصدر السابق ص٢٦٤ .

(١٨) المصدر السابق ص٣٣٥ .

في الكوفة ، وليأخذ منهم البيعة للإمام ، وليهيء الأمور لمقدم الإمام (عليه السلام) .

وغادر مسلم مكة المكرمة ليلة النصف من شهر رمضان المبارك ليصل الكوفة في الخامس من شهر شوال حيث استقبله أهلها بالبهجة والترحيب ، وبادرت جماهيرها لمبايعته كممّثل وسفير للإمام الحسين ، فكتب للإمام يبشّره باستجابة الناس لبيعته ويستحثّه على الأسراع في القدوم للكوفة .

الاّ أنّ الحكم الأموي والذي أرعبه تمرّد الكوفة على سلطته بادر الى عزل والي الكوفة « النعمان بن بشير » لضعفه في مواجهة التمرّد ، وعينّ يزيد بن معاوية بدلاً منه عبيدالله بن زياد وهو معروف بقسوته وغلظته .

وبعد أن استلم ابن زياد ولاية الكوفة خطّط بمكر ودهاء ، واستخدم أشدّ أساليب القمع والأرهاب للقضاء على التمرّد الموالي للإمام الحسين ، وكانت النتيجة إلقاء القبض على سفير الحسين مسلم بن عقيل واعدامه في الثّامن من ذي الحجة الحرام ، مع زعماء آخرين ، واعتقال مجموعة كبيرة من شخصيات الكوفة وزعمائها ، واعلان حالة الطوارىء القصوى .

الى العراق :

كتب مسلم بن عقيل الى الإمام الحسين يخبره عن استجابة أهل الكوفة لطاعته وتشوّقهم لقدومه ـ طبعاً قبل التّطورات اللاحقة ـ فعزم الإمام الحسين على مغادرة مكة باتّجاه العراق ، لأنّه لايريد أن تكون مكّة ساحة لتفجير الثورة والصّدام مع الحكم الأموي ، حفاظاً على قداسة الحرم وأمنه ، ولأنّ جمهور العراق أكثر تهيأً للثورة حسب رسائلهم وتجاوبهم مع سفير الحسين اليهم .

وقد استفاد الإمام من فترة وجوده في مكّة المكرمة للأتّصال بجموع المسلمين القادمين للحج والعمرة .

وغادر مكّة في اليوم الثامن من شهر ذي الحجة (سنة٦٠ هـ) وكان توقيت المغادرة مثيراً لجموع الحجيج والمسلمين حيث كانوا يتأهّبون لأداء مناسك الحج ،

فلماذا يحرمون من الحج مع الإمام ؟! .

وقد رافق الإمام في سفره عدد كبير من آهل بيته رجالاً ونساءً وجماعة من أنصاره وأتباعه ، وفي احدى مراحل الطريق وصلت الى الإمام الحسين أنباء التّطورات الخطيرة في الكوفة وسيطرة الأمويين عليها ، ومقتل سفيره مسلم بن عقيل ، ورغم تألّه لما حدث الاّ أنّه صمّم على الأستمرار في حركته ومسيرته .

وحينما علمت السلطة الأموية باتّجاه الحسين الى العراق ، بعثت بعض الفرق والمفارز العسكرية لتمنع الإمام الحسين من دخول الكوفة .

وبعدما تجاوزت قافلة الإمام الحسين موقعاً يقال له « شراف » واجهتهم فرقة عسكرية من الجيش الأموي تضمّ زهاء ألف فارس بقيادة الحر بن يزيد الرياحي ، وكان جنود الفرقة يعانون من الظمأ الشديد في حرّ الصحراء اللاهب ، فأنقذهم الإمام من الموت المحتم وبذل لهم ما يحتاجون من الماء ثم بدأ يحاورهم موضحاً لهم أسباب قدومه الى العراق ، لكنّهم أصرّوا على أن يستسلم لهم ليقدموا به على ابن زياد والي الأمويين على الكوفة ،كما لم يسمحوا له بالرجوع من حيث أتى ، وحصل الاتفاق أن تسير قافلة الإمام الحسين في طريق لا يدخله الكوفة كما يريدون هم ، ولا يرجعه الى الحجاز كما يريده الإمام .

في كربلاء :

ووصلت الى قائد الفرقة الأموية رسالة من عبيدالله بن زياد ، تأمره بإبقاء الحسين في فيافي الصحراء ، وعدم اجباره عل الدخول الى الكوفة ، خلافاً لقراره السابق ، ولعلّه فكرّ في أنّ دخول الحسين الى الكوفة قد يؤدّي الى تطّورات غير محسوبة ، فمواجهته في الصحراء وبعيداً عن الجمهور أفضل .

وعلى إثر الأمر الجديد أرادت الفرقة العسكرية أن تعرقل سير الإمام وتمنعه بينما كان الإمام يريد مواصلة السّير ، ومع المشادّة وتوتّر الأجواء وصلوا الى منطقة على شاطى الفرات ، وسأل الإمام عن اسم تلك المنطقة ، فأجيب انّها كربلاء ، فأمر بالنّزول فيها ، فهي الأرض التي اختارها الله لتكون مسرح ثورته ، وميدان

شهادته ، وموضع قبره .

واذا كانت كربلاء في الجغرافيا مجرّد بقعة محدودة من الأرض .

واذا كانت في التّاريخ قد سجّلت باعتبارها مسرحاً لأهمّ حدث ديني سياسي في الأمة الإسلامية بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

واذا كانت قد أصبحت قبلة للمؤمنين يؤمّونها ويقصدونها بقلوبهم وعواطفهم وأبدانهم .

واذا كانت كربلاء قد أضحت وتراً حزيناً تعزف عليه قرائح الشعراء والأدباء وملحمة بطولية يستلهم منها الثّوار والمصلحون .

فانّها عند أهل البيت (عليهم السلام) أعمق من كلّ ذلك وأكبر .

فليست هناك قضيّة أو حادثة نالت من الأهتمام والتّركيز لدى أهل البيت ما نالته قضية كربلاء .

فقبل وقوع الحادثة كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتحدّث عنها ويشرح بعض تفاصيلها ويبينّ أهمّيتها وابعادها . . وكذلك الإمام علي والسيدة الزهراء والإمام الحسن . . وبعد الحادثة كان أئمّة أهل البيت عليهم السلام) يجدّدون ذكراها ويحيّون وقائعها ويأمرون النّاس بتخليدها وتعظيمها .

روي أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) أعطى أمّ سلمة تراباً من تربة الحسين حمله اليه جبرئيل ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) لأم سلمة :

اذا صار هذا التراب دماً فقد قتل الحسين .

فحفظت أم سلمة ذلك التراب في قارورة عندها ، فلما قتل الحسين صارالتراب دماً ، فأعلمت الناس بقتله أيضاً[19] .

وأخرج ابن سعد عن أمّ سلمة أيضاً قالت : قال رسول الله (صلى الله عليه

---

(١٩) (الكامل في التاريخ) ابن الأثيرج٤ ، ص٩٣ .

وآله) : « أخبرني جبريل أنّ الحسين يقتل بأرض العراق ، فقلت لجبريل : أرني تربة الأرض التي يقتل فيها ، فجاء فهذه تربتها »[٢٠] .

وأخرج ابن سعد أيضاً والطبراني في (الكبير) عن عائشة عنه (صلى الله عليه وآله) انّه قال : « أخبرني جبريل انّ ابني الحسين يقتل بعدي بارض الطف ، وجاءني بهذه التربة وأخبرني انّ فيها مضجعه »[٢١] .

وأخرج البغوي ، وابن السّكن ، والباوردي ، وابن منده ، وابن عساكر ، والطبراني في (الكبير) باسناد رجاله ثقات عن أم سلمة :

« انّ ابني هذا ـ يعني الحسين ـ يقتل بارض من أرض العراق يقال لها كربلاء فمن شهد ذلك منكم فلينصره »[٢٢] .

وأخرج أحمد ، وابو يعلى ، والبزاز ، والطبراني في (الكبير) باسناد رجاله ثقات ، عن نجيٍّ الحضرمي انّه سار مع علي ، وكان صاحب مطهرته ، فلما حاذى نينوى ، وهو منطلق الى صفين ، فنادى عليٌّ : أصبر أباعبدالله ، اصبر أباعبدالله بشطّ الفرات .

قلت : وما ذاك ؟ .

قال : دخلت على النبي (صلى الله عليه وآله) ذات يوم واذا عيناه تذرفان ، قلت : يانبيّ الله أأغضبك أحد ؟ ما شأن عينيك تفيضان ؟ .

قال : بل قام من عندي جبريل فحدّثني أنّ الحسين يقتل بشطّ الفرات ، قال : فهل لك أن أشممك من تربته ؟ قلت : نعم ! فمدّ يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني ان فاضتا[٢٣] .

---

(٢٠) (درّ السّحابة في مناقب القرابة والصحابة) محمد بن علي الشوكاني ص٢٩٤ .
(٢١) المصدر السابق .
(٢٢) المصدر السابق .
(٢٣) المصدر السابق ص٢٩٧ .

وفي (تذكرة الخواص) (ص ٢٦٠) أنه لما قيل للحسين هذه أرض كربلاء أخذ ترابها فشمّه : وقال : والله هي الأرض التي أخبر بها جبرئيل رسول الله أنني أقتل فيها .

وجاء في (حياة الحيوان) للدميري (ج ١ ص ٦٠) انّ الحسين سأل عن اسم المكان : فقيل له : كربلاء .

فقال : ذات كرب وبلاء ، لقد مرّ أبي بهذا المكان عند مسيره الى صفّين وأنا معه ، فوقف وسأل عنه فأخبروه بإسمه ، فقال : هاهنا محطّ رحالهم ، وهاهنا مهراق دمائهم ! . . فسئل عن ذلك ؟ فقال : نفر من آل محمد ينزلون هاهنا . . ثم أمر بأثقاله فحطّت في ذلك المكان .

وكذلك جاء في (مختصر صفة الصفوة)[٢٤] .

وكان وصول الإمام الحسين الى كربلاء في اليوم الثاني من شهر المحرم (سنة ٦١ هـ) .

عاشوراء :

زحفت القوّات العسكرية الأموية لتحاصر الحسين وأصحابه في كربلاء ، واختلف المؤرخون في عدد أفراد القوات الزاحفة نحو كربلاء ، ولعلّ القول الأقرب والأصحّ هو ثلاثون ألف مقاتل[٢٥] ، بينما كان عدد أفراد معسكر الحسين لايزيد على ثمانين رجلاً .

بينما فرضت السلطات الحصار على الكوفة وحالة الطوارىء في داخلها حتّى لايتسلّل منها أحد للالتحاق بالإمام الحسين .

وكانت قيادة الجيش الأموي بعهدة عمر بن سعد .

وتحدّت الإمام الحسين للجيش الأموي الزّاحف لقتاله مراراً ، ليعرّفهم بنفسه

---

(٢٤) (حياة الإمام الحسين) القرشي ج٣، ص٩١.

(٢٥) المصدر السابق ص١٢٢.

وليشرح لهم مبررات وأهداف موقفه المعارض للسلطة الأموية ، وليوضح لهم سوء الواقع المعاش في ظلّ الأمويين ، ومسؤولية الثورة والرفض لظلمهم وطغيانهم .

لكن خطابات الإمام لم تؤثر الاّ في عدد قليل محدود من أفراد الجيش كالحرّ بن يزيد الرياحي قائد الفرقة العسكرية التي واجهت الإمام في الطريق ، فقد تأثّر بموقف الإمام وخطاباته وتمرّد على معسكره والتحق بمعسكر الإمام الحسين .

وتشديداً للحصار على الإمام الحسين وأصحابه فقد احتّل الجيش الأموي شاطيء الفرات ومنعوا الحسين وأصحابه وعياله من الوصول الى الماء ، منذ اليوم السابع من المحرم .

وفي صبيحة اليوم العاشر من المحرم بدأ الجيش الأموي هجومه على معسكر الإمام الحسين فتبادر أصحاب الإمام ورجالات أسرته الهاشمية للدفاع عن وجود الإمام وعياله وعن أنفسهم ، وسطّروا من خلال معركة دفاعهم المقدس ملحمة خالدة من البطولة والفداء لم يعرف التّاريخ لها نظيراً ، وبعد ظهر اليوم العاشر من المحرم كان جميع الأصحاب والأنصار قد عانقوا الشهادة ، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه ، بينما بقي الإمام الحسين يواجه القوم بمفرده وخلفه نساؤه وعياله قد أقضّهم العطش والظمأ ، وآلمهم الحزن والمصاب ، وأصبحوا ينتظرون مستقبلاً مأساوياً بعد فقد رجالاتهم وحماتهم .

وتصدّى الإمام لمواجهة القوم وقتالهم ، غير آبه بكثرة جموعهم ، ولا نالت المصائب والآلام من عزيمته وشجاعته ، حتى أذن الله له بلقائه ، فوقع صريعاً شهيداً على بوغاء كربلاء ، مضمّخاً بدمائه الشّريفة ، شاهداً على انحراف الأمّة عن رسالة جدّه ، راسماً لأجيال البشرية طريق الثورة والنضال دفاعاً عن المبدأ والكرامة .

ولم يكتف الجيش الأموي الظّالم بقتل الإمام وأصحابه جميعاً بل قتلوا حتى الأطفال الرضّع كعبد الله الرضيع ابن الإمام الحسين وهو دون العام من عمره حيث ذبحوه على صدر أبيه الحسين ، ولم يسلم من رجالات معسكر الحسين الاّ ولده علي بن الحسين زين العابدين لأنّه كان عليلاً مريضاً .

وأجهزوا على الجثث الطّاهرة للإمام الحسين واصحابه يحتزّون رؤوسهم ثم وطأوا جسد الإمام بخيولهم ، وأغاروا على خيم نساء الحسين وأطفاله ، واحرقوها بالنار ، وسلبوا ما فيها من متاع ، وما على النساء والأطفال من حلي وحلل !! .

لقد ارتكب الجيش الأموي الباغي في كربلاء جرائم فظيعة ، لا يصحّ ارتكابها حتى مع الأعداء الكافرين ، فضلاً عن عترة رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

لذلك اصبحت كربلاء تمثّل أفظع مأساة في تاريخ البشر ، وفي ذات الوقت فهي أروع ملحمة في سجلّ البطولة والفداء والصمود .

قافلة السبايا :

وفي اليوم الحادي عشر من المحرم قام الجيش الأموي بمواراة جثث قتلاهم ، بينما تركوا الأجساد الطاهرة للإمام الحسين وأصحابه على صعيد كربلاء تسفي عليهم الرياح دون مواراة .

وساروا بنساء الحسين وأطفاله سبايا كأسارى الى الكوفة تتقدمهم رؤوس الحسين وأصحابه معلّقة على رؤوس الرماح .

وكان عدد السبايا عشرين امرأة عدا الصّبية ، وقد سيّروهنّ على الجمال بغير وطاء[٢٦] وساقوهنّ بكلّ عنف وشدّة .

وأدخلوا السبايا الى الكوفة في اليوم الثاني عشر وسط مظاهر الفرح والبهجة بانتصار الظالمين على أهل البيت .

وبعد أن بقيت السبايا أياماً في الكوفة يعانين الإذلال والآلام سيّروهن الى الشام مع رؤوس الشهداء ، فكانت رحلة مضنية مرهقة لتلك النساء المفجوعات ، والصّبايا اليتيمات . . ولقين في الشام ضروب الشماتة والأهانة ، وخاصّة في مجلس الطاغية يزيد بن معاوية .

ومع أنّ دمشق كانت عاصمة الأمويين ، وأجواؤها كانت معبّأة ضدّ أهل

---

(٢٦) المصدر السابق ص٣٢١.

البيت (عليهم السلام) ، الاّ أنّ مأساة السبايا ، وأخبار كربلاء ، وخطابات الإمام زين العابدين والسيدة زينب وأمّ كلثوم ، كلّ ذلك ترك أثراً في جمهور الشام ، وخلّف تيّاراً من الإنكار والرفض لسياسات يزيد بن معاوية ، وخوفاً من تنامي ذلك التيّار أمر يزيد بإعادة السبايا الى المدينة المنّورة حسب طلبهم .

وهكذا عادت قافلة السبايا الى المدينة تشكو الى رسول الله ما اصابهم من ظلم وضيم واضطهاد لاشبيه له في التاريخ .

وبعد قراءة هذه السّطور المقتضبة السريعة من كتاب الثورة الحسينية الذي لم تستوف الأجيال قراءته ، يمكننا الآن التّحدّث عن دور السيدة زينب (عليها السلام) في تلك الثورة العظيمة .

الدور المنتظر

قضيّة كربلاء بأحداثها المروّعة لم تكن مفاجئة للسيدة زينب ، ودورها في تلك الواقعة لم يكن عفوياً ولا من وحي الصّدفة . فقد كانت مهيّاة نفسياً وذهنياً لتلك الواقعة ، وكانت تعلم منذ طفولتها الباكرة بأنّ تلك الحادثة ستقع وأنّها ستلعب فيها دوراً رئيسياً بارزاً .

صحيح أنّ أحداث كربلاء قبل وقوعها كانت في رحم الغيب ولا يعلم الغيب الاّ الله ، ولكن من الصحيح أيضاً أنّ الله (تعالى) قد كشف لنبيّه الأعظم أستار الغيب ، وأظهره عليه ، يقول تعالى : ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ** ﴾[٢٧] .

وثابت عند المسلمين أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أخبر أصحابه بالعديد من المغيبات ، وأنبأهم بأنّها ستقع ، وأدركوا وقوعها بالفعل ، وذلك ممّا لا نقاش في ثبوته بين المسلمين .

ومن المغيبات التي تحدّث عنها رسول الله (صلى الله عليه وآله) واقعة كربلاء كما أشارت الى ذلك العديد من المصادر الموثوقة عند المسلمين من كتب الحديث .

---

(٢٧) سورة الجن، الآيات (٢٦ ـ ٢٧).

وأهل البيت المعنيّون بتلك الواقعة كانوا في طليعة من أحاطهم الرسول بها علماً كما تؤكّد ذلك مختلف المصادر الحديثيّة والتاريخيّة .

فطبيعي إذاً أن تكون السيدة زينب في أجواء تلك النبوءة ، وعلى معرفة بالخطوط العامة للحادثة ، بل وببعض تفاصيلها وجزئياتها .

وقد صرّحت العقيلة زينب بمعرفتها المسبقة بواقعة كربلاء في الحديث الذي نقله الشيخ الأقدم أبو القاسم جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه القمّي (المتوفي سنة : ٣٦٧ هـ أو ٣٦٨ هـ) في كتابه (كامل الزيارة) وهو كتاب اعتمد كبار العلماء على رواياته وأسانيده .

والحديث مروي بسند متصل الى الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام) قال :

« إنّه لّما أصابنا بالطف ما أصابنا ، وقتل أبي (عليه السلام) ، وقتل من كان معه من ولده واخوته وساير أهله ، وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يراد بنا الكوفة ، فجعلت أنظر اليهم صرعى ، ولم يواروا ، فيعظم ذلك في صدري ، ويشتدُّ لّما ارى منهم قلقي ، فكادت نفسي تخرج ، وتبيّنت ذلك منّي عمتي زينب بنت علي الكبرى ، فقالت : ما لي أراك تجود بنفسك يابقية جدّي وابي واخوتي ؟ .

فقلت : وكيف لا أجزع ولا أهلع ، وقد ارى سيّدي وأخوتي وعمومتي ، وولد عميّ وأهلي مصرّعين بدمائهم مرملين بالعراء ، مسلبين لا يكفنون ولا يوارون ، ولا يعرّج عليهم أحد ، ولا يقربهم بشر ، وكأنهم أهل بيت من الديلم والخزر ؟ .

فقالت : لا يجزعنّك ما ترى . فوالله انّ ذلك لعهد من رسول الله (صلى الله عليه وآله) الى جدّك وابيك وعمّك . . ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمّة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض ، وهم معرفون في اهل السماوات ، إنّهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرّقة فيوارونها ، وهذه الجسوم المضرّجة ، وينصبون لهذا الطف

علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء ، لا يدرس أثره ، ولا يصفو رسمه ، على كرور الليالي والأيام ، وليجتهدنّ أئمة الكفر ، أشياع الضّلالة ، في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره الاّ ظهوراً ، وأمره الاّ علواً .

فقلت : وما هذا العهد وما هذا الخبر؟ .

فقالت : حدّثتني أمّ أيمن ـ مولاة رسول الله ـ أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) زار منزل فاطمة في يوم من الأيـــام. وتستمّر السيّدة زينب في حديثها الطويل لابن أخيها زين العابدين نقلاً عن أم أيمن وهي تعدّد ما يجري على أهل البيت من حوادث بعد رسول الله (ص) حسب ما أخبر به رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن بين تلك الحوادث واقعة كربلاء .

ثم تعقّب السيدة زينب على ما نقلته عن أمّ أيمن بقولها :

« فلما ضرب ابن ملجم (لعنه الله) أبي (عليه السلام) ورأيت أثر الموت منه .

قلت : ياأبة حدثتني أم أيمن بكذا وكذا ، وقد أحببت أن أسمعه منك .

فقال : يابنية الحديث كما حدّثتك أم أيمن وكأني بك وببنات أهلك سبايا بهذا البلد ـ اي الكوفة ـ اذلاء خاشعين »[٢٨] .

---

(٢٨) (بحار الأنوار) المجلسي ج٢٨، ص٥٥ ـ ٦٠.

المبادرة والاختيار

قد يجد الأنسان نفسه في معمعة معركة لم يكن مختاراً للدخول فيها ، وقد يصبح متورّطاً في مشكلة فرضت عليه دون قصد منه .

ويحصل هذا غالباً بالنسبة للمرأة فبحكم تبعيّتها للرجل أباً كان أو زوجاً أو ولداً ، قد تجد نفسها محشورة في معركته دون سابق وعي أو اختيار من قبلها .

فهل كان حضور السيدة زينب ودورها في ثورة كربلاء شيئاً من هذا القبيل ؟ .

بقراءة واعية لدور السيدة زينب ولمواقفها وكلماتها خلال أحداث الواقعة يتجلّى للباحث أنّ السيدة زينب قد اختارت دورها في هذه الثورة العظيمة بوعي سابق وادراك عميق ، وانّها كانت المبادرة للمشاركة كما احتفظت بزمام المبادرة في مختلف المواقف والوقائع الثّورية .

ويحدّثنا التّاريخ أنّ السيدة زينب هي التي قرّرت وأرادت الخروج مع أخيها الحسين في ثورته ، مع أنّها من النّاحية الدينية والأجتماعية في عهدة زوجها عبدالله بن جعفر والذي كان مكفوف البصر ، كما كانت ربّة منزلها والقائمة بشؤون ابنائها ، وكلّ ذلك كان يمنع التحاقها بركب أخيها الحسين . . لكنّها قرّرت تجاوز

كلّ تلك العوائق واستأذنت زوجها في الخروج مع أخيها ، فاذن لها بذلك بل وأمر ولديه عون ومحمد بالإلتحاق بقافلة الثورة .

ولأنّ سفر الإمام الحسين كان محفوفاً بالمخاطر فقد اقترح عليه شيوخ بني هاشم أن لا يصطحب معه أحداً من النساء والعيال ، ولكن السيدة زينب كانت بالمرصاد لمثل هذه المقترحات التي تحول بينها وبين المشاركة في المسيرة المقدسة .

فهذا عبدالله بن عباس وبعد أن عجز عن اقناع الإمام الحسين بالعودة عن قرار الخروج الى الثورة يناقشه في حمل النساء والعيال معه قائلاً :

إن كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك ، فإنّي لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون اليه[٢٩] .

ومحمد بن الحنفية اخو الإمام الحسين طرح على الإمام نفس التساؤل بعدما أخبره الإمام الحسين بعزمه على الخروج قائلاً : « أتاني رسول الله وقال لي : ياحسين أخرج فإنّ الله شاء أن يراك قتيلاً .

فتساءل محمد بن الحنفية : فما معنى حمل هؤلاء النسوة والأطفال وأنت خارج على مثل هذا الحال ؟ .

وكان جواب الإمام على تساؤل هؤلاء المشفقين على مستقبل نسائه وعائلته أشدّ اثارة وغرابة حيث قال (عليه السلام) : « قد شاء الله أن يراهنّ سبايا »[٣٠] .

ويروي الشيخ النقّدي أنّ السيدة زينب اعترضت على نصيحة ابن عباس للإمام بأن لا يحمل معه النساء : فسمع ابن عباس بكاءاً من ورائه وقائلة تقول : يابن عباس تشير على شيخنا وسيدّنا أن يخلفنا هاهنا ويمضي وحده ؟ لا والله بل نحيا معه ونموت معه ، وهل أبقى الزمان لنا غيره ؟ فالتفت ابن عباس واذا المتكلّمة هي زينب[٣١] .

---

(٢٩) (حياة الإمام الحسين) القرشي ج٣، ص٢٧.

(٣٠) المصدر السابق ص٣٢.

(٣١) (زينب الكبرى) النقدي ص٩٤.

وكما أنّ أصل اشتراكها في الثورة كان بقرارها الواعي ، فإنّ أغلب مواقفها في ميادين الثورة كانت تنبثق من مبادراتها الوثّابة الشجاعة ، فهي التي تهرع نحو أخيها الحسين حينما تدلّهم المصائب والخطوب لتشاركه المواجهة .

وهي في يوم عاشوراء تتحدّى الآلام والظروف العصيبة لتمارس دورها البطولي العظيم ، مع أنّ بعض ما أصابها يكفيها عذراً للانشغال بأحزانها والإبتعاد عن ساحة المعركة .

ثم وما الذي دفعها للخطابة أمام جمهور الكوفة ؟ .

ومن كان يتوقّع من مثلها خطابها النّاري في مجلس يزيد بن معاوية ؟ لقد كانت ظروف السّبي والأسر ، وطبيعة الخفارة والخدر لدى السيدة زينب ، وأجواء الشّماتة والعداء المحيطة بها في الكوفة والشام . . لقد كان كلّ ذلك أو بعض ذلك يكفي دافعاً نحو الانكفاء على الذات ومعالجة الهموم والحزن . . لكنّ العقيلة زينب تسامت على كلّ ذلك ، وامتلكت زمام المبادرة مسيطرة على كلّ ما حولها من ظروف وأوضاع .

ولأنّها كانت مختارة ومبادرة عن سابق وعي وتصميم ، فانّها كانت تنظر الى ما واجهته من آلام ومآسٍ قاسية تتصدّع لهولها الجبال الرواسي ، تنظر اليها بايجابية واطمئنان ، وتعتبرها ابتلاءاً وامتحاناً آلهياً لابّد لها من النجاح فيه .

بل انّها وفي أشدّ المواقف وافظعها تضرع الى الله شاكرة حامدة آلاء نعمه ، معلنة تقبّلها لقضاء الله ، واستعدادها لتحّمل الأكثر من ذلك في سبيله .

فحينما حدثت الفاجعة الكبرى بمقتل أخيها الحسين بعد قتل كلّ رجالات بيتها وأنصارهم خرجت السيدة زينب تعدو نحو ساحة المعركة تبحث عن جسد أخيها الحسين غير عابئة بصفوف الجيش الأموي المدجّج بالسّلاح ، فلما وقفت على جثمان أخيها العزيز الذي مزّقته السيوف ، جعلت تطيل النظر اليه ثم رفعت بصرها نحو السماء وهي تدعو بحرارة ولهفة : « اللهمّ تقبّل منّا هذا القربان »[٣٢] .

---

(٣٢) (حياة الإمام الجسين) القرشي ج٣، ص٣٠٤.

إنّ ذروة الماساة وقمّة المصيبة هو مورد للتقرب الى الله (تعالى) عند السيدة زينب . . وذلك هو قمّة الوعي وأعلى مستويات الأرادة والأختيار .

وحينما يسألها عبيدالله بن زياد أمير الكوفة وواجهة السلطة الأموية في مجلسه سؤال الشّامت المغرور بالنّصر الزّائف قائلاً : كيف رأيت فعل الله بأخيك ؟ .

فانّها تجيبه فوراً ومن أعماق قلبها بجرأة وصمود قائلة : « ما رأيت إلاّ جميلاً ، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجّ وتخاصم فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك أمك ياابن مرجانة »[٣٣] .

وتختم خطابها في مجلس يزيد بن معاوية بتأكيد رؤيتها الأيجابية لما حصل لها ولأهل بيتها من مصائب وآلام حيث تقول : « والحمد لله ربّ العالمين ، الذي ختم لأوّلنا بالسّعادة والمغفرة ، ولآخرنا بالشهادة والرحمة ، ونسأل الله أن يكمل لهم الثّواب ، ويوجب لهم المزيد ، ويحسن علينا الخلافة إنه رحيم ودود ، وحسبنا الله ونعم الوكيل »[٣٤] .

فزينب لم تكن مستدرجة ، ولم تجد نفسها متورّطة في معركة فرضت عليها بل اقتحمت ساحة الثورة بملء ارادتها وكامل اختيارها ، وهنا تتجلّى عظمة السّيدة زينب .

---

(٣٣) المصدر السابق ص٣٤٤.

(٣٤) المصدر السابق ص٣٨٠.

سلاح المظلومية

في المعركة بين الحق والباطل يستخدم كل من طرفي الصراع جميع ما يتاح له من أسلحة وما بحوزته من امكانيات ليقضي على خصمه أو ليوقع به أكبر قدر ممكن من الخسائر .

واذا كانت الأسلحة المادية المستخدمة في القتال على أرض المعركة متشابهة كالسيوف والرماح ، فإنّ الأسلحة المعنوية ووسائل الأستقطاب للمؤيّدين وأساليب التّأثير والتّعامل مع الناس ، تكون متفاوتة مختلفة بين الطرفين ، نتيجة لاختلافهما في الأهداف الدافعه والقيم الحاكمة .

حيث تسعى كل جبهة لتعبئة أفرادها ورفع معنوياتهم ، كما تجتهد في استقطاب الجمهور والتّأثير في الرأي العام لصالح موقفها .

ولتحقيق ذلك تستخدم جبهة الباطل أساليب الأغراء والمكر والخداع ، لأثارة الأهواء والرّغبات في نفوس أتباعها ، فتمنّيهم بالأموال والمناصب والأمتيازات ، وتغريهم بانتصاراتها الزّائفة وقوّتها الزّائلةبينما تشهر جبهة الحقّ سلاح الصدق والخلاص ، وتستثير في نفوس أتباعها قيم الحقّ والعدل وروح التضحية والفداء .

ومن أمضى أسلحة جبهة الحق التي تجلّت في ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) هو سلاح المظلومية ، بإبراز عدوانية الطّرف الآخر وبشاعة جرائمه ، واظهار عمق المأساة وشدّة الآلام والمصائب التي تحمّلها معسكر الإمام الحسين .

والمظلومية تستصرخ ضمائر الناس وتوقظ وجدانهم ، وتدفعهم الى الوقوف الى جانب أهل الحق المظلومين ، كما تستثير نقمتهم وغضبهم ضدّ المعتدين الظّالمين .

والمظلومية تعبّىء الأتباع المناصرين وتدفعهم للألتفاف أكثر حول معسكرهم وقضيتهم ، كما تؤثّر في نفوس الجمهور ليتعاطف ويؤيّد المظلومين ضدّ الظالمين ، بل وتمتّد آثارها حتى الى معسكر العدو لتحّرك فيه ضمائر بعض جنوده المخدوعين ، فيتمّردون على معسكرهم الظالم ويلتحقون بصفوف الثّوار المخلصين وأكثر من ذلك فانّ تأثير المظلومية يتخطّى الأزمنة والأعصار ليحشد أجيال البشرية على مرّ التاريخ الى جانب معسكر الحقّ .

وقد تحقّق كلّ ذلك وباروع صورة في واقعة كربلاء فبينما كانت السلطة الأموية تستعرض قوّتها العسكرية أمام النّاس لترهبهم حتى يقفوا الى جانبها وتمارس عليهم أشدّ ضغوط القمع .

وبينما كان الوالي الأموي على الكوفة عبيد الله بن زياد يغدق الأموال والرشوات على الزّعماء والوجهاء ، ويزيد في عطاء الجنود ، ويعد القيادات كعمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن وشبث بن ربعي بالمناصب والولايات .

في مقابل كلّ ذلك كان الإمام الحسين وأصحابه يبشّرون بالقيم السّامية ويخاطبون الضمائر الحرّة ، ويبصّرون الناس بواقعهم ومسؤلياتهم ، ويلفتون الأنظار الى جرائم السلطة الظالمة ، وعدوانيتها وجورها الذي تجاوز كلّ الحدود .

وكان سلاح المظلومية مؤثراً جداً ، فكلمّا شاهد اصحاب الحسين ما يصيب امامهم وعيالاته من الآلام والمصائب ، استماتوا أكثر في الدفاع والتضحية والفداء ، وازدادوا قناعة ويقيناً بعدالة قضيتهم .

ويحدّثنا التاريخ كيف أنّ أفراداً بل قيادات من الجيش الأموي قد تأثّرت

لمظلومية الإمام الحسين وغيّرت موقفها وتحوّلت الى جانب المعسكر الحسيني . . كالحر بن يزيد الرياحي وكان من قادة الجيش الأموي ومن اشجع أبطالهم ، وهو الذي قاد أوّل فرقة عسكرية حاصرت الإمام في الطريق ـ كما سبق ـ .

هذا الرجل حرّكت مظلومية الإمام وجدانه ومشاعره وأيقظت ضميره ، فألوى بعنان فرسه صوب الإمام وهو مطرق برأسه الى الأرض حياءاً وندماً ، فلمّا دنا من الإمام رفع صوته قائلاً :

« اللهمّ اليك أنيب فقد ارعبت قلوب أوليائك وأولاد نبيّك يأباعبدالله إنّي تائب فهل لي من توبة ؟ » .

ونزل عن فرسه ، فوقف قبال الإمام ودموعه تتبلور على وجهه ، وجعل يخاطب الإمام ويتوسّل اليه بقوله :

« جعلني الله فداك يابن رسول الله أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع ، وجعجعت بك في هذا المكان . والله الذي لا اله الاّ هو ما ظننت أنّ القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبداً ، ولا يبلغون منك هذه المنزلة ابداً » .

لقد هزّه وأثاره ما بلغه القوم من الإمام ، يعني ما أصاب الإمام منهم من المآسي والآلام .

ولم يكن الحرّ وحده قد تأثّر بمظلومية الإمام بل انّ حوالي ثلاثين فارساً آخر من الجيش الأموي قد اتّخذوا ذات الموقف والتحقوا بمعسكر الإمام[٣٥] .

أمّا انعكاس مظلومية الإمام الحسين وأصحابه وعيالاته على جماهير الأمة آنذاك فهذا ما تحدّثنا عنه الانتفاضات والثّورات التي انطلقت في مختلف أرجاء الأمّة كردّ فعل على مقتل الإمام الحسين بتلك الصورة الفظيعة ، كثورة التّوابين والتي كان شعارها : « يالثارات الحسين » وثورة المختار الثقفي ، وثورة أهل المدينة .

ولا تزال مظلومية الإمام الحسين حيّة مؤثرة في القلوب والنّفوس على مرّ

(٣٥) المصدر السابق ص١٩٦ ـ ١٩٨ .

العصور والأجيال الى يومنا هذا والى أن يرث الله الأرض ومن عليها . .

وأبرع وأكثر من شهر سلاح المظلومية واستخدمه في واقعة كربلاء هي السيدة زينب . .حيث كانت تسلّط الأضواء وتلفت الأنظار الى مواقع الظلامة ، وقامت بدور تأجيج العواطف والهاب المشاعر أثناء الواقعة ، وبعد الواقعة في الكوفة والشام وحينما عادت الى المدينة ، بل كرّست باقي أيّام حياتها للقيام بهذا الدور العظيم . .

إنّ المواقف العاطفية الوجدانية التي قامت بها السيدة زينب حيث كانت تبكي وتتألّم وتنعي وتندب وتستغيث وتستصرخ لم تكن مجرّد ردود أفعال عاطفية على ما واجهته من مآسي وآلام ، بل كانت تلك المواقف فوق ذلك سلاحاً مشرعاً تصوّبه نحو الظلم والعدوان ، وتدافع به عن معسكر الحقّ الرسالة . .

ولنقتطف الآن بعض العّينات والنماذج من تلك المواقف الزّينبية :

ترى الإمام ينعى نفسه :

الحسين في نظر السيدة زينب ليس مجرّد أخ عزيز ، ومكانته في نفسها لا تتحدّد في كونه الإمام القائد والمفترض الطاعة فقط ، بل فوق ذلك كله انّه يجسّد ويمثّل شخصية جدّها رسول الله ، وأبيها الإمام علي ، وأمّها فاطمة الزهراء ، وأخيها الإمام الحسن ، انّه البقيّة والامتداد للبيت النبوي العظيم . .

لذلك حينما رأته ينعى بنفسه وينتظر الشّهادة أدركت مدى الخسارة التي تحلّ بها وبالوجود عند فقده . .

فقد رأت الحسين ليلة العاشر من المحرم ، وهو يعالج سيفه ويصلحه في خيمته ويقول :

يـادهـر أفٍ لـك من خليـل كم لـك بـالاشراق والأصيـل
من صـاحب وطـالـب قتيـل والـدهـر لايقنـع بـالبـديـل
وانّمـا الأمـر الى الجـليـل وكـلّ حي سـالـك سبيـل

فلما سمعت السيدة زينب هذه الأبيات أحسّت أنّ شقيقها عازم على الموت ومصمّم على الشهادة ، فأعولت قائلة :

« واثكلاه ! واحزناه ! ليت الموت أعدمني الحياة ، ياحسيناه ، ياسيداه ، يابقيّة أهل بيتاه ، استسلمت ، ويئست من الحياة ، اليوم مات جدّي رسول الله ، وأمّي فاطمة الزهراء ، وأبي علي ، وأخي الحسن ، يابقيّة الماضين ، وثمال الباقين».

فقال لها الإمام : « ياأخيّة لايذهبن بحلمك الشيطان » . .

فأجابته بأسىً وإلتياع : « أتغتصب نفسك اغتصاباً ، فذاك أطول لحزني ، وأشجى لقلبي »[٣٦] .

وقد أرادت السيدة زينب في هذا الموقف أن تبينّ خطورة الجريمة التي عزم الجيش الأموي على ارتكابها ، انّها تستهدف رسول الله وابنته الزهراء وأخاه علياً وسبطه الحسن عبر قتل من يمثّلهم ويجسّدهم جميعاً آنذاك وهو الإمام الحسين (عليه السلام) . .

عند مصرع العباس :

لم يكن العباس بن علي جندياً عادياً في معسكر الإمام الحسين ، بل كان قائد القوات العسكرية الحسينية ، وصاحب اللواء ، وكان ذا شخصية عظيمة ، و للسيدة زينب به علاقة حميمة ، وقد احتفظ به الإمام الحسين الى جانبه فلم يأذن له بالنزول الى ساحة المعركة الاّ بعد قتل كلّ رجاله وأنصاره ، فكان آخر بطل يقاتل بين يدي الحسين ، لذلك كان مقتله إيذاناً بانهيار المعسكر الحسيني كما صرّح بذلك الإمام الحسين حيث وقف على مصرع أخيه العباس قائلاً : « الآن انكسر ظهري ، وقلّت حيلتي » .

وحينما علمت السيدة زينب بمقتل أخيها العباس ، أظلمت الدنيا في عينها ، فاندفعت صارخة : « وأخاه ، واعبّاساه ، واضيعتنا بعدك »[٣٧] .

---

(٣٦) المصدر السابق ص١٧٢ .

(٣٧) المصدر السابق ص٢٦٩ .

أمام الفاجعة الكبرى :

لايمكن أن تمرّ على انسان لحظة أقسى وأصعب من تلك اللحظات الأليمة التي مرّت على السيدة زينب حينها وقع أخوها الحسين شهيداً ، ووقفت على مصرعه . .

إنّها تعرف قيمة الحسين ومكانته عند الله (سبحانه) وعند جدّه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وفي البيت العلوي . . وهي تدرك عظمة الحسين من خلال صفاته الفريدة ومميّزاته الخاصّة . . وهي تعي موقعيّة الحسين كامتداد للنبوة ومجسّد للامامة وحجّة لله على الخلق . .

وتعلم السيدة زينب أنّ قتل الحسين يمثّل انتهاك أعظم حرمة ، و ارتكاب أكبر جريمة ، وإنّ ذلك يعني الوصول الى قمّة الارتداد عن الدين والتّنكر للرسالة . .

ثم انّ قتل الحسين يعني اغتيال أعزّ شيء على قلبها وأقرب شيء الى نفسها في هذه الحياة . . والحسين هو الولي لها المحامي لخدرها ، وبقتله تصبح تحت رحمة الأعداء الظلمة الجفاة . . فمن سيحمي خدرها ، ويصون عزّها و يدافع عمّن معها من نساء وأطفال ؟ .

والحسين لم يقتل بالشّكل المتداول في معارك القتال ، بل أمعن القوم في تمزيق جسمه بمختلف أدوات الحرب . .

فقد أصاب سهم فمه الطّاهر فتفجّر دمه الشريف . . وأصاب سهم جبهته الشريفة المشرقة بنور الإمامة . . ورماه رجس بسهم محدّد له ثلاث شعب فاستقرّ في قلبه الشريف وأخرج الإمام السهم من قفاه فانبعث دمه كالميزاب فأخذ الإمام من دمه الطاهر ولطّخ به وجهه ولحيته ، وهو يقول : « هكذا أكون حتى ألقى الله وجدّي رسول الله وأنا مخضّب بدمي » .

وهجمت على ريحانة رسول الله تلك العصابة المجرمة من كلّ جانب و هم يوسعونه ضرباً بالسّيوف وطعناً بالرماح ، فضربه أحدهم بالسيف على كفّه اليسرى ، وضربه آخر على عاتقه ، وكان من أحقد أعدائه عليه الخبيث سنان بن

أنس ، فقد أخذ يضربه تارة بالسيف وأخرى طعنة بالرمح !! .

يقول بعض المؤرّخين : انّه لم يضرب أحد في الاسلام كما ضرب الحسين فقد وجد به مائة وعشرون جراحة مابين ضربة سيف وطعنة رمح ، ورمية سهم[٣٨] .

أمّا كيف ومتى علمت السيدة زينب بمقتل أخيها الحسين ؟ فإنّ المصادر التّاريخية تشير الى أنّ فرس الحسين بعد أن وقع الحسين من على ظهره الى الأرض ، ومزّقته سيوف القوم ورماحهم صبغ ناصيّته بدم الإمام الشهيد وركض مسرعاً نحو خيمة الحسين ، كأنّه يريد اعلام النساء بمقتل الإمام . . وبالفعل كان رجوع فرس الإمام من دون الإمام نذير سوء لمن في الخيام بأنّهم قد فقدوا عزّهم وزعيمهم . .

وهنا خرجت العقيلة زينب مهرولة نحو مصرع أخيها الحسين . . فمن ياترى يستطيع وصف تلك اللحظات القاسية والموقف الصّعب ؟ .

لقد وجدت العقيلة نفسها أمام لحظة تاريخية حسّاسة خطيرة ، وأمام موقف عظيم ، لابدّ وأن تسجّل شهادتها عليه للتاريخ . .

فصاحت هاتفة من أعماق قلبها :

« وامحمداه ! وأبتاه ! واعلياه ! واجعفراه ! واحمزتاه ! .

هذا حسين بالعراء صريع بكربلاء ! .

ليت السماء أطبقت على الأرض ! وليت الجبال تدكدكت على السهل !! » .

وانتهت نحو الحسين وقد دنا منه عمر بن سعد قائد الجيش الأموي في جماعة من أصحابه ، والحسين يجود بنفسه ! .

فصاحت السيدة زينب : اي عمر أيقتل أبوعبدالله وأنت تنظر اليه ؟ .

فصرف وجهه عنها ، ودموعه تسيل على لحيته !! .

---

(٣٨) المصدر السابق ص٢٨٤ ـ ٢٨٩ .

والتفتت السيدة زينب الى حشود الجيش الأموي صارخة بهم : ويحكم أما فيكم مسلم ؟ . . فلم يجبها أحد[٣٩] .

إنّ هول المصيبة وعظم الفاجعة وقسوة الحدث ، لم يشغل كل ذلك العقيلة زينب عن أداء دورها الرسالي الخطير في اعلان الظّلامة ، وتأجيج العواطف ، والهاب المشاعر حتّى في نفوس الأعداء الظالمين . .

نظرة وداع :

بعد ظهر اليوم الحادي عشر من المحرم عزم الجيش الأموي على مغادرة أرض كربلاء ، وقد حملوا معهم نساء الحسين وأهل بيته وصبيتهم ، ومرّوا بقافلة الأرامل المثكولات والأيتام المفجوعين على أرض المعركة وحيث تشرق على ساحتها جثث الشهداء وأجسام القتلى من أهل البيت . .

وكان منظراً مذهلاً للنساء والأطفال : فالأجساد بلا رؤوس . . و الأشلاء موزّعة . . والدماء تصبغ البسيطة . .

ويبدو أنّ قيادة الجيش الأموي أرادت أن تدخل الرّعب و الفزع الى نفوس العائلة الحسينية ، وأن تحدث الهزيمة والانهيار التامّ في نفوس أفرادها ، حتى يدخلوا الكوفة وهم في منتهى الاذلال والهوان . .

وتأمّلت العقيلة زينب ذلك الموقف الرهيب : حيث ترى أرض الشهادة ترتسم على ربوعها أفظع مأساة ، وتنظر الى النساء والأطفال وقد علتهنّ الكآبة والدهشة . . ومن جانب آخر ترى الجيش الأموي يبالغ في اظهار نشوة انتصاره الزّائف ، ويستعرض قوّته وقدرته الغاشمة . .

فمزّقت العقيلة زينب أجواء الرّهبة والألم ، واندفعت تشهر سلاح المظلومية لتصوّبه تجاه المتغطرسين المغرورين ، و لتثبت لهم أنّهم ضعفاء مهزومون وإن توهّموا النصر . . فأطلقت صوتها الشجاع المدوّي قائلة :ـ« يامحمّداه هذا حسين بالعراء ، مرمّل بالدماء ، مقطّع الأعضاء ، وبناتك سبايا ، وذريتك مقتّلة » .

---

(٣٩) (مقتل الحسين) السيد عبد الرزّاق المقرّم ص٢٨٤.

يقول الرواة : فأبكت كلّ عدو وصديق حتى جرت دموع الخيل على حوافرها[٤٠] .

في مجلس يزيد :

لقد فضح الأمويون أنفسهم ، حينما دفعهم حقدهم على أهل البيت حماقتهم الى تسيير نساء الحسين وعيالاته سبايا بتلك الحالة الفظيعة . . فموكب السبايا كان تظاهرة اعلامية تؤجّج المشاعر وتلهب العواطف ضدّ السلطة الظالمة ، والعقيلة زينب لم تترك فرصة ولا مناسبة أثناء رحلتها الشّاقة المؤلمة الى الكوفة ومنها الى الشام مروراً بسائر البلدان والمناطق . . الاّ واستثمرتها في اعلان مظلوميتهم ، وتبيين عمق المأساة التي حلّت بهم .

وحتّى في مجلس يزيد بن معاوية والذي قد خطّط ليكون دخول السبايا الى مجلسه مهرجاناً يحتفل فيه بانتصاره على الحسين ، فأحضر كبار قادة جيشه وزعماء الشام ، وأحاط نفسه بأجواء من الهيبة المصطنعة .

لكن العقيلة زينب أفسدت عليه كل ما صنع وأفشلت مهرجانه الضخم حين نظرت الى رأس أخيها الحسين بين يدي يزيد ، فانتصبت قائمة وأجهشت بالبكاء ، وأهوت الى جيبها فشقّته ، ونادت بصوت حزين يقرح القلوب : « ياحسيناه ، ياحبيب رسول الله ، ياابن مكّة ومنى ، يا ابنَ فاطمة الزهراء سيدة النساء ، ياابن بنت المصطفى » .

قال الرواي : فأبكت والله كل من كان في المجلس ويزيد ساكت[٤١] .

وجميل ما قالته الأديبة بنت الشاطىء حول هذا الدور الزينبي حيث كتبت تقول : لم تمض زينب الاّ بعد أن أفسدت على ابن زياد ، ويزيد ، وبني أميّة ، لذّة النّصر ، وسكبت قطرات من السم الزّعاف في كؤوس الظافرين ! .

فكانت فرحة لم تطل وكان نصراً مؤقتاً ، لم يلبث أن أفضى الى هزيمة قضت

---

(٤٠) المصدر السابق ص٣٠٧.

(٤١) (زينب الكبرى) النقدي ص١١٤ .

آخر الأمر على دولة بني أمية .

فلم تكد زينب تخرج من عند يزيد حتى أحسّ أنّ سروره بمقتل الحسين قد شابه كدر خفي ، ظلّ يزداد حتى استحال الى ندم ، كدّر صفو الأعوام الثلاثة الأخيرة من حياته[٤٢] .

أشعلت ثورة المدينة :

وانتهت بها رحلة الألم والعناء الى المدينة المنورة مسقط رأسها وربوع صباها ودار أهلها . . بعد فراق وغياب جاوز السبعة أشهر حيث خرجت من المدينة مع أخيها الحسين أواخر شهر رجب وعادت بعد انتهاء شهر صفر .

وفرق كبير بين موكب خروجها المهيب من المدينة يحيط بها اخوتها وأبناؤها وأبناء اخوتها ورجالات عشيرتها . . وبين قافلة الأسر التي عادت ضمنها تلوذ بها الأرملات الثكولات والصّبايا اليتيمات المفجوعات .

لقد هرعت عند دخولها المدينة الى مسجد جدّها رسول الله حيث مثواه الأقدس وأخذت بعضادتي باب المسجد منادية .

« ياجدّاه إنّي ناعية اليك أخي الحسين »[٤٣]

وأصبح برنامجها اليومي والدائم في المدينة المنورة تذكير جماهير الأمة بمظلومية الحسين وأهل بيته ، وتخليد المأساة العظيمة في كربلاء ، لتؤجّج بذلك العواطف وتلهب المشاعر ، وتحرّض الناس على الحكم الفاسد الظالم .

ويذكر السيد الشريف يحيى بن الحسن من أحفاد الإمام زين العابدين علي بن الحسين ، وهو المعروف بالعبيدلي النّسابة (٢١٤ هـ - ٢٧٧ هـ) ٨٢٩ م - ٨٩٠ م) في رسالته المشهورة (اخبار الزينبيات) يذكر فيها أنّ السيدة زينب وهي بالمدينة كانت تؤلّب الناس على القيام بأخذ ثار الحسين ، فكتب والي المدينة عمرو بن سعيد الأشدق الى يزيد يعلمه بالخبر . . فكتب اليه يزيد : أن

---

(٤٢) (السيدة زينب) عائشة عبد الرحمن بنت الشاطىء ص١٥٨ .

(٤٣) (مقتل الحسين) المقرّم ص٣٧٦ .

فرّق بينها وبين الناس .. فأمرها الوالي بالخروج من المدينة[٤٤] .

لقد اشعلت السيدة زينب الثورة وفجّرتها في المدينة ضدّ الحكم الأموي ، فكان لها دور المحرّك للثورة التي عمّت المدينة المنورة سنة (٦٣ هـ) حيث تمرّد أهل المدينة على الحكم الأموي وطردوا واليه وجميع بني أميّة وبايعوا عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة فبعث يزيد الى المدينة جيشاً ضخماً يبلغ (١٢ ألفاً) بقيادة مسلم بن عقبة ، فقضى على التمّرد وسيطر على المدينة ، وأباح مسلم المدينة ثلاثاً لجيشه يقتلون الناس ويأخذون المتاع والأموال .. ودعا مسلم الناس الى البيعة ليزيد على أنهم خول ـ أي عبيد ـ له يحكم في دمائهم وأموالهم وأهلهم من شاء ، فمن امتنع من ذلك قتله .

وعرفت الواقعة بإسم « واقعة الحرة » والتي حصلت لليلتين بقيتا من ذي الحجة ، وعرف مسلم بن عقبة بعد الواقعة بإسم مسرف[٤٥] .

(٤٤) (أخبار الزينبيات) العبيدلى، مطبوع ضمن مجلّة (الموسم) العدد: ٤ .
(٤٥) (الكامل في التاريخ) ابن الأثير ج٤، ص١٢٠ .

واستشهد ولدها عون

شاء الله (سبحانه وتعالى) أن تجتمع على قلب السيدة زينب يوم كربلاء ألوان المصائب والفجائع ، وأن تكون المثل والقدوة في تقديم الضحايا والقرابين على مذبح العدل والحرية في سبيل الله .

فقد رزئت بقتل ستة من اخوتها في طليعتهم عماد عزّها الحسين بن علي ، وقمر بني هاشم العباس بن علي، وتشير بعض المصادر إلى أنّ من استشهد من اخوة زينب يوم كربلاء عشرة، أمّا الستة الذين تتّفق أغلب المصادر على شهادتهم في كربلاء فهم ما يلي :

١ ـ الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب .

٢ ـ العباس بن علي بن أبي طالب .

٣ ـ جعفر بن علي بن أبي طالب .

٤ ـ عبدالله بن علي بن أبي طالب .

٥ ـ عثمان بن علي بن أبي طالب .

٦ ـ محمد الأصغر بن علي بن أبي طالب .

وهناك أسماء أخرى تضيفها بعض المصادر كإخوة للسيدة زينب نالوا شرف الشهادة أيضاً في كربلاء ، هي كما يلي :

٧ ـ أبو بكر بن علي بن أبي طالب .

٨ ـ عبدالله بن علي بن أبي طالب ـ غير المذكور سابقاً ـ .

٩ ـ عمر بن علي بن أبي طالب .

١٠ ـ إبراهيم بن علي بن أبي طالب[٤٦] .

كما فجعت بمقتل مجموعة من أبناء اخوتها تجمع المصادر على خمسة منهم ثلاثة من أولاد أخيها الحسن ، وهم :

١ ـ أبو بكر بن الحسن بن علي .

٢ ـ عبدالله بن الحسن بن علي .

٣ ـ القاسم بن الحسن بن علي .

واثنان من أولاد أخيها الحسين هم :

٤ ـ علي بن الحسين الأكبر .

٥ ـ عبدالله بن الحسين[٤٧] .

اضافة الى سائر رجالات أسرتها من الهاشميين والذين يتراوح عددهم جميعاً بين السبعة عشر والسبعة والعشرين بطلاً حسب اختلاف المصادر والروايات التاريخية[٤٨] .

ومع ما لمصرع هؤلاء الأعزّة من تأثير فظيع على النفس الاّ أنّ لفقد الولد لوعة خاصّة لم يسلم منها قلب السيدة زينب فقد فجعت بمقتل ولدها وفلذة كبدها

---

(٤٦) (أنصار الحسين) محمد مهدي شمس الدين ص١٣١ ـ ١٣٧ .

(٤٧) المصدر السابق.

(٤٨) المصدر السابق.

عون بن عبدالله بن جعفر حيث قدّمته شهيداً بين يدي خاله الإمام الحسين .

وبرز عون الى ساحة المعركة يقاتل الأعداء ، وهو يرتجز .

إن تنكروني فأنا ابن جعفر   شهيد صدق في الجنان أزهر

يطير فيها بجناح أخضر   كفى بهذا شرفاً من معشر

فحمل عليه عبداللّه بن قطنة الطّائي فقتله ، وقد رثاه سليمان بن قتّة بقوله :

واندبي ان بكيت عوناً أخاه   ليس فيما ينوبهم بخذول

فلعمري لقد أصبت ذوي القر   بى فبكي على المصاب الطويل[49]

ونقل أبو الفرج الأصفهاني أنّ قاتل عون هو عبد الله بن قطنة التيهاني[50]

وفي بعض المصادر : جاءت الفقرة الأخيرة من رجز عون :

. . . .   كفى بهذا شرفاً في المحشر

وانّه قتل من الأعداء ثلاثة فوارس وثمانية عشر راجلاً ، وعن الاسفرائيني أنّه قتل ستّة وعشرين فارساً[51] .

ولم تقل كتب السير والمقاتل عن العقيلة زينب أنّها أعولت على مقتل ولدها أو أشارت اليه في ندبتها ومأتمها .

قال السيد عبد العزيز سيد الأهل : لم يسمع لها بكاء حين قتل ولدها عون بمثل ما بكت به أخاها وأولاد أخيها[52] .

---

(٤٩) (حياة الإمام الحسين) القرشي ج٣، ص٢٥٨.
(٥٠) (مقاتل الطالبيين) الأصفهاني ص٩١ .
(٥١) (وسيلة الدارين) الزنجاني ص٢٤١ .
(٥٢) (زينب عقيلة بني هاشم) سيّد الأهل ص٨

ويبدو أنّ لعبد الله بن جعفر ولداً آخر اسمه عون الأصغر وأمّه جمانة بنت المسيّب بن نجبة الفزاري، من هنا حصل خلط في كلام الرواة والمؤرخين بين عون الذي أمّه زينب وهو الشهيد في كربلاء، وبين أخيه عون الذي أمه جمانة ولم يتأكد استشهاده في كربلاء[٥٣] كما استشهد لعبد الله بن جعفر ولد آخر في كربلاء هو محمد بن عبد الله بن جعفر لكنّ أمّه الخوصاء بنت حفصة بن ثقيف من بكر بن وائل، وليست السيدة زينب كما توهّم بعض الكتّاب ، وأيضاً ذكرت بعض المصادر شهيداً آخر من ولد عبد الله بن جعفر في كربلاء وهو عبيد الله بن عبد الله بن جعفر إلاّ أنّ ذلك غير مؤكّد وأمّه ليست زينب أيضاً بل الخوصاء السابق ذكرها[٥٤] .

---

(٥٣) (نفس المهموم) الشيخ عباس القمي ص٣١٧.

(٥٤) (أنصار الحسين) شمس الدين ص١٣٣ ـ ١٣٥ .

رعاية القافلة

كان لابّد وأن يفّكر الإمام الحسين في مصير عائلته ومستقبلهم بعد شهادته فهو كأب غيور عطوف يهّمه أن تتوفّر لعائلته بعده أنسب الظروف الممكنة ، كما أنّه يعرف طبيعة أعدائه القساة الظالمين والذين سوف يصبّون جام غضبهم وحقدهم على عائلته المنكوبة ، والأهمّ من كلّ ذلك فهو يريد من هذه العائلة أن تؤدّي دوراً جهادياً في خدمة نهضته المقدّسة ، ولذلك اصطحبهم معه ، وقال لمن أشار عليه بتركهم في المدينة : « قد شاء الله أن يراهنّ سبايا »(٥٥) .

كلّ ذلك يستلزم وجود رعاية لهذه القافلة من الأرامل والأيتام ، وقيادة تواصل ادارة المعركة مع الأعداء الظالمين .

وتشير بعض المصادر الى أنّ عدد النساء اللاتي كنّ مع الإمام الحسين في كربلاء يتجاوز الأربعين امرأة كما ذكر أسماءهنّ وتفاصيل حالاتهنّ الشيخ المازندراني(٥٦) عدا الصبايا الصغيرات في السنّ ، والأطفال الذكور .

بالطبع فإنّ الإمام زين العابدين هو الوارث الشرعي والوصي لأبيه لكن ما

(٥٥) (حياة الإمام الحسين) القرشي ج٣، ص٣٢.
(٥٦) (معالي السبطين) محمد مهدي المازندراني ج٢، ص١٤١ .

يعانيه من المرض يحول بينه وبين التّصديّ لرعاية القافلة اضافة الى تربّص العسكر بحياته ، وطلبهم أدنى مبرر للقضاء عليه .

فبقيت السيدة زينب هي المرشّح الوحيد والكفوء للقيام بهذا الدور لذلك أوصاها الإمام برعاية القافلة ، ونهضت بهذه المسؤولية على أفضل وجه .

فكانت مرجع النساء والأطفال ، يلوذون بها في حوائجهم وشؤونهم وتتحمّل هي مسئولية رعايتهم والدفاع عنهم .

وفيما يلي نلتقط بعض الصّور لدور الرعاية الزينبية :

تمنع عبدالله بن الحسن

وهو غلام في الحادية عشر من عمره ، وابن للإمام الحسن بن علي لمّا رأى عمّه الحسين وحيداً وسط المعركة وقد أحاط به الأعداء ، لم تسمح له نفسه بالتّفرج على ما يجري في ساحة المعركة ، ودفعته أريحيّته وشهامته ليركض نحو المعركة ويفدي عمّه الحسين بنفسه .

ولّما لمحه الحسين مهرولاً باتّجاهه نادى بأخته زينب أن تمارس دورها في حماية ورعاية الأطفال ، وأن تمنعه من الخروج الى المعركة قائلاً :

أحبسيه .

فسارعت العقيلة زينب للحيلولة بينه وبين التوجّه الى المعركة ، لكنّ الغلام امتنع عليها وأفلت منها واشتّد نحو عمّه الحسين حيث لقي مصرعه في حجر عمّه الحسين[٥٧] .

ليلة الحادي عشر

لاشكّ أنها كانت ليلة موحشة عصيبة على عيالات الحسين ، حيث وطأة الفاجعة شديدة على نفوسهم ، وقد فقدوا كلّ الولاة الحماة ، وحرقت خيامهم وأخبيتهم ، وأصبحن النساء والأطفال يلوذون ببعضهم البعض في تلك الفلاة

(٥٧) (تاريخ الأمم والملوك) الطبري ج٦ ، ص٢٥٩ .

الموحشة ، التي خيّم عليها ظلام الليل ، مع ما نالهم من اعتداءات العسكر ضرباً وسلباً وشتماً .

ومن تلك الليلة بدأت العقيلة زينب ممارسة دورها الشاقّ العظيم في رعاية الركب الحسيني .

يقول الشيخ القرشي : أما حفيدة الرسول (صلى الله عليه وآله) وشقيقة الحسين العقيلة زينب فإنها ما وهنت ولا استكانت أمام تلك الأهوال القاصمة فقد اسرعت تلتقط الأطفال الذين هاموا على وجوههم في البيداء ، وتجمع العيال في تلك البيداء الموحشة ، وهي تسلّيهم وتصبّرهم على تلك الرزايا ، وقد أنفقت تلك الليلة ساهرة على حراستهم[٥٨] .

تسلّي الإمام زين العابدين

حينما غادرت قافلة السبايا أرض كربلاء مرّوا بالنساء والأطفال على ساحة المعركة فكان المنظر مهيباً مفزعاً ، حيث شاهدت العائلة أجسام الأحبّة مضرّجة بالدماء ، مقطّعة الأشلاء ، فانفجر الركب عويلاً وبكاءً ، وأخذ الجزع والألم من نفس الإمام زين العابدين مأخذاً شديداً لما يراه من حال جثث أبيه وأعمامه واخوته ورجال واشبال أسرته وأنصارهم الكرام ، ولما يلاحظه من افتجاع النساء والعيال والأطفال .

وهنا كان دور زينب القائدة التي تتسامى على الآلام ، وتسيطر على مشاعرها بصورة مذهلة : حيث احتفظت برباطة جأشها ، وكظمت كل ما يعتمل في نفسها من الحزن والألم ، واتجهت نحو ابن أخيها الإمام زين العابدين تسلّيه وتصبّره وتطمّنه بالمستقبل المشرق لثورة أبيه الحسين ، وحدّثته بحديث طويل جاء فيه :

« مالي أراك تجود بنفسك يابقيّة جدّي وأبي واخوتي ، فوالله إنّ هذا لعهد من الله الى جدّك وابيك ، ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض

---

(٥٨) (حياة الإمام الحسين) القرشي ج٣، ص٣٠٨.

وهم معروفون في اهل السماوات انّهم يجمعون هذه الأعضاء المقطّعة والجسوم المضّرجة فيوارونها وينصبون بهذا الطفّ علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء ،لايُدرس أثره ولا يُمحى رسمه على كرور الليالي والأيام وليجتهدنّ أئمة الكفر وأشياع الضّلال في محوه وطمسه فلا يزداد أثره الاّ علواً »[٥٩] .

تمنع الأطفال من تناول الصّدقة

حينما دخلت قافلة السبايا الى الكوفة كان أثر الأجهاد والعناء والأرهاق واضحاً على الأطفال والصبية في القافلة ، كما كانوا يعانون من الجوع . . . ولاحظت ذلك بعض نساء أهل الكوفة ، فصرن يقدّمن التّمر والخبز الى الأطفال والصبايا ، فتناول منه بعضهم ، لكن السيدة زينب رفضت ذلك ومنعت الأطفال عن تناول صدقات الناس قائلة :

« إنّ الصّدقة حرام علينا أهل البيت » .

ولما سمعت الصّبية مقالة العقيلة .رمى كل واحد منهم ما في يده أو فمه من الطعام . وراح يقول لصاحبه : ان عّمتي تقول : « إنّ الصّدقة حرام علينا أهل البيت »[٦٠] .

ترفض استقبال الشّامتات

في الكوفة أمر ابن زياد بحبس السبايا في دار الى جنب المسجد الأعظم ، وازدحمن نساء أهل الكوفة للدخول على السيدة زينب والسبايا في سجنهنّ ، فرفضت السيدة زينب أن تدخل عليهنّ غير المملوكات ومن كنّ مسبيّات في الماضي ، لتمنع بذلك دخول النساء الشامتات والمتفرّجات على مأساة أهل البيت ، حيث صاحت السيدة زينب بالناس : « لاتدخل علينا الاّ مملوكة أو أمّ ولد فانّهنّ سبين كما سبينا »[٦١] .

---

(٥٩) (مقتل الحسين) المقرّم ص٣٠٨.
(٦٠) (حياة الإمام الحسين) القرشي ج٣، ص٣٣٤. و(مقتل الحسين) المقرّم ص٣١٠.
(٦١) (مقتل الحسين) المقرّم ص٣٢٦.

ملاذ العيال

حينما يواجه أحد من عيالات الحسين أيّ مشكلة فإنّ الملجأ والملاذ هي العقيلة زينب ، ففاطمة بنت الحسين لّما سمعت الرجل الشامي يطلبها من يزيد قائلاً :

هب لي هذه الجارية لتكون خادمة عندي .

فانّها لاذت بعمّتها زينب محتمية بها لاجئة اليها فتصدّت العقيلة زينب للموقف متحدّية سلطان يزيد وبطشه .

مكافأة الحرس

بعدما لاحظ يزيد أنّ الحالة المأساوية لسبايا أهل البيت أثارت عليه النّقمة والغضب وردّات الفعل العنيفة من قبل الناس ، عمد أخيراً الى تحسين أوضاع العائلة الحسينية واستجاب لرغبتهم في الرجوع الى المدينة وأمر النعمان بن بشير أن يجهّزهم بما يصلحهم ، ويسيّر معهم رجلاً أميناً من الشام ومعه خيل يسير بهم الى المدينة .

وخلافاً للمعاملة الخشنة التي عانت معها قافلة السبايا في مسيرهم الى الشام فقد كان هذا المكلف بركبهم في عودتهم الى المدينة لبقاً في التعامل ليناً في أخلاقه معهم ، فكان يسايرهم ليلاً فيكونون أمامه بحيث لا يفوتون طرفه ، فاذا نزلوا تنحّى عنهم هو وأصحابه ، فكانوا حولهم كهيئة الحرس ، وكان يسالهم عن حاجتهم ويلطف بهم .

فلما وصلوا الى المدينة أرادت العقيلة زينب مكافأته على حسن تعامله وجميل صنعه ، ولم يكن لديها مال تقدّمه اليه لكنّها عمدت الى بعض ما تبقى من حليّ ولدى أختها فاطمة وقدمته أليه معتذرة قائلة :

« هذا جزاؤك بصحبتك ايّانا بالحسن من الفعل » .

فتأثّر الرجل من مبادرة السيدة زينب واعتذر عن قبولها قائلاً :

لو كان الذي صنعت انما هو للدنيا كان في حليكنّ هذا ما يرضيني دونه ،

ولكن والله ما فعلته الاّ لله ولقرابتكم من رسول الله (صلى الله عليه وسلّم)[٦٢] .

تجدر الأشارة الى أنّ النعمان بن بشير هو الذي رافق موكب العائلة الى المدينة ، وهو أنصاري مدني يكنّ مشاعر الإحترام لأهل البيت ، وهو كان والياً على الكوفة حينما دخلها سفير الحسين مسلم بن عقيل ، ولم يتّخذ ضدّ مسلم اجراءات قمعية كما كان يرغب الأمويون ، فعزله يزيد عن ولاية الكوفة وولّي عبيدالله بن زياد مكانه ، وحينما سمع النعمان مقالة الأمويين عنه أنّه ضعيف أو متضعف ، قال : لأن أكون ضعيفاً وأنا في طاعة الله أحبّ اليّ من أن أكون قوياً في معصيته[٦٣] .

---

(٦٢) (تاريخ الأمم والملوك) الطبري ج٦ ، ص٢٦٦ .
(٦٣) (زينب عقيلة بني هاشم) عبد العزيز سيد الأهل ص١٠٠ .

حماية الإمام

مع أنّ الإمام علي بن الحسين زين العابدين كان حاضراً في واقعة كربلاء ، وكان في عزّ عمره وشابه في الثانية والعشرين من العمر ، ومع أنّ الشباب الهاشميين حتى الأصغر منه سناً كانوا يتسابقون الى المعركة ، وكان الجيش الأموي لا يتوقّف عن اطلاق النّار على أيّ هاشمي مهما كان عمره وسنّه ولو كان طفلاً رضيعاً . . مع كلّ ذلك فقد شاءت حكمة الله (سبحانه) حفظ حياة الإمام زين العابدين ، عبر اصابته بالعلّة والمرض فأصبح ملازماً للخيمة على فراش المرض ، حيث أقعده المرض عن حمل السلاح والنزول الى ساحة المعركة ، ليكون هو الخلف والبقيّة ولتستمّر به الإمامة والزّعامة الدينية في ذرية الحسين .

وحينما استشهد الإمام الحسين وهجم الجيش الأموي على خيامه وعياله ، وأصبحوا أسارى في أيدي الظالمين كانت حياة الإمام زين العابدين معرّضة للخطر في كلّ لحظة من اللحظات لكن السيدة زينب قامت بدور الحماية والدفاع عن الإمام في تلك الظروف القاسية الصعبة ، وأنقذ الله (تعالى) حياة الإمام بمبادراتها ومواقفها الشجاعة أكثر من مرة .

عند استغاثة الحسين

تلك كانت ساعة حرجة حسّاسة ، حيث بقي الحسين وحيداً فريداً في ساحة المعركة ، بعد أن تهاوى كلّ أصحابه وأهل بيته شهداء مضرّجين بدمائهم ويرى خلفه النساء والأطفال تتعالى صيحاتهم وبكاؤهم ، وأمامه الأعداء يشرعون سيوفهمْ للأنقضاض عليه .

وهنا رفع الحسين صوته مستغيثاً يطلب من ينصره ويعينه في ذلك الموقف الصعب الأليم قائلاً : « هل من ذابٍ يذبّ عن حرم رسول الله ؟ هل من موحّدٍ يخاف الله فينا ؟ هل من مغيث يرجو الله في اغاثتنا ؟ » .

واخترق نداء الحسين أستار خيام عيالاته ونسائه ، فاستشعروا المصيبة والفاجعة ، وارتفع بكاؤهم ونحيبهم وكان لنداء الأستغاثة وقع كبير على قلب الإمام زين العابدين ، فقد آلمه وأحزنه أن يكون مريضاً مقعداً لا يقدر على حمل السيف وقتال الأعداء ، لكنّه مع ذلك تحامل على مرضه ، ووثب من فراشه ، ومشى خطوات يتوكأ على عصا ويجرّ سيفه فرمقه الحسين ، وتأثّر لمنظره وهيئته ، ونادى بأخته أم كلثوم : خذيه واحبسيه لئلّا تخلو الأرض من نسل آل محمد .

وأرجعته الى الخيمة ، وهو يقول : ياعمّتاه ذريني أقاتل بين يدي ابن رسول الله[٦٤] .

ويؤكّد السيد المقرّم أنّ أمّ كلثوم هذه هي السيدة زينب[٦٥] .

عند هجوم العسكر على الخيام

هل كان متوقعاً أن يحصل لأهل البيت ما حصل لهم في كربلاء من المآسي ، وعلى أيدي أناس يدعون الإسلام ، ويمثّلون السلطة الرسمية لحكم المسلمين ؟ ولمّا يمضي على وفاة الرسول أكثر من نصف قرن من الزمن ، وهو الذي طالما أوصى

---

(٦٤) (بحار الأنوار) المجلسي ج٤٥، ص٤٦ . و(مقتل الحسين) المقرّم ص٢٧١ .

(٦٥) (مقتل الحسين) المقرّم ص٣١٦.

الأمّة بذريّته وعترته ، بل اعتبرها الذكر الحكيم أجراً للرسالة ﴿ **قُل لَّا أَسْأَلُكُم عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ** ﴾[٦٦] .

لكن عسكر بني أمية قد جاوز كلّ الحدود والأعراف وتقاليد الحروب في تعامله مع أهل البيت . . حيث لم يكتفوا بقتل الحسين وأصحابه ، وانّما هجموا بعد ذلك على خيام النساء والأطفال والتي كانت تضمّ حرائر الرسالة ومخدّرات النبّوة .

ويسجّل السيد المقرّم وصفاً لهذا الهجوم اعتماداً على مصادر عديدة أشار اليها ، ننقل منه ما يلي :

لّما قتل أبو عبدالله الحسين (عليه السلام) مال الناس على ثقله ومتاعه ، وانتهبوا ما في الخيام وأضرموا النّار فيها ، وتسابق القوم على سلب حرائر الرسول ، ففرن بنات الزهراء حواسر مسلّبات باكيات ، وإنّ المرأة لتسلب مقنعتها من رأسها ، وخاتمها من اصبعها ، وقرطها من أذنها ، والخلخال من رجلها .

أخذ رجل قرطين لأمّ كلثوم وخرم أذنها ، وجاء آخر الى فاطمة ابنة الحسين فانتزع خلخالها وهو يبكي .

قالت له : مالك تبكي ؟! .

فقال : كيف لا أبكي وأنا أسلب ابنة رسول الله ؟ .

قالت له : دعني اذاً .

قاله : أخاف أن يأخذه غيري[٦٧] .

بهذه الروّح العدوانية هجموا على الخيمة التي كان فيها الإمام زين العابدين ، وجرّوه من على فراش مرضه ، وجرّد شمر بن ذي الجوشن سيفه يريد قتله ! فنهره حميد بن مسلم قائلاً :

---

(٦٦) سورة الشورى، الآية(٢٣).

(٦٧) (مقتل الحسين) المقرّم ص٣٠٠.

ياسبحان الله ! أتقتل الصّبيان ؟ إنّما هو صبي مريض ! .

فأجابه شمر بدناءة : إنّ ابن زياد أمر بقتل أولاد الحسين . وكاد السيف أن يقع على رقبة الإمام وينهي حياته ، لو لا تدخلّ العقيلة زينب حيث تعلّقت به لتحميه وتدفع عنه القتل صارخة بالظالمين القساة : « لايقتل حتى أقتل دونه »[٦٨] .

ولما رأوا السيف لايصل الى زين العابدين الاّ عبر جسد السيدة زينب ، اضطّروا للترّاجع عن قتله وكفّوا عنه .

انقاذ الإمام من بطش ابن زياد :

أدار عبد الله بن زياد بصره يتصفّح وجوه السبايا وبقيّة أهل البيت حينما أوقفوا أمامه في قصره بالكوفة .

فرأى الإمام زين العابدين وقد أنهكته العلّة فسأله : من أنت ؟ .

قال : أنا علي بن الحسين .

فقال ابن زياد : أولم يقتل الله علي بن الحسين ؟ .

أجابه الإمام بهدوء وأناة : كان لي أخ أكبر مني يسمّى علياً قتله النّاس فردّ ابن زياد غاضباً : الله قتله .

أجابه الإمام بشجاعة وثبات : ﴿ الله يَتَوَفَّى ٱلأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[٦٩] ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إلاَّ بِإِذْنِ الله ﴾[٧٠] .

ولم يتحّمل ابن زياد أن يردّ عليه الإمام رداً قرآنياً منطقياً . يفحمه ويكشف جهله فصاح منفعلاً : وبك جرأة على ردّ جوابي ؟! وفيك بقيّة للردّ عليّ ؟! .

ونادى بأحد جلاّديه : خذ هذا الغلام واضرب عنقه .

---

(٦٨) (حياة الإمام الحسين) القرشي ج٣، ص٣٠٢. و(مقتل الحسين) المقرّم ص٣٠١.
(٦٩) سورة الزمر، الآية(٤٢).
(٧٠) سورة آل عمران، الآية(١٤٥).

فتسابق الجلاوزة لأخذ الإمام للقتل ، وأصبحت حياة الإمام في خطر حقيقي ، وهنا تدخلّت السيدة زينب لتمارس دورها في حماية الإمام وانقاذ حياته ، حيث أخذت الإمام واعتنقته لتمنع الجلاوزة من أخذه ، ثم التفتت الى ابن زياد قائلة : حسبك يابن زياد من دمائنا ما سفكت ، وهل أبقيت أحداً غير هذا ؟ فإن أردت قتله فاقتلني معه .

وأحبطت محاولة ابن زياد حيث اضطرّ للتّراجع عن قرار قتل الإمام ، وقال متعجباً : دعوه لها ، ياللرحم ودّت انّها تقتل معه[71] .

(٧١) (الكامل في التاريخ)ابن الأثير ج٤ ، ص٨٢ . و(مقتل الحسين) المقرّم ص٣٢٥ .

الاعلام للثورة

لقد واكب الإمام الحسين معركة أبيه الإمام علي ضدّ التّسلّط الأموي الذي كان يتمثّل في معاوية بن أبي سفيان . . . ورأى الإمام الحسين كيف بالغ معاوية واجتهد في استخدام أساليب التّضليل الإعلامي والفكري ليربح المعركة على الإمام علي . . ومع أنّ الإمام علي يمثّل الخلافة الشرعية للمسلمين ، ومع ما لشخصيته من مميّزات وتاريخ عظيم لا يمكن انكاره ، ومع أنّ معاوية كان في موقع المتمّرد والمنشقّ على جماعة المسلمين . . مع كلّ ذلك الّا أنّه استطاع التأثير على قطاع واسع من ابناء الأمّة ليقفوا الى جانبه ويدعموه في صراعه ضدّ الشرعية . . واستمراره في الولاية على الشام رغم عزله من قبل الخليفة الشرعي ، بل وتمكّنه من تحشيد الجيوش لمحاربة الإمام عليّ في صفين ، وبعد ذلك اتّساع رقعة سيطرته ونفوذه في العديد من الأقطار وحسمه الموقف مع الإمام الحسن لصالح استئثاره بالسلطة وتخلّي الإمام الحسن عنها عبر مسالة الصّلح المعروف .

كلّ ذلك دليل على نجاح وتأثير الأساليب والخطط والممارسات التي قام بها معاوية بن أبي سفيان ، ومن أبرزها محاولات الخداع والتّضليل الديني والإعلامي ، فقد شجعّ طبقة من الوضّاعين وصنّاع الأحاديث الملفّقة الكاذبة في مدح معاوية وبني أمية وسلطتهم ، وذمّ الإمام علي وأهل البيت ، وبذل لهم

الأموال على ذلك .

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي : وذكر شيخنا أبو جعفر الأسكافي (توفي : ٢٤٠ هـ)(رحمه الله تعالى) : أنّ معاوية وضع قوماً من الصّحابة وقوماً من التّابعين على رواية أخبار قبيحة في علي (عليه السلام) تقتضي الطعّن فيه والبراءة منه ، وجعل لهم على ذلك جُعلا يرغب في مثله ، فاختلقوا ما ارضاه ، منهم أبو هريرة ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، ومن التّابعين عروة بن الزبير[1] .

قال : وقد صحّ أنّ بني أمية منعوا من اظهار فضائل علي (عليه السلام) ، وعاقبوا على ذلك الراوي له ، حتى إنّ الرجل اذا روى عنه حديثاً لا يتعلّق بفضله بل بشرائع الدين لايتجاسر عن ذكر اسمه ـ أي اسم على ـ فيقول : عن أبي زينب[2] .

وكتب معاوية الى عمّاله في جميع الآفاق : ان انظروا من قبلكم من شيعة عثما ن ومحّبيه وأهل ولايته ، والذين يروون فضائله ومناقبه ، فأدنوا مجالسهم وقّربوهم واكرموهم ، واكتبوا لي بكلّ ما يروي كل رجل منهم ، واسمه واسم أبيه وعشيرته .

ففعلوا ذلك ، حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه ، لما كان يبعثه اليهم معاوية من الصّلات والكساء والحباء والقطائع ، ويفيضه في العرب منهم والموالي ، فكثر ذلك في كلّ مصر ، وتنافسوا في المنازل والدنيا ، فليس يجيء أحد مردود من النّاس عاملاً من عمّال معاوية ، فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة الاّ كتب اسمه وقرّبه وشفّعه فلبثوا بذلك حيناً .

ثم كتب الى عمّاله أنّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية ، فاذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس الى الرواية في فضائل الصّحابة والخلفاء الأوّلين ، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب ـ يعني

---

(١) - (شرح نهج البلاغة) ابن أبي الحديد (ج ٤ ـ ص ٦٣)

(٢) - المصدر السابق (ص ٧٣) .

الإمام علي ـ الاّ وتأتوني بمناقض له في الصحابة ، فإنّ هذا أحبّ اليّ وأقرّ لعيني ، وأدحض لحجّة أبي تراب وشيعته ، وأشدّ اليهم من مناقب عثمان وفضله .

فقرئت كتبه على الناس ، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصّحابة مفتعلة لا حقيقة لها ، وجدّ الناس في رواية مايجري هذا المجرى ، حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر ، وألقي الى معلّمي الكتاتيب ، فعلّموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع ، حتى رووه وتعلّموه كما يتعلمون القرآن ، وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم ، فلبثوا بذلك ماشاء الله(٣) .

والى جانب الأحاديث الملفّقة الموضوعة فقد استخدم معاوية وسيلة اعلامية أخرى هي توظيف القصّاصين الذين يحدّثون الناس بالقضايا و الوقائع التي تريد السلطة التّرويج لها .

قال الأستاذ أحمد أمين : وأمّا قصص الخاصّة فهو الذي جعله معاوية ، ولّى رجلاً على القصص فاذا سلّم من صلاة الصبح جلس وذكر الله (عزّوجلّ) وحمّده ومجّده وصلّى على النبي (صلّى الله عليه وسلّم) ، ودعا للخليفة ولأهل ولايته وحشمه وجنوده ودعا على أهل حربه وعلى المشركين كافة(٤) .

ولابدّ أنّ هذا الدعاء كان استهلالاً يبتدىء به القاص ثم يأخذ بعده في قصصه(٥) .

كما أحاط معاوية سلطته بمجموعة من الشعراء المرتزقة كالأخطل ومسكين الدارمي ، يقول « بروكلمان » : وكان . . ـ معاوية ـ أبداً قادراً على أن يفيد مما كان لشعراء عصره من تأثير عظيم في الرأي العام بسبيل مصالحه العائلية(٦) .

ولمعرفة الامام الحسين بهذه السياسة الأموية في تضليل الناس و خداعهم كان

---

(٣) ـ المصدر السابق (ج١١ ص ٤٤ ـ ٤٥) .
(٤) ـ (فجر الإسلام) أحمد أمين (ص ١٥٩) .
(٥) ـ (ثورة الحسين) محمد مهدي شمس الدين (ص ١١٩) .
(٦) ـ (تاريخ الشعوب الإسلامية) كارل بروكلمان (ص ١٢٤) .

لابدّ له من التفكير في مستقبل ثورته المقدّسة ، وكيفيّة حمايتها وصيانتها من تأثير الاعلام الأموي الحاكم . . .

فالأمويون لن يكتفوا بقتل الامام الحسين ، وهم يعلمون بمكانته لدى الأمة ، بل سيلجأون لتشويه ثورته واسقاط شخصيّته بمختلف وسائلهم وأساليبهم الماكرة كما صنعوا مع أبيه الامام علي من قبل . .

فكيف يفشل الامام الحسين مخطّطهم الإعلامي المضاد ؟ .

وكيف يجهض محاولاتهم في تشويه صورة الثّائرين ؟ .

وكيف تصل أهداف ثورته ومنطلقاتها الى أسماع الجمهور المسلم ؟ .

وكانت اجابة الامام الحسين على هذه التساؤلات إجابة حكيمة قويّة هي استعانته باخته السيدة زينب لتقوم بذلك الدور العظيم . .

فالحسين بنفسه كان يوضح للأمة أسباب ثورته وأهداف حركته ، وكان يكشف للناس انحرافات الحكم الأموي وفساده ، ويؤكّد على المسؤولية الملقاة على كاهل المسلمين للتّصدي لهذا الجور والظلم . . لقد تصدّى الامام بنفسه للقيام بالمهمّة الاعلامية يوم كان في المدينة المنورة وحين انتقل الى مكة المكرمة والتقى بجموع الحجيج ، وأثناء سيره الى العراق ، وفي أرض كربلاء وحتى قبيل شهادته بلحظات كان يخاطب الجيش الأموي محرّضاً وموجهاً . .

لكن حاجة الثورة الى الاعلام بعد شهادته ستكون أشدّ وأكبر ، لأنّ الأمويين ستأخذهم نشوة الانتصار الظاهري ، وسيجعلون من سحق المعسكر الحسيني مثلاً وعبرة لارهاب من يفكّر في معارضتهم والوقوف أمام بغيهم وفسادهم . .

فالاعلام بعد الشهادة أكثر أهمية منه قبلها . .

ومن غير السيدة زينب تُسند اليه هذه المهمّة الخطيرة ؟ .

ومن سواها يجيد القيام بهذا الدور العظيم ؟ .

خطابها في الكوفة

وغادرت السيدة زينب كربلاء بعد ظهر اليوم الحادي عشر من المحرم مثقلة بما لاتتحمّله الجبال الرواسي من الهموم والأحزان ، فلأوّل مرة في حياتها تسافر دون أن يحيط بها رجالات أسرتها وحماة خدرها ، وهي قد رزئت بأفجع مصيبة يمكن أن تحلّ بانسان ، حيث فقدت أكثر من سبعة عشر بطلاً من أهلها ماعلى وجه الأرض لهم شبيه ، اضافة الى حوالي السبعين من أنصارهم والمدافعين عنهم ، وشاهدت السيدة زينب مصارعهم على بوغاء كربلاء بتلك الصورة الفظيعة . .

وكانت الأربع والعشرون ساعة التي سبقت سفرها الى الكوفة من أصعب واشدّ الساعات التي مرّت عليها في حياتها ، حيث أحرق الظالمون خيامها ، وهجموا عليها مع باقي نساء ويتامى عشيرتها ، وسلبوا كلّ مالديهنّ من الحلي والحلل . .

ودخلت السيدة زينب الكوفة صباح اليوم الثاني عشر من المحرم تحيط بها كلّ تلك الهموم والآلام ، وتثقل كاهلها تلك المصائب والأحزان . . .

من جهة أخرى فقد خطّط حاكم الكوفة عبيد الله بن زياد للاستفادة من وصول سبايا الحسين في اظهار قوة السلطة وتصميمها على سحق أيّ محاولة تمرّد أو

معارضة ، وأن يجعل من قدوم السبايا تظاهرة لإدانة تحّرك الامام الحسين وثورته ، وللإحتفاء بانتصاره الزّائف على ثورة الحقّ و العدل . . .

في غمرة هذه الأجواء دخلت السيدة زينب الكوفة مع السبايا على جمال غير مهيّأة لإراحة راكبيها ، وفي حال مأساوي فظيع . . .

وللسيدة زينب في الكوفة تاريخ و ذكريات ، فقد كانت سيّدة الكوفة أيّام خلافة أبيها أمير المؤمنين علي قبل عشرين سنة من دخولها الآن . . فلابدّ وأن تستعيد في نفسها صور تلك الأيّام ، وأن تثور في قلبها ومخيلتها الذكريات . . ففي تلك المحلّة كانت تقيم ، وذاك محراب أبيها علي ومنبره في مسجد الكوفة . . وهذه الأزقّة التي كان يسلكها أبوها علي . . وهذا باب دارها الذي كان يقصده السّائلون والمحتاجون . .

وتتوالى الصور والذكريات في مخيّلة السيدة زينب ، ولعلّها تتمنّى وترغب في أن تسرح بفكرها وتسترسل بمشاعرها مع تلك الصور والذكريات العزيزة ، لكنّ سياط الواقع الأليم تنتزعها من تلك الذكريات انتزاعاً . .

عن حذلم بن كثير قال : قدمت الكوفة سنة ٦١ هـ عند مجيء علي بن الحسين من كربلاء الى الكوفة ومعه النسوة ، وقد أحـــاط بهم الجنود ، وقد خرج الناس للنّظر اليهم ، وكانوا على جمال بغير وطاء ، فجعلن نساء أهل الكوفة يبكين ويندبن . .

ورأيت علي بن الحسين قد أنهكته العلّة ، وفي عنقه الجامعة ، ويده مغلولة الى عنقه ، وهو يقول بصوت ضعيف : إنّ هؤلاء يبكون وينوحون من أجلنا فمن قتلنا ؟! .

قال حذلم بن كثير : ورأيت زينب بنت علي ، ولم أر خفرة أنطق منها كأنّها تفرغ عن لسان أبيها أمير المؤمنين ، وقد أومأت الى الناس أن أُسكتوا ، فارتدّت الأنفاس ، وسكنت الأصوات ، فقالت :

ـ « الحمد لله والصلاة على أبي محمد وآله الطّيبين الأخيار . .

أما بعد : ياأهل الكوفة ياأهل الختل والغدر .

أتبكون ؟! فلا رقأت الدمعة ، ولاهدأت الرنّة . .

إنّما مَثَلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثا . .

تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم . .

ألا وهل فيكم الاّ الصّلَفَ والنّطف ، والكذب والشّنف ، و ملق الأماء وغمز الأعداء . .

أو كمرعى على دمنة ، أو كقصة على ملحودة . .

ألا ساء ماقدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون . .

أتبكون وتنتحبون ؟! .

إي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً . .

فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً . .

وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ، ومعدن الرسالة ، وسيّد شباب أهل الجنّة ، وملاذ خيرتكم ، ومفزع نازلتكم ، ومنار حجّتكم ، ألا ساء ماتزرون ! .

وبُعداً لكم وسحقاً ، فلقد خاب السّعي ، وتبت الأيدي ، وخسرت الصفقة ، وبؤتم بغضب من الله ورسوله وضربت عليكم الذّلة والمسكنة . .

ويلكم يا أهل الكوفة ! .

أتدرون أيّ كبد لرسول الله فريتم ؟ .

وأيّ كريمة له أبرزتم ؟ .

وأيّ دم له سفكتم ؟ .

وأيّ حرمة له انتهكتم ؟ .

لقد جئتم شيئاً إدّا ! تكاد السماوات يتفطّرن منه ، وتنشقّ الأرض ، وتخرّ

الجبال هدّا !! .

ولقد جئتم بها خرقاء ، شوهاء ، كطلاع الأرض ، وملء السماء ، أفعجبتم أن مطرت السماء دماً ؟ ولعذاب الآخرة أخزى وهم لاينصرون . .

فلا يستخفنّكم المهل ، فإنّه لايحفزه البدار ، ولايخاف فوت الثار ، وإنّ ربّكم لبالمرصاد . .

قال الراوي : فوالله لقد رأيت الناس حيارى يبكون ، قد ردّوا أيديهم في أفواههم ، ورأيت شيخاً واقفاً الى جنبي يبكي حتى اخضلّت لحيته بالدموع ، ويده مرفوعة الى السماء وهو يقول : بأبي أنتم وأمي كهولكم خير الكهول ، وشبابكم خير الشباب ، ونساؤكم خير النساء ، و نسلكم خير النسل ، لايبور ولايخزي أبداً . .

فقال لها الامام علي بن الحسين : « أسكتي ياعمّة فأنت بحمد الله عالمة غير معلّمة ، وفهمة غير مفهّمة »[7] .

مصادر الخطبة ورواتها :

لقد أوردت خطاب السيدة زينب في الكوفة مصادر عديدة هي من أمّهات المراجع ، ومن أبرز تلك المصادر :

١ ـ الشيخ الطوسي في : (أماليه) . .

٢ ـ أبو المؤيد الموفق بن أحمد الخوارزمي في الجزء الثاني من كتابه : .

---

(٧) ـ اعتمدنا في نقل النص على المصادر التالية :

أ ـ (الأحتجاج) للطبرسي (ص ٣٠٣) .

ب ـ (حياة الإمام الحسين) للقرشي ج ٣ ـ ص ٣٣٤) .

جـ ـ (مقتل الحسين) للمقرّم (ص ٣١١) .

د ـ (زينب الكبرى) للنقدي (ص ٤٨) .

٣ ـ أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور في : (بلاغات النساء) . .

٤ ـ أبو عثمان الجاحظ في : (البيان والتبيين) .

٥ ـ الشيخ أحمد بن علي الطبرسي ـ من علماء القرن السادس ـ في كتابه : (الأحتجاج) .

لكن اسم الرواي الذي نقل عنه الخطاب يختلف من مصدر الى آخر فالشيخ الطبرسي ينقله عن حذيم بن شريك الأسدي ، ويكرّر اسمه ثلاث مرات بين فقرات الرواية ، كما ينقل عنه أيضاً خطاب الإمام زين العابدين في الكوفة[٨] .

وحذيم بن شريك الأسدي ذكره الشيخ الطوسي في (رجاله) في أصحاب الحسين (عليه السلام)[٩] .

أمّا الشيخ النقدي فقد قال : أنّ الخطبة قد تواترت الروايات عن العلماء وارباب الحديث بأسانيدهم عن حذلم بن كثير .

وذكر أنّ حذلم بن كثير من فصحاء العرب . . وقال : إنّ الجاحظ رواها في كتابه (البيان والتبين) عن خزيمة الأسدي[١٠] أمّا الشيخ القرشي فقد أثبت الرواية عن « جذلم بن بشير »[١١] .

ولم يثبت السيد المقرّم اسماً للراوي واكتفى بعبارة « يقول الراوي »[١٢] .

وذكر أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور في كتابه (بلاغات النساء) سند الخطبة كمايلي : « عن سعيد بن محمد الحميري ـ أبو معاذ ـ عن عبد الله بن عبد

---

(٨) ـ (الإحتجاج) الطبرسي (ج ١ ص ٣٠٣ ـ ٣٠٥) .
(٩) ـ (أعيان الشيعة) السيّد محسن الأمين (ج ٤ ـ ص ٦٠٦) .
(١٠) ـ (زينب الكبرى) النقدي (ص ٤٩ ـ ٥٠) .
(١١) ـ (حياة الإمام الحسين) القرشي (ج٣ ص ٣٣٤) .
(١٢) ـ (مقتل الحسين) المقرم (ص ٣٣٤) .

الرحمن ـ رجل من أهل الشام ـ عن شعبة ،عن حذام الأسدي ، وقال مرة أخرى حذيم قال : قدمت الكوفة »[١٣] .

آفاق الخطاب :

يمثّل خطاب السيدة زينب في الكوفة أوّل تصريح وتعليق على واقعة كربلاء بعد حدوثها يصدر من أهل البيت (عليهم السلام) ، وتكمن أهمية الخطاب في أنّه موجّه للمجتمع المسؤول عن ماحدث بصورة مباشرة وهو المجتمع الكوفي . . والخطاب أيضاً يعتبر الجولة الأولى في معارك السيدة زينب ضدّ الاجرام والظلم الأموي . .

من هنا لابدّ من قراءة الخطاب قراءة متأنيّة واعية ، ونسلّط هنا الأضواء على بعض آفاق ذلك الخطاب الهام : .

أولاً : تحميل المجتمع الكوفي المسئولية المباشرة عمّا حدث للامام الحسين وأهل البيت وعن مصير الثّورةالمقدّسة ، فالكوفيون هم الذين كاتبوا الحسين وألحّوا عليه بالقدوم اليهم ، وبايعوا سفيره مسلم بن عقيل ، فكيف خذلوا الامام وتخلّوا عنه ، واستسلموا لترهيب ابن زياد وترغيبه ؟ .

ثمّ إنّ الجيش الذي زحف لقتال الامام ، وصنع تلك الجريمة الكبرى ، كان في أغلب قياداته وجنوده من أبناء المجتمع الكوفي . .

وبعد كلّ ماحدث لماذا يتفرّج الكوفيون على نتائج الأحداث ، وهم يرون رأس الامام الحسين ورؤوس أهل بيته مرفوعة على أطراف الرماح تخترق شوارع بلدتهم ، ويشاهدون نساء الحسين وعيالاته أسارى سبايا بين ظهرانيهم ، فلماذا السكوت والخنوع والصّمت على كلّ مايجري ؟ وماذا ينتظرون لكي تتحرّك غيرتهم الدينية وشيمتهم العربية ؟ .

لذلك تنقل الرواية التي تضمّنت الخطاب قول الامام زين العابدين (عليه السلام) معلّقاً على بكاء نساء أهل الكوفة : « إنّ هؤلاء يبكون وينوحون من

---

(١٣) ـ (بلاغات النساء) ابن طيفور (ص ٢٣) .

أجلنا فمن قتلنا »؟ .

وهذا ماركّزت عليه السيدة زينب في خطابها ، إذ اعتبرت أهل الكوفة مسؤولين بشكل مباشر عن الفاجعة ، ووجّهت اليهم أشدّ التوبيخ والذمّ . . .

فقالت عنهم : « أهل الختل والغدر » والختل هو الخداع ، والغدر هو الخيانة ونقض العهد ، فأهل الكوفة بدعوتهم الامام للقدوم اليهم و بمبايعتهم له و التزامهم بنصرته ثم التّخلّي عنه بل والمشاركة في قتاله قد مارسوا أسوأ أنواع الخداع والخيانة ونقض العهد . . واعتبرتهم السيدة زينب نموذجاً وتطبيقاً للمثل المعروف عن المرأة الحمقاء التي كانت تغزل مع جواريها الى انتصاف النهار ثم تأمرهنّ أن ينقضن ماغزلن ، وهذا دأبها كلّ يوم . . وهو مثل ذكره القرآن الحكيم : ﴿ **وَلاتكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكاثاً** ﴾[١٤] . وكأنّ السيدة زينب بقولها : « إنّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلهامن بعد قوّة أنكاثا » تشير الى أنّ أهل الكوفة قد تكرّر في تاريخهم وواقعهم أنّهم يقفون الى جانب الحق ويقدّمون التضحيات ، لكنهم و في ذروة الصراع مع أهل الباطل يتراجعون، وينسحبون ، ويضيعون بذلك جهودهم وتضحياتهم ومستقبلهم ، حصل ذلك في موقفهم مع الامام علي حيث خاضوا معه معركة الجمل ومعركة صفين ، وحينما لاح فجر النّصر لهم بعد تضحياتهم الكبيرة استجابوا لخدعة معاوية برفع المصاحف وطلب التحكيم ، فاغتالوا بذلك انتصارهم وأعطوا الفرصة لعدوّهم . . وكرّروا ذات الموقف مع الامام الحسن حيث بايعوه والتفّوا حوله وزحفوا معه لمواجهة تمرّد معاوية لكنّهم لما حانت ساعة المواجهة تخاذلوا وهدموا بذلك صرح الشرعيّة والقيادة الذي بنوه ببيعتهم للامام الحسن . . ومع الامام الحسين مارسوا نفس الطريقة والحالة ، فهم قد بايعوا الامام وأقدموه اليهم ، وكادت الكوفة أن تستعيد دورها القيادي بخضوعها لسفير الامام مسلم بن عقيل ، لكنهم في اللحظات الأخيرة و الحسّاسة ، بدّدوا كلّ تلك الآمال ،

---

(١٤) ـ سورة النحل (آية ٩٢) .

واغتالوا مستقبلهم ومستقبل الأمة . . اذاً فهم كالتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثا ، وزينب بهذا التمثيل تحاكي ماقاله أبوها من قبل لذات المجتمع حين قال : . - « أما بعد : ياأهل العراق ، فإنّما أنتم كالمرأة الحامل حملت فلمّا أتمّت أملصت ، ومات قيّمها ، وطال تأيّمها ، وورثها أبعدها »[١٥] . أوليست زينب تفرغ عن لسان أبيها ؟ كما قال الراوي . . وتوجّه زينب لهم التّهمة بصراحة ووضوح في فقرات عديدة من خطابها : « فلقد ذهبتم بعارها وشنارها » . . « ويلكم ياأهل الكوفة أتدرون أيّ كبد لرسول الله فريتم » . . . « لقد جئتم شيئاً إدّاً » ، « ولقد جئتم بها حرقاء شوهاء » . .

ثانياً : التّركيز على نقاط ضعف المجتمع الكوفي ومساوىء أخلاقه : فالجريمة لم تنطلق من فراغ ، وإنّما هي نتيجة طبيعية لتلك الأخلاقيات المنحرفة . . .

وتنبّههم الى أبرز مساوىء أخلاقهم بقولها : « وهل فيكم الاّ الصّلَف والنّطف ، والكذب و الشّنف ، وملق الاماء ، وغمز الأعداء ، أوكمرعى على دمنة ، أو كقصة على ملحودة » .

و« الصلف » : هو التمدّح بما ليس في الذات أو فوق مافي الذات اعجاباً وتكبراً[١٦] .

ومن يقرأ رسائل الكوفيين للامام الحسين ، وكلماتهم أثناء مبايعتهم والتفافهم حول سفيره مسلم بن عقيل ، والتي ادّعوا فيها اخلاصهم وتفانيهم واستعدادهم للتضحية فداءاً للامام الحسين ، وأكّدوا فيها تصميمهم على مقاتلة الأعداء وإلحاق الهزيمة بهم . . ومن يلاحظ حقيقة موقفهم وواقعهم فيما بعد تجاه الامام الحسين ، يرى بوضوح أنّهم يتّصفون بالصّلف كما قالت عنهم السيدة زينب ، وقد سبقها أبوها الامام علي في اكتشاف هذه الصّفة السلبية للمجتمع الكوفي في قوله لهم :

---

(١٥) - (نهج البلاغة) الإمام علي (الخطبة رقم : ٧١) .

(١٦) - المنجد في اللغة .

ـ « كلامكم يوهي الصمّ الصلاب ، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء ! تقولون في المجالس كيتَ وكيتَ ، فاذا جاء القتال قلتم : حِيدي حَيَادِ »[١٧] .

ولا غرو فإنّها تفرغ عن لسان أبيها . . أمّا « النطَف » فهو التّلطّخ بالعيب ، أو القذف بالفجور . .

و « الشَّنفَ » بالتحريك البغض والتنكر . .

وتشير السيدة زينب الى ابتلائهم بمرض التملّق المفرط « ملق الاماء » فالأمّة التي لاحول لها ولاقوة تجد نفسها مضطرّة الى إبداء أعلى درجة من الخضوع والطّاعة والانقياد لسيّدها ، وتبالغ في جلب ودّه ورضاه ، والمجتمع الكوفي كان كذلك في تعامله مع السلطة المهيمنة عليه آنذاك . .

و « الغمز » الطعن بالشر . .

« كمرعى على دمنة أو كقصة على ملحودة » تشير بذلك الى حالة الازدواجية التي كان يعاني منها المجتمع الكوفي ، فظاهره حسن يغري بينما ماتنطوي عليه النّفوس سيءّ خبيث ، وتشبّههم بالزرع الأخضر في مكان أوساخ الحيوانات وفضلاتها« مرعى على دمنة » ، وبالقبر المجصص ظاهره بالجصّ الجميل المنظر ، ولكن ماذا في حفرة القبر غير الرّفاة المتفسّخة لجسد الميّت « كقصة على ملحودة » . .

ويعلّق السيد المقرّم على هذه الفقرة بقوله :

والذي أراه أنّ النكتة في هذه الأستعارة : انّ القصة بلغة الحجاز الجصّ ، والملحَودة القبر لكونه ذا لحد ، فكأنّ القبر يتزيّن ظاهره ببياض الجصّ ولكن داخله جيفة قذرة ، وأهل الكوفة وإن تزيّن ظاهرهم بالإسلام ، الاّ أنّ قلوبهم كجيف الموتى بسبب قيامهم بأعمال الجاهلية الوخيمة العاقبة من الغدر وعدم الثّبات على المبادىء الصحيحة ، وقد انفردت « متمّمة الدعوة الحسينية » بهذه النّكات البديعة

---

(١٧) ـ (نهج البلاغة) الإمام علي (الخطبة رقم : ٢٩ .

التي لم يسبقها مهرة البلغاء اليها ، لأنّها ارتضعت درّ « الصدّيقة الكبرى » التي أخرست الفصحاء بخطابها المرتجل[18] .

ثالثاً : توضيح أبعاد الفاجعة : فما حدث في كربلاء لم يكن أمراً سهلاً ، وليس شيئاً عادياً بسيطاً ، إنّه كارثة مروّعة ، وفجيعة عظمى ، وجريمة نكراء .

والسلطة الحاكمة قد تحاول تبسيط ما حدث ، فهو تمرّد على النظام اضطر الجيش الى قمعه ليس الاّ !! .

لكن السيدة زينب في خطابها أوضحت للناس الأبعاد الحقيقية لما حدث حين قالت : « فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ولن ترحضوها بغسل بعدها ابداً » .

فالفظائع التي ارتكبت في كربلاء بحقّ أهل البيت تمثّل جريمة نكراء تسّود وجوه وتاريخ أصحابها بالعار والشنار وهو أقبح العيب ، ولا يمكن ازالة وتطهير آثار تلك الجريمة أبداً .

ثم تخاطبهم قائلة :

ويلكم ياأهل الكوفة ! أتدرون أيّ كبد لرسول الله فريتم » .

فبالمقياس الديني أنّهم قد اعتدوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فالحسين سبطه وحبيبه والعزيز على قلبه ، وعيال الحسين وثقله ، هم حرمة رسول الله . . فكيف يسمحون لأنفسهم كمسلمين أن يقترفوا ذلك ؟ .

إنّها جريمة في مستوى الشرك بالله (سبحانه) لذلك تصفها السيدة زينب بما وصف به القرآن شرك الكافرين وادّعاءهم أنّ لله ولداً : ﴿ **وَقَالُوْا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَداً ، لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً** ﴾[19] .

كما تشير السيدة زينب الى أنّهم مارسوا الجريمة بأكبر قدر من الحقد والبشاعة : « ولقد جئتم بها خرقاء وشوهاء » .

---

(١٨) ـ (مقتل الحسين) المقرّم (ص ٣١٢) .

(١٩) ـ سورة مريم (آية ٨٨ ـ ٨٩).

وتثبت السيدة زينب في خطابها قضية تداولت نقلها بعض المصادر من أنّ السماء أمطرت دماً يوم مقتل الحسين ، وحينما تقول ذلك السيدة زينب يصبح أخباراً حقيقياً صادقاً ، وهي بذلك تذكّر من قد يكون غافلاً عن الربط بين القضيتين أي قتل الحسين ، وإمطار السماء دماً ، كما تخلّد هذا الحادث للتاريخ والأجيال .

رابعاً : منزلة الحسين ومقامه : لابّد وأنّ الإعلام الأموي سيسعى جاهداً للتقليل من شأن الحسين والأفتراء على شخصيته ، كما حصل لأبيهِ الإمام علي ، لذلك ركّزت السيدة زينب في خطابها على التأكيد على منزلة الحسين ومقامه فهو : « سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة وسيّد شباب أهل الجنة » .

خامساً : الأنذار بالأنتقام : فعدالة الله (تعالى) تأبى أن تمّر تلك الجريمة النكراء دون عقاب يتناسب مع خطورتها لكن العقاب قد لا يأتي فورياً « فلا يستخفنّكم المهل فانه لا يحفزه البدار ولا يخاف فوت الثّأر وإنّ ربّكم لبالمرصاد » .

وكان الإنتقام الالهي من قتلة الحسين ومن المجتمع المتواطىء معهم شديداً وقوياً ، حيث لم يعرف ذلك المجتمع بعدها أمناً ولا استقراراً .

في مواجهة ابن زياد

امعاناً منه اذلال سبايا أهل البيت ، واستجابة لأحقاده الكامنة ضدّ آل الرسول ، ولاستعراض القوّة ، وتمكين الرعب في قلوب الناس . . فقد عقد في قصره ومجلس حكمه مهرجاناً ضخماً أحضر فيه رجالات جيشه وقادة عسكره وزعماء الكوفة الملتفّين حوله ، وأمر باحضار رأس الحسين بين يديه ، وادخال السبايا عليه .

وجلس ابن زياد على أريكة حكمه الجائر منتشياً بانتصاره الزّائف ، وبيده عصاة يعبث بها في رأس الحسين ، وينكت بين شفتيه .

فلمّا رآه زيد بن ارقم لا ينجم عن نكته بالقضيب ، قال له .

اعل بهذا القضيب عن هاتين الثنيتين ، فوالذي لا اله غيره ، لقد رأيت شفتي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على هاتين الشفتين يقبّلهما !! ثم انفضخ الشيخ يبكي ، فقال له ابن زياد :

أبكى الله عينيك فوالله لولا أنّك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك !! .

قال : فنهض فخرج ، فلما خرج سمعت الناس يقولون : والله لقد قال

زيد بن أرقم قولاً لو سمعه ابن زياد لقتله ! .

قال : فقلت : ما قال ؟ .

قالوا : مرّبنا وهو يقول : « ملك عبدٌ عُبُدا ، فاتّخذهم تُلدا ، أنتم يامعشر العرب العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة وأمّرتم ابن مرجانة ، فهو يقتل خياركم ، ويستعبد شراركم ، فرضيتم بالذّل ، فبُعداً لمن رضي بالذلّ »[٢٠] .

وأدخلت السبايا عليه وكنّ في حالة يرثى لها من الأرهاق والعناء والألم ، وكانت في الطليعة زينب وهي تلبس أرذل الثياب ، وقد تنكّرت وانحازت الى ناحية من المجلس تحفّ بها النساء المسبيّات .

وابن زياد يعلم مكانة السيدة زينب في البيت العلوي ، لذلك اراد ان يصّوب اليها بسهام الشماتة ، وأن يتلذّذ باذلالها في مجلسه وأمام الملأ .

فالتفت نحوها قائلاً : من هذه الجالسة ؟ .

فلم تكلّمه استهانة به ، واحتقاراً لشأنه .

وأعاد السؤال مرة ثانية وثالثة دون أن يظفر منها بجواب ، الاّ أنّ احدى السيدات المسبيّات انبرت اليه مجيبة .

هذه زينب ابنة فاطمة بنت رسول الله .

وانفعل ابن زياد من ترفّع السيدة زينب عن اجابته واندفع يخاطبها غاضباً متشمّتاً : الحمدلله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم !! .

ومع أنّ السيدة زينب كانت تحّبذ التسامي والتّعالي على حقارة ابن زياد ، وأن لا تدخل معه في حديث استهانة به . . الاّ أنّ الموقف كان يتطلبّ من السيدة زينب ممارسة دورها الرسالي في الدفاع عن ثورة أخيها الحسين ، وتأكيد موقعيّة أهل بيتها العظيمة في الأمّة ، وتمزيق هالة السلطة والقوّة التي أحاط بها ابن زياد

---

(٢٠) - (تاريخ الأمم والملوك) الطبري (ج ٦ ص ٢٦٢) .

نفسه ، لذلك بادرت الى الردّ عليه قائلة :

« الحمدلله الذي أكرمنا بنبيّه محمد ، وطّهرنا من الرّجس تطهيرا إنّما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر ، وهو غيرنا ياابن مرجانة » .

وما كان ابن زياد يتوقّع هذا الردّ الشجاع القوي من امرأة تعيش أفظع مأساة ، وأسوأ حال ، فأراد أن يلفتها الى مأساتها ومصيبتها حتى تفقد جرأتها وتنهار معنوياتها ، فقال لها متشفياً :

فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك ؟ .

لكنّ العقيلة أفشلت محاولته وانطلقت تجيبه بكلّ بسالة وصمود :

« ما رأيت الاّ جميلاً ، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم ، فتحاجّ وتخاصم ، فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك أمّك ياابن مرجانة !! » .

إنّه لموقف ايماني بطولي عظيم يندر أن يحتفظ تاريخ البشرية بمثيل له : لقد تجاوزت السيدة زينب بارادتها وبصيرتها النّافذة كلّ ما أحاط بها من آلام الماساة ، ومظاهر قوّة العدو الظالم ، ولم تُبال بجبروته وعساكره ، بل جابهته بالتّحدّي وجهاً لوجه أمام أعوانه وجمهوره ، معلنة أنّها لا يساورها أيّ شعور بالهزيمة والهوان ، فما حدث لأسرتها شيء جميل بمنطق الرسالة التي يحملونها ، والمسألة لا تعدو أن تكون استجابة لأمر الله (تعالى) الذي فرض الجهاد ضدّ الظلم والعدوان ، وهي واثقة أنّ المعركة بدأت ولم تنته ، ونهايتها الحاسمة يوم القيامة بين يدي الله وهناك سيكون النصر الحقيقي حليفاً لها ولأسرتها الكريمة .

ثم تختم كلامها بالدعاء بالهلاك للطاغية المتجبّر أمامها مخاطبة له « ثكلتك أمّك يابن مرجانة » .

وكان ردّها عليه قاسياً شديداً أسقط هيبته الزائفة في أعين الحاضرين جميعاً ، بل حطّم كبرياءه وغروره ، واستبّد به الغضب متوعداً السيدة زينب بالعقوبة والتنكيل . . فتدارك الموقف عمرو بن حريث ليخفّف من غلواء غضب ابن زياد

قائلاً :

أصلح الله الأمير انّما هي امرأة ! وهل تؤاخذ المرأة بشيء من منطقها ؟ إنها لا تؤاخذ بقول ولا تلام على خطل ! .

فتراجع ابن زياد عن تهديده بالعقوبة والتنكيل الجسدي مستبدلاً به العقاب النفسي حيث توجّه الى السيدة زينب ليلذع قلبها بعبارات الشمّاته والتّشفّي قائلاً :

« لقد شفى الله قلبي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك ، فأثار بهذا الكلام شجون السيدة زينب ، وأشعل الحزن والألم في قلبها ، ولعّلها أرادت حينئذٍ استخدام سلاح العاطفة وإعلان المظلومية فأجابته بلوعة وأسى .

« لعمري لقد قتلت كهلي ، وأبدت أهلي ، وقطعت فرعي ، واجتثثت أصلي ، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت » .

وشعر ابن زياد بالضعف والصغار أمام منطق العقيلة زينب فغيّر دفّة الحديث قائلاً : هذه سجّاعة ، لعمري لقد كان أبوها سجّاعاً شاعراً .

فردته السيدة زينب بقولها : « إنّ لي عن السّجاعة لشغلاً ما للمرأة والسّجاعة »[٢١] .

ونقل السيد المقرّم عن (الكامل في التاريخ) للمبّرد (ج ٣ ص ١٤٥) طبع سنة : ١٣٤٧ هـ قوله : لقد أفصحت زينب بنت علي وهي أسنّ من حمل الى ابن زياد ، وأبلغت ، وأخذت من الحجّة حاجتها .

فقال ابن زياد لها : إن تكوني بلغت من الحجة حاجتك فقد كان أبوك خطيباً شاعراً .

فقالت : ما للنساء والشعر ! .

---

(٢١) ـ (تاريخ الأمم والملوك) الطبري (ج ٦ ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣ . و (الكامل في التاريخ) ابن الأثير (ج ٤ ص ٨١) و (حياة الإمام الحسين) القرشي (ج٣ ص ٣٤٣) .

وكان ابن زياد ألكناً يرتضخ الفارسية[٢٢] .

تأثير زينب والسبايا في الكوفة

كان هدف السلطة الأموية من التّشهير بسبايا أهل البيت ارعاب الناس حتى لا يفكّر أحد في معارضة السلطة أولاً ، وتعبئة الجمهور ضدّ الإمام الحسين وثورته ثانياً ، باظهاره خارجياً متمرداً قد شقّ عصا المسلمين طمعاً في السلطة والحكم .

لكن وجود العارفين بفضل أهل البيت في الأمة ، والحالة المأساوية للسبايا والتي كانت تثير مشاعر التعاطف معهم ، والدور الرسالي الذي قامت به السيدة زينب في الإعلام الصادق للثورة الحسينية وكذلك الإمام زين العابدين وبعض نساء العائلة الحسينية كأمّ كلثوم وفاطمة بنت الحسين . . كلّ ذلك أفشل مخطّط السلطة بل وجعل آثاره ونتائجه معكوسة ، حيث تأجّجت روح الثورة والرفض في أوساط الجماهير المسلمة ضدّ السلطة ، وتعاطف الناس مع أهل البيت (عليهم السلام) .

ففي الكوفة ينقل لنا التاريخ بعض الأحداث والمشاهد الرافضة لسياسات السلطة الأموية والمتعاطفة مع أهل البيت على إثر دخول السبايا .

وقد تحدّث راوي خطاب السيدة زينب عن تأثير خطابها على الناس ـ كما سبق ـ .

وحينما خطبت السيدة فاطمة بنت الحسين على صغر سنّها فقد أثار خطابها مشاعر الناس « فارتفعت الأصوات بالبكاء والنحيب وقالوا : « حسبك يابنة الطاهرين فقد حرقت قلوبنا وأنضجت نحورنا وأضرمت أجوافنا »[٢٣] .

وعلى اثر خطاب السيدة أمّ كلثوم أيضاً : « ضجّ الناس بالبكاء ونشرن الشعور

---

(٢٢) ـ (مقتل الحسين) المقرم (ص ٣٢٥) .

(٢٣) ـ المصدر السابق (ص ٣١٥) .

وخمشن الوجوه ، ولطمن الخدود ، ودعون بالويل والثّبور ، ولم ير أكثر باك ولا باكية من ذلك اليوم »[٢٤] .

ولما سمع الناس خطاب الإمام علي بن الحسين قالوا بأجمعهم : « نحن ياابن رسول الله سامعون مطيعون ، حافظون لذمامك ، غير زاهدين فيك ، ولا راغبين عنك ، فمرنا بأمرك يرحمك الله ، فإنّا حرب لحربك ، وسلم لسلمك ، نبرأ ممّن ظلمك وظلمنا »[٢٥] .

وزيد بن أرقم وهو صحابي معروف أعلن احتجاجه واعتراضه على ابن زياد لما رأى عبثه برأس الحسين (عليه السلام) ـ كما سبق ـ .

وكان في مجلس ابن زياد رجل من بكر بن وائل يقال له جابر ، آلمه ما حصل لأهل البيت وأذهلته التصرّفات الطائشة لابن زياد ، فانتفض معلناً معارضته ، وهو يقول مخاطباً ابن زياد : « لله عليّ أن لا أصيب عشرة من المسلمين خرجوا عليك الاّ خرجت معهم »[٢٦] .

من أهمّ مواقف الرفض والمعارضة التي برزت في الكوفة ذلك اليوم ، انتفاضة عبدالله بن عفيف الأزدي الغامدي ، وكان ضريراً ذهبت احدى عينيه يوم الجمل ، والأخرى بصفّين مع الإمام أمير المؤمنين وكان لا يفارق المسجد يتعبّد فيه .

وعند دخول السبايا الى الكوفة اعتلى عبيدالله بن زياد منبر مسجد الكوفة ليعلن فرحته وانتصاره بمقتل الحسين قائلاً :

« الحمدلله الذي أظهر الحقّ وأهله ، ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه ، وقتل الكذاب ابن الكذّاب» الحسين بن علي وشيعته ! .

---

(٢٤) ـ المصدر السابق (ص ٣١٦) .

(٢٥) ـ المصدر السابق (ص ٣١٧).

(٢٦) ـ (حياة الإمام الحسين) القرشي (ج ٣ ص ٣٤٣) ، نقلاً عن (مرآة الزمان في تواريخ الأعيان) (ص ٩٨) .

وحينما طرقت هذه الكلمات الفاجرة مسامع عبدالله بن عفيف ، انفتل من عبادته وصاح بابن زياد من وسط المسجد غاضباً :

ياابن مرجانة الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك ، والذي ولّاك وابوه ، ياابن مرجانة ، أتقتلون أولاد النّبيين ، وتتكلّمون بكلام الصّديّقين ؟! .

وطاش لبّ الطّاغية ، فقد كانت هذه الكلمات كالصّاعقة على رأسه فصاح بأعلى صوته : من هذا المتكلّم ؟ .

فأجابه ابن عفيف بكلّ شجاعة وبسالة : أنا المتكلّم ياعدو الله أتقتلون الذّرية الطّاهرة التي أذهب الله عنهم الرجس ، وتزعم أنك على دين الإسلام ؟ واغوثاه أين أولاد المهاجرين والأنصار ؟ لينتقموا من طاغيتك اللعين ابن اللعين على لسان محمد رسول ربّ العالمين .

فصاح ابن زياد وقد امتلأ غضباً : عليَّ به .

فبادرت الجلاوزة لإلقاء القبض عليه ، فنادى بشعار أسرته «يامبرور» وكان في المجلس سبعمائة رجل من الأزد ، وثبوا اليه وأنقذوه من أيدي الجلاوزة ، ثم حصلت مناوشات بين جنود ابن زياد وأسرة عبدالله بن عفيف انتهت بإلقاء القبض عليه ، وأمر ابن زياد بقتله وصلبه(٢٧) .

وأشار الطبري الى مواقف مشابهة لموقف ابن عفيف ، قال : وثب اليه عبدالله بن عفيف الأزدي ، ثم الغامدي ، ثم أحد بني والبة(٢٨)

وحتى عائلة ابن زياد واسرته ظهرت في اوساطهم أصوات ومواقف رافضة لقتل أهل البيت ، حيث ينقل عن أمّ عبيد الله بن زياد وهي مرجانة أنّها سخطت عليه ووبّخته قائلة :

---

(٢٧) - (تاريخ الأمم والملوك) الطبري (ج ٦ ص ٢٦٣) . (حياة الإمام الحسين) القرشي (ج ٣ - ص ٣٤٨) .

(٢٨) - (تاريخ الأمم والملوك) الطبري (ج ٦ ص ٢٦٣) .

ياخبيث قتلت ابن رسول الله لا رايت وجه الله أبداً[٢٩] .

وأخوه عثمان بن زياد أيضاً أعلن رفضه وانكاره لما حصل وخاطب أخاه عبيدالله بن زياد معنفاً .

والله لوددت أنّه ليس من بني زياد رجل الآ وفي أنفه خزامة الى يوم القيامة وانّ الحسين لم يقتل[٣٠] .

---

(٢٩) ـ (حياة الإمام الحسين) القرشي (ج ٣ ص ٣٥٨) نقلاً عن عدّة مصادر .

(٣٠) ـ (تاريخ الأمم والملوك) االطبري (ج ٦ ص ٢٦٨) .

في مجلس يزيد

وكان موقف السيدة زينب في مجلس يزيد بن معاوية من اروع مواقف الدفاع عن الحقّ ، وتحدّي جبروت الطغيان والظلم .

فيزيد بن معاوية كان أمامها متربّعاً على كرسي ملكه ، وفي أوج قوته ، وزهو انتصاره ، تحفّ به قيادات جيشه ، ورجالات حكمه ، وزعماء الشام ، وتشير الروايات التاريخية الى حضور بعض الدبلوماسيين الأجانب كرسول قيصر ملك الروم ، وبالتالي فقد كان يزيد حريصاً على التمتّع بكامل هيبته ، والظّهور بأعلى درجات القوّة والسّيطرة .

وتعرف السيدة زينب فظاظة يزيد وغلظته ، وتهوّره في القمع والأرهاب ، وإنّ أيّ استفزاز له يمكن أن يدفعه الى أسوأ الأجراءات فليس له رادع من دين أو عقل .

كما أنّ أجواء المجلس كانت مهيّأة ومعدّة ليكون الإجتماع مهرجاناً للأحتفال بانتصار الحاكم على ثورة أهل البيت .

من ناحية أخرى فقد كانت السيدة زينب في ظروف بالغة القسوة والشّدّة ، جسدياً ونفسياً ، فهي لا تزال تعيش تحت وطأة الفاجعة وتأثيرها الهائل على

أحاسيسها ومشاعرها ، ولأجواء الشماتة والأذلال التي استقبلتها في الشام وقع كبير على نفسها ، ومجرّد حضورها سبية أسيرة في مجلس عدو ظالم حاقد قد ارتضع وتوارث عداء أسرتها منذ عهود وعقود ، وهي من هي في خدرها وصونها وعزّها ، إنّ ذلك وحده كفيل بتحطيم المعنويات وهزيمة الروح .

وجسدياً فإنّ السفر كان مرهقاً وشاقاً ، حيث كان السّير حثيثاً تنفيذاً لرغبة السلطة في الوصول بأسرع وقت الى الشام ، ومراكب السفر وهي الجمال لم تتوفّر لها أدنى وسائل الراحة التي اعتادها المسافرون في ذلك الزمن .

والمرافقون العسكريون لقافلة السبايا كانوا جفاة صلفين في تعاملهم مع النساء والأطفال كزجر بن قيس وشمر بن ذي الجوشن ، حيث يقذفون السبايا بالشتم والسبّ ويضربونهم بالسّياط لأدنى مناسبة .

وعامل الجوع والعطش كان له دور في انهاك السيدة زينب وارهاقها حيث كان الجنود يقتّرون على السبايا في الطعام والشراب ، ممّا يدفع السيدة زينب للتّنازل عن حصّتها لسدّ جوع وعطش الأطفال ، متحمّلة مضاضة الجوع والعطش .

ويصف الأستاذ عبد الباسط الفاخوري حالة قافلة السبايا الى الشام بقوله : « ثم إنّ عبيدالله جهّز الرأس الشريف وعلي بن الحسين ومن معه من حرمه بحالة تقشعّر منها ومن ذكرها الأبدان ، وترتعد منها مفاصل الأنسان بل فرائص الحيوان » .[٣١]

اضافة الى كلّ ذلك فقد أحيط دخول السبايا الى الشام وحضورهم في مجلس يزيد باجراءات بالغة الصّعوبة قصد منها ايقاع أكبر قدر من الأذلال والهوان بنفوس السبايا .

وقبل ادخالهم على يزيد أوقفوهم فترة على درج باب المسجد حيث مكان ايقاف سبي الكفّار ، ثم أتوا اليهم بحبل أوثقوهم به كتافاً وقد كانت بداية الحبل في عنق

---

(٣١) - (حياة الإمام الحسين) القرشي (ج ٣ ص ٣٦٧) .

علي بن الحسين ونهايته في عنق السيدة زينب ، كما تربق الأغنام ، وساقوهم باذلال ، وكلّما قصروا عن المشي ضربوهم بالسّياط ، والسبايا يكبّرون ويهلّلون ، حتى أوقفوهم بين يدي يزيد في مجلسه وهو متربّع على سريره ، فالتفت اليه علي بن الحسين قائلاً : « ما ظّنك بجدّنا رسول الله لو يرانا على مثل هذه الحالة » ؟ .

فتأثّر يزيد ولم يبق أحد في مجلسه الاّ وبكى ، وأمر يزيد بالحبال فقطّعت[٣٢] .

ودعا يزيد برأس الحسين ووضعه أمامه في طست من ذهب[٣٣] ومع يزيد قضيب فهوى ينكت به في ثغره ثم قال : إن هذا وإيّانا كما قال الحصين بن الحمام المرّى :

يفلقن هاماً من رجال أحبّة ... الينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

فقام رجل من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) يقال له « أبو برزة الأسلمي » فقال : أتنكت بقضيبك في ثغر الحسين ؟ أما لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذاً لربما رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) يرشفه ! أما انّك يايزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك ، ويجيء هذا يوم القيامة ومحمد (صلى الله عليه وسلّم) شفيعه .

ثمّ قام فولّى[٣٤] .

وتمادى يزيد في اظهار شماتته وفرحه وصرّح بما في مكنون نفسه من انّه ينتقم من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن أهل بيته حيث صار يتمثّل بابيات شعرلعبد الله بن الزبعرىٰ جاء فيها :

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

---

(٣٢) - (مقتل الحسين) المقّرم (ص ٣٥٠) .
(حياة الإمام الحسين) القرشي (ج ٣ ص ٣٧٦) .
(٣٣) - (مقتل الحسين) المقّرم (ص ٣٥٤) .
(٣٤) - (تاريخ الأمم والملوك) الطبري (ج ٦ ص ٢٦٧) .

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً   ثم قالوا يايزيد لا تشل

قد قتلنا القرم من ساداتهم   وعدلناه ببدر فاعتدل

لعبت هاشم بالملك فلا   خبر جاء ولا وحي نزل

لست من خندف ان لم أنتقم   من بني أحمد ما كان فعل

وسمعت العقيلة زينب ترنّم يزيد بهذه الأبيات ، التي يعلن فيها كفره بالرسالة والوحي ، وإنّ دافعه الى قتل أهل البيت هو الأنتقام وأخذ ثأر قتلى المشركين في بدر ، ورأته كذلك يعبث برأس أخيها الحسين . . هنا قررّت السيدة زينب أن تتّحمل مسؤليتها في مواجهة هذا الكفر الصريح ، وأن تمارس دورها الرسالي في اعلان الحق ، فتفجّر بركان ارادتها الأيمانية ،و وقفت خطيبة قائلة :

« الحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على رسوله وآله أجمعين ، صدق الله (سبحانه) حيث يقول : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُاْ السُّوأَى أَنْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهاَ يَسْتَهزِؤنَ ﴾[٣٦] .

أظننت يايزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء ، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى . أنّ بنا على الله هواناً ، وبك عليه كرامة ؟ .

وأنّ ذلك لعظم خطرك عنده ؟ فشمخت بأنفك ، ونظرت في عطفك ، جذلان مسرورا ، حين رايت الدنيا لك مستوسقه ، والأمور متّسقة ، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا فمهلاً مهلاً ، لا تطش جهلاً ، أنسيت قول الله (تعالى) ﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[٣٧] .

(الكامل في التاريخ) ابن الأثير (ج ٤ ص ٨٥) .

(٣٥) - (حياة الإمام الحسين) القرشي (ج ٣ ص ٣٧٧) .

(٣٦) - سورة الروم آية ١٠) .

(٣٧) - سورة آل عمران (آية ١٧٨) .

أمن العدل يابن الطلقاء ! .

تخديرك حرائرك واماءك ، وسوقك بنات رسول الله سبايا ، قد هتكت ستورهنّ ، وأبديت وجوههنّ ، تحدوبهنّ الأعداء من بلد الى بلد ، ويستشرفهنّ أهل المناهل والمعاقل ، ويتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد ، والدّني والشريف ، ليس معهنّ من حماتهنّ حمي ، ولا من رجالهنّ ولي ؟ .

وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء ، ونبت لحمه من دماء الشهداء ؟ .

وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر الينا بالشنف والشنآن ، والإحن والأظفان ؟ .

ثم تقول غير مستأثم ولا مستعظم :

لأهلوا وأستهلّوا فــرحــاً ثم قالوا يايزيد لا تُشل

منحنياً على ثنايا أبي عبدالله سيد شباب أهل الجنة ، تنكتها بمخصرتك ، وكيف لا تقول ذلك ؟ وقد نكأت القرحة ، واستأصلت الشأفة ، بإراقتك دماء ذريّة محمد ، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب .

وتهتف بأشياخك ، زعمت أنّك تناديهم ، فلتردنّ وشيكاً موردهم ، ولتودّنّ أنّك شللت وبكمت ، ولم تكن قلت ماقلت وفعلت .

اللهم خذ لنا بحقّنا ، وانتقم ممّن ظلمنا ، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا .

فوالله ما فريت الاّ جلدك ، ولا حزت الاّ لحمك ، ولتردنّ على رسول الله بما تحمّلت من سفك دماء ذريته ، وانتهكت من حرمته في ذريته ولحمته ، حيث يجمع الله شملهم ، ويلمّ شعثهم ، ويأخذ بحقّهم : **﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾**[٣٨] .

---

(٣٨) ـ سورة آل عمران (آية ١٦٩) .

وحسبك بالله حاكماً ، وبمحمد خصيماً وبجبرئيل ظهيراً .

وسيعلم من سوّل لك ، ومكّنك من رقاب المسلمين ﴿ **بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً** ﴾[39] أيّكم ﴿ **شَرٌّ مَكَاناً وَأَضْعَفُ جُنداً** ﴾[40] ؟ .

ولئن جرّت عليَّ الدّواهي مخاطبتك ، إنّي لأستصغر قدرك ، وأستعظم تقريعك ، وأستكثر توبيخك ، لكنّ العيون عبرى ، والصّدور حرّى ! ألا فالعجب كلّ العجب لقتل حزب الله النّجباء بحزب الشيطان الطلقاء !! فهذه الأيدي تنطف من دمائنا ، والأفواه تتحلّب من لحومنا ، وتلك الجثث الطّواهر الزواكي ، تنتابها العواسل ، وتعفّرها أمهات الفراعل !! ولئن اتّخذتنا مغنماً ، لتجدنّا وشيكاً مغرما ، حين لاتجد الاّ ما قدّمت يداك وما ربّك بظلام للعبيد ، والى الله المشتكى وعليه المعّول .

فكد كيدك ، واسع سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله لا تمحو ذكرنا ، ولا تميت وحينا ، ولا يرحض عنك عارها .

وهل رأيك الاّفند ؟ وأيّامك الاّ عدد ؟ وجمعك الاّ بدد ؟ .

يوم ينادي المنادي : ألا لعنة الله على الظالمين .

والحمد لله رب العالمين ، الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ، ولآخرنا بالشهادة ، والرحمة ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب ، ويوجب لهم المزيد ، ويحسن علينا الخلافة ، إنّه رحيم ودود ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » .[41]

---

(٣٩) - سورة الكهف (آية ٥٠) .

(٤٠) - سورة مريم (آية ٧٥) .

تأملات في الخطاب

إنّ خطاب السيدة زينب (عليها السلام) في مجلس يزيد يعتبر وثيقة فكرية سياسية تسلّط الأضواء على خلفيات المعركة بين أهل البيت والأمويين كما تناقش بعض التفاصيل والقضايا الهامة في تلك المعركة ، وتقّدم استشرافاً وتصوّراً مستقبلياً لآثار المعركة ونتائجها .

ونشير فيما يلي الى أبرز وأهمّ آفاق هذا الخطاب الرائع العظيم :

أولاً :ـ المعركة في منظار القيم والمبادىء

فالأمويون وان كانوا يتظاهرون بالأسلام ، ويحكمون باسمه ، الاّ أنّهم يتعاملون مع الحياة ، وينظرون للأمور حسب المعادلات المادّية ، وضمن دائرة المصالح الدنيوية العاجلة بعيداً عن القيم والمبادىء .

ويريدون لجمهور الأمة أن ينظر الى واقعة كربلاء من منظارهم المادّي الجاهلي ، حين يصرّح يزيد بأنّه قد قام بأخذ ثارات بدر ومعارك الإسلام الأولى ضدّ أسلافه المشركين ، والمسألة في نظر الأمويين لاتعدو أن تكون دفاعاً عن عرش السلطة وكرسي الحكم ، وهو أمر مشروع بالعقلية المصلحية .

ويرى الأمويون أن القوة التي بأيديهم ، والأنتصارات التي أحرزوها ، تكفي

دليلاً على أحقيّتهم وشرعّيتهم كواقع يفرض نفسه .

وفي مواجهة هذا المنطق الأموي المادي الأنتهازي كانت السيدة زينب في خطابها تؤكّد على الرجوع الى القيم والمبادىء الدينية والأحتكام اليها في تقويم الواقع وتفسير أحداثه ، فلا بّد من محاكمة ما يجري على ضوء كتاب الله ، والنظر الى المعركة من خلال الرؤية الدينية التي يريد الأمويون تغييبها والغاءها في واقع حياة المسلمين .

لذلك تذكّر يزيد بن معاوية بأن لا ينظر الى نفسه من خلال ما يملك من قوة وسلطة : « أظننت يايزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء » . فليس في ذلك دلالة على الأحقّية والمشروعية والرضا الآلهي ، فقد يفسح الله المجال واسعاً أمام الكافرين لتتضاعف قوّتهم وامكانياتهم دون أن يعني ذلك أحقيّتهم أو رضا الله عنهم ، بل يكون ذلك سبباً لزيادة انحطاطهم وعذابهم عند الله .

والحسين وأهل بيته ليسوا مهزومين مغلوبين قد خسروا الحياة وابتلعهم الموت بل هم وفق مقياس المبادىء الآلهية شهداء خالدون وأحياء عند ربّهم ، لأنّهم قتلوا في سبيل الله .

واذا كانت المآسي قد حلّت بأهل البيت فانهم يحتسبونها عند الله ، حيث لم تحدث لهم في سياق صراع دنيوي مصلحي وإنّما لأنّهم يحملون رسالة الله ويدافعون عن دينه ، وحسب المبادىء والقيم فهناك عدالة آلهية ، وهناك دار أخرى تكون فيها النتائج الحاسمة : « وحسبك بالله حاكماً وبمحمد خصيماً ، وبجبرئيل ظهيرا ولتردن على رسول الله » .

والصراع بين أهل البيت والأمويين في نظر السيدة زينب ليس صراعاً قبلياً على الزعامة ، بل هو مظهر وامتداد للصّراع الأبدي الدائم بين الخير والشر ، بين حزب الله وحزب الشيطان .

ثانياً :ـ ادانة الجرائم الأموية

ففي مجلس يزيد وأمامه وبحضور أتباعه ومؤيّديه ، أعلنت السيدة زينب الأدانة والأستنكار لما ارتكبه من جرائم بحقّ أهل البيت ، وأوضحت مظلومية أهل البيت وعمق مأساتهم بقتل رجالات أهل البيت ، وسوق نسائهم سبايا بتلك الحالة المفجعة ، وترك جثث أهل البيت دون مواراة . كما توبّخه بشدّة على أقواله التي تنضح كفراً وتشكيكاً في الدين ، وتعنّفه على ما فعله برأس أخيها الحسين .

ومن يعرف مدى غرور يزيد وتجبّره يدرك وقع هذا التّوبيخ والأدانة على نفسه .

يقول المرحوم الأستاذ توفيق الفكيكي : وكان الوثوب على أنياب الأفاعي ، وركوب أطراف الرماح ، أهون على يزيد من سماع هذا الأحتجاج الصّارخ[٤١] .

ثالثاً :ـ الجذور العائلية الفاسدة

فسياسات يزيد المنحرفة ، ومواقفه الفاسدة ، لم تنطلق من فراغ ، وإنّما هي امتداد واستمرار لسلوكيات أسلافه المشركين والمنافقين ، لذلك تذكّره السيدة زينب بجدّته « هند » أم معاوية وزوج أبي سفيان ، والتي قادت حملة التأليب والتحريض على قتال رسول الله والمسلمين ، وأغرت « وحشي » بقتل الحمزة بن عبد المطلب عمّ رسول الله ، ثمّ مثّلت بجسمه وانتزعت كبده وحاولت مضغها بأسنانها ، اظهاراً لحقدها البشع ، وبغضها المتوحّش لرسول الله وذويه ، ويزيد في اعتداءاته الأليمة على أهل البيت لم يأت بشيء غريب ، وإنّما هو شرّ خلف لشرّ سلف ، تقول (عليها السلام) « وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء » .

وتتوعّده السيدة زينب بأنّ مصيره هو مصير أسلافه عتبة وشيبة والوليد وانّه

---

(٤١) ـ (حياة الإمام الحسين) القرشي (ج ٣ ص ٣٧٨ ـ ٣٨٠) . (مقتل الحسين) المقرم (ص ٣٥٧ ـ ٣٥٩) .

لاحق بهم في نار جهنم : « وتهتف بأشياخك زعمت أنّك تناديهم فلتردن وشيكاً موردهم » .

رابعاً : الأشادة بأهل البيت :

في مجتمع تربّى على بغض أهل البيت ، وفي أجواء معبّأة ضدّ الأسرة العلوية ، ووسط مجلس انعقد للشماتة بمقتل الحسين ، تقف السيدة زينب صادحة بالحق ، مشيدة بفضائل أسرتها الكريمة .

فهي تخاطب يزيد معلنة للأمّة أنّ هذه الدولة والكيان الأسلامي إنّما أشادته سيوف بني هاشم ، وتضحيات آل الرسول بالدرجة الأولى « وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا » فأهل البيت هم القادة الحقيقيون لهذه الأمّة وهم الأولى بالسلطة والحكم .

ولأهل البيت فضل عظيم على يزيد بالذات فأبوه وجدّه وأسرته هم طلقاء عفو رسول الله عند فتح مكة لذلك تخاطبه العقيلة : « أمن العدل يابن الطلقاء » .

أمّا شهداء كربلاء فتصفهم السيدة زينب بأنّهم : « ذريّة محمد ونجوم الأرض من آل عبد المطلب » وتذكر أخاه الحسين باعتباره : « سيد شباب أهل الجنّة » .

وتعتزّ السيدة زينب بفضل اسرتها وأمجادها العظيمة قائلة : « والحمد لله ربّ العالمين الذي ختم لأوّلنا بالسعادة والمغفرة ولآخرنا بالشهادة والرحمة »

خامساً : المستقبل لمن ؟

يتبختر يزيد بانتصاره على أهل البيت ، ويظنّ أنّه كسب المعركة لصالحه ، ووسائل أعلامه تكرّر وتجتر هذا الوهم على مسامع الناس ، لكن العقيلة زينب تنسف أوهامه ، وتسفّه أحلامه ، وتقرّر أمام مجلسه الحاشد أنّه قد تلطّخ بأوحال الهزيمة ، وسقط في حضيض الهوان ، وإن تظاهر بالنصر وتراءى له الظفر .

إنّها تتحدى يزيد في أن يتمكّن من تحقيق هدفه بطمس خطّ أهل البيت ، مهما جنّد من قواه واستخدم من قدراته : « فكد كيدك واسع سعيك ، وناصب

جهدك ، فوالله لا تمحو ذكرنا ، ولا تميت وحينا » فخطّ أهل البيت يمثّل الحقّ والعدل ، ويجّسد الوحي الآلهي ، وسوف تبقى البشرية متطلّعة للحق والعدل وسوف يظهر الله دينه على الدين كلّه .

كما تظهر العقيلة سخريتها واحتقارها لمظاهر القوة التي أحاط بها يزيد نفسه : « وهل رأيك الاّ فند ، وأيّامك الاّ عدد ، وجمعك الاّ بدد » .

ورهان السيدة زينب على النصر وثقتها بالظّفر ليْس محجماً بحدود الدنيا الفانية ، بل تتطلعّ للآخرة هناك حيث عدالة الله ، وحيث تكون العاقبة للمتّقين ، والنار والخزي للظالمين .

سادساً :ـ العزّة الأيمانية

تلك المرأة السّبيّة الأسيرة التي سيقت الى مجلس يزيد مكتّفة بالحبال ، تقف أمام الحاكم المتغطرس المتجبّر صارخة به : « يابن الطلقاء ومنذرة له : « ولتودّن أنك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت » وداعية عليه : « اللهم خذلنا بحقّنا وانتقم ممّن ظلمنا ، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا » .

وتتحدّاه قائلة : « فوالله ما فريت الاّ جلدك ولا حزرت الاّ لحمك » وتكرر تحدّيها له هاتفة : « فكد كيدك واسع سعيك » .

وبصراحة أوضح تبدي احتقارها له وأنها أكبر وأسمى من أن تكلّمه أو تخاطبه لولا ما فرضته عليها الظروف فتقول : « ولئن جرّت عليّ الدّواهي مخاطبتك إنّي لاستصغر قدرك ، واستعظم تقريعك ، وأستكثر توبيخك » .

فمن يداني ابنة علي في شجاعتها وعزّتها وبطولتها ؟ .

إنّها ابنة أبيها وهي تفرغ عن لسانه وروحه .

لذلك تحطّمت كبرياء يزيد أمامها وانهار غروره ، وأصابته الحيرة والأرتباك ، فلم يزد أن تمثّل بعد خطابها بقول الشاعر :

ياصيحة تحمد من صوائح ما أهون النّوح على النوائح

وكأنّه يفسّر خطاب السيدة زينب بأنّه نوع من الأنفعال الطبيعي لما تعانيه من مصيبة !!

مواجهة حادّة

بعكس ما كان يقصده ويهدفه يزيد من دخول السبايا الى مجلسه بأن يستعرض قوته ، ويؤكّد انتصاره ، ويوجّه لأهل البيت ضربات جديدة من الأذلال والهوان .

فقد انعكس الأمر ، وتحّول المجلس الى ساحة محاكمة لجرائمه ، و ميدان معركة تكبّد فيها هزيمة نكراء . .وفوجىء يزيد بحصول مالم يكن يتوقّع ، وفقد السيطرة على نفسه ، ولم يعد يدري كيف يواجه الموقف ، بينما استمرّت العقيلة زينب توجّه له ضربات التّحدّي ، وسهام التبكيت والاحتقار .

ونظر رجل من أهل الشام ومن القريبين من يزيد الى السيدة فاطمة بنت الامام علي ـ وحسب روايات أخرى بنت الامام الحسين ـ فقال مخاطباً يزيد : ياأمير المؤمنين هب لي هذه الجارية لتكون خادمة عندي !! .

فاسودّت الدنيا في عين السيدة فاطمة ، وانتابها الرعب والقلق ، فلاذت بزعيمة الركب العقيلة زينب ، فطمأنتها زينب وهدّأت روعتها بحيث رفعت صوتها لتُسمع يزيد قائلة للرجل :

ـ كذبت ولؤمت ماذلك لك ولالأميرك .

واستشاط يزيد غضباً لهذه الضّربة القاصمة لصرح هيبته الزائفة ومقامه الباطل

فردّ بانفعال : كذبت والله ، إنّ ذلك لي ، ولو شئت أن أفعله لفعلت .

فعاجلته السيدة زينب بضربة أكثر وقعاً وصرامة حين قالت :

ـ «كـلا والله ماجعل الله لك ذلك الاّ أن تخرج من ملّتنا وتدين بغير ديننا » .

وطفح الكيل في نفس يزيد وماعاد يتحمّل مايسمع من كلمات التّحدّي والتّحقير وفي مقر حكمه وبين أنصاره وجمهوره فصاح غاضباً :

ـ إيّاي تستقبلين بهذا ؟ انّما خرج من الدين أخوك وأبوك ! .

واذا كان يزيد منفعلاً قد فقد السيطرة على نفسه فإنّ السيدة زينب كانت في قمّة الاطمئنان والثّبات ، لذلك أجابته واثقة :

ـ بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدّي اهتديت أنت و أبوك وجدّك إن كنت مسلماً !! .

وماعسى أن يكون جواب يزيد او موقفه تجاه هذا التّحدّي الصارخ ، فهو يتربّع على عرش خلافة المسلمين لكن السيدة زينب تجعل اسلامه موضع شك ، وتعلن على رؤوس الأشهاد فضل أسرتها عليه وعلى أسرته بهديهم للاسلام . . لذلك لم يحر يزيد جواباً ولم يجد رداً فلجأ الى الشتم ، بحنق وغيظ ، حيث خاطب زينب قائلاً : كذبت ياعدوة الله !! .

لكن غضب يزيد وانفعاله وشتمه لم يسكت العقيلة زينب ولم يضع حداً لهجومها عليه وتحدّيها له ، بل أوضحت أمام الجمع أنّ دافع يزيد الى الشتم هو سوء استخدامه لموقعه باعتباره حاكماً يمارس الظلم والقهر ، قالت (عليها السلام) :

ـ أنت أمير مسلّط ، تشتم ظالماً ، و تقهر بسلطانك .

فسكت يزيد وأفحم واعترف بخسارته المعركة ، حيث إنّ الرجل الشامي كرّر عليه الطلب وكأنّه يريد أن يعرف النتيجة ، وينتزع من يزيد الاعتراف بالهزيمة أمام تحدّي السيدة زينب له ، فقال الشامي :

ـ ياأمير المؤمنين هب لي هذه الجارية ! .

فصبّ يزيد عليه جام غضبه قائلاً له :

ـ اعزب وهب الله لك حتفاً قاضياً[٤٢] .

---

(٤٢) ـ (حياة الإمام الحسين) القرشي (ج ٣ ص ٣٨١ .

ردود الفعل

خلافاً لما كان يقصده يزيد من مجيء السبايا ورؤوس الشهداء إلى الشام ، بأن يصنع من خلال ذلك جواباً مضاداً لثورة الحسين ، ويدعم عرش حكمه وسلطته ، فقد حصل العكس من ذلك تماماً ، حيث سادت النقمة وانتشر الاستياء في مختلف أوساط العاصمة الأموية ، استنكاراً لما فعله يزيد .

وممّا رصده لنا التاريخ من مظاهر الاستنكار مايلي :

ممثل ملك الروم :

وكان في مجلس يزيد ممثّل ملك الروم ، فلما رأى رأس الامام بين يدي يزيد تأثّر من ذلك وسأل يزيد : رأس من هذا ؟ .

أجابه يزيد : رأس الحسين .

فسأل : من الحسين ؟ .

قال يزيد : ابن فاطمة .

وسأله : من فاطمة ؟ .

قال يزيد : ابنة رسول الله .

فانذهل ، وقال : نبيّكم ؟ .

أجابه يزيد : نعم .

ففزع ممثّل ملك الروم ، وأبدى انزعاجه قائلاً : تباً لكم ولدينكم ، وحقّ المسيح إنّكم على باطل ، إنّ عندنا في بعض الجزائر ديراً فيه حافر فرس ركبه المسيح فنحن نحجّ اليه في كل عام ، من مسيرة شهور وسنين ، ونحمل اليه النّذور والأموال ، ونعظّمه أكثر ممّا تعظّمون كعبتكم ، أفٍ لكم .

ثم قام وخرج غضباناً من مجلس يزيد[٤٣] .

حبر يهودي :

وحضر حبر يهودي مجلس يزيد أثناء دخول السبايا ، وسمع خطاب الامام زين العابدين فتأثّر الحبر والتفت الى يزيد سائلاً : من هذا الغلام ؟ .

أجابه : علي بن الحسين .

فسأل : من الحسين ؟ .

قال : ابن علي بن أبي طالب .

وسأل الحبر : من أمّه؟ .

أجابه يزيد : بنت محمد .

فاندهش الحبر وأعلن استنكاره أمام يزيد قائلاً : ياسبحان الله !! ابن بنت نبيّكم قتلتموه ، بئسما خلّفتموه في ذرّيته ، فوالله لو ترك نبينا موسى بن عمران فينا سبطاً لظننت أنّا كنّا نعبده من دون ربّنا ، وأنتم فارقكم نبيّكم بالأمس فوثبتم على ابنه وقتلتموه سوأة لكم من أمّة !! .

وغضب يزيد من قوله ، وأمر بتنكيله ، فقام الحبر وقد رفع عقيرته قائلاً : إن

---

(٤٣) - (تاريخ الأمم والملوك) الطبري (ج ٦ ص ٢٥٦) .
(حياة الإمام الحسين) القرشي (ج ٣ ص ٣٨٩) . (الكامل في التاريخ) ابن الأثير (ج ٤ ص ٨٦)

شئتم فاقتلوني ، إنّي وجدت في التوراة من قتل ذريّة نبي فلا يزال ملعوناً أبداً مابقي ، فاذا مات أصلاه الله نار جهنم[٤٤] .

قيصر ملك الروم :

فقد وصلته أخبار قتل الحسين وأخبار السبايا ، فكتب الى يزيد مستنكراً :

ـ « قتلتم نبياً أو ابن نبي»[٤٥] .

رأس الجالوت ـ

وممّن أظهر استنكاره وادانته لما حدث الزعيم الديني لليهود رأس الجالوت فقد قال لمحمد بن عبد الرحمن : إنّ بيني وبين داود سبعين أباً ، و إنّ اليهود تعظّمني وتحترمني وأنتم قتلتم ابن بنت نبيكم ؟[٤٦] .

شيخ من أهل الشام :

أخرج ابن جرير عن أبي الديلم قال : لما جيء بعلي بن الحسين (رضي الله تعالى عنهما) أسيراً فأقيم على درج دمشق قام رجل من أهل الشام فقال : الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم ! .

فقال له علي (رضي الله تعالى عنه) : أقرأت القرآن ؟ .

قال : نعم .

قال : أقرأت الـ ﴿ حم ﴾[٤٧] ؟ .

قال: نعم .

قال : أما قرأت : ﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلاَّ المَوَدَّة في القُربى ﴾[٤٨] .

---

(٤٤) ـ (حياة الإمام الحسين) القرشي (ج ٣ ص ٣٩٤) .
(٤٥) ـ المصدر السابق (ص ٣٩٥) .
(٤٦) ـ المصدر السابق (ص ٣٩٦) .
(٤٧) ـ سورة الشورى (آية ١) .
(٤٨) ـ سورة الشورى (آية ٢٣) .

قال : فانكم لأنتم هم ؟ .

قال : نعم[49] .

وفي نص آخر : دنا شيخ من الامام زين العابدين ، وقال له :

ـ الحمد لله الذي أهلككم وأمكن الأمير منكم ! .

فقال (عليه السلام) له : ياشيخ أقرأت القرآن ؟ .

قال : بلى .

قال : أقرأت : ﴿ قُلْ لاأسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاَّ ٱلْمَوَدَّةَ في القُربى ﴾[50] .

وقرأت قوله تعالى : ﴿ وَآتِ ذا القُربى حَقَّهُ ﴾[51] ، وقوله تعالى : ﴿ وَاعلَمُوا أنَّما غَنِمتُم مِن شَيء فأنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسولِ وَلِذي القُرْبى ﴾[52] ؟ .

قال الشيخ : نعم قرأت ذلك .

فقال الامام : نحن والله القربى في هذه الآيات .

ثم قال له الامام : أقرأت قوله (تعالى) : ﴿ إنَّما يُريدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِجْسَ أهلَ البيت ويُطّهركُم تَطهيراً ﴾[53] ؟ .

قال : بلى . .

فقال الامام : نحن أهل البيت الذين خصّهم الله بالتطهير .

قال الشيخ : بالله عليك أنتم هم ؟ .

---

(٤٩) ـ سورة الشورى (آية ٢٣) .

(٥٠) ـ (تفسير روح المعاني) الآلوسي (ج ٢٥ ص ٣١) .

(٥١) ـ سورة الإسراء (آية ٢٦) .

(٥٢) ـ سورة الأنفال (آية ٤١) .

(٥٣) ـ سورة الأحزاب (آية ٣٣) .

قال الامام : وحقّ جدّنا رسول الله إنّا لنحن هم من غير شك .

فوقع الشيخ على قدمي الامام يقبّلهما ويقول : أبرأ الى الله ممّن قتلكم . وتاب على يد الامام ممّا فرط في القول معه وبلغ يزيد فعل الشيخ وقوله ، فأمر بقتله[٥٤] .

الصحابي أبو برزة الأسلمي :

وكان هذا الصحابي حاضراً في مجلس يزيد فلمّا رأى أحوال السبايا وعبث يزيد برأس الحسين أعلن استياءه واستنكاره .

قال الطبري : فقام رجل من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) يقال له : أبو برزة الأسلمي ، وقال :

أتنكت بقضيبك في ثغر الحسين ؟ أما لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذاً لربّما رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) يرشفه ! أما انّك يايزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك ، ويجيء هذا يوم القيامة ومحمد (صلى الله عليه وسلّم) شفعيه .

ثم قام فولّى[٥٥] .

وفي رواية أخرى : قال أبو برزة الأسلمي : أشهد لقد رأيت النبي يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن ، ويقول : انتما سيدا شباب أهل الجنة قتل الله قاتلكما ، ولعنه وأعدّ له جهنّم وساءت مصيرا .

فغضب يزيد منه وأمر به فأخرج سحباً[٥٦] .

من داخل الأسرة الأموية

وهكذا كانت أمواج السخط والأستنكار تتلاطم بتأثير قافلة السبايا حتى

---

(٥٤) ـ (مقتل الحسين) المقّرم (ص ٣٤٩).

(٥٥) ـ (تاريخ الأمم والملوك) الطبري (ج ٦ ص ٢٦٧).

(٥٦) (الكامل في التاريخ) ابن الأثير (ج٤ ص٨٥).

ضربت أطناب البيت الأموي الحاكم ، وتعالت أصوات المعارضة لما حصل في أوساط عائلة يزيد ، فيحيى بن الحكم أخو مروان بن الحكم اعترض على يزيد في مجلسه وشتم ابن زياد أمامه متعاطفاً مع آل الرسول حيث أنشد البيتين التّاليين :

لهام بجنب الطفّ أدنى قرابه	من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل
سميّة أمسى نسلها عدد الحصى	وليس لآل المصطفى اليوم من نسل

قال : فضرب يزيد بن معاوية في صدر يحيى بن الحكم ، وقال : اسكت(٥٧) .

وابنة يزيد عاتكة بادرت الى رأس الإمام فطّيبته ، وقالت نادبة : رأس عمّي(٥٨) .

أما معاوية بن يزيد فموقفه واضح اذ رفض حتى تولّي الخلافة بعد أبيه يزيد وأعلن تنديده لسياسة أبيه وجدّه .

وزوجته هند لم تستطع كتمان ألمها واعتراضها ، يقول ابن الأثير : ثم دخلوا على يزيد فوضعوا الرأس بين يديه وحدّثوه ، فسمعت الحديث هند بنت عبدالله بن عامر بن كريز ، وكانت تحت يزيد ، فتقنّعت بثوبها وخرجت ، فقالت :

ياأمير المؤمنين أرأس الحسين بن علي ابن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) ؟ .

قال : نعم ، فاعولي عليه ، وحدّي على ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) ، وصريخة قريش ، عجلّ عليه ابن زياد فقتله قتله الله(٥٩) .

هذا الأستياء الشامل والأستنكار من مختلف الأوساط أظهر ليزيد فشل سياسته

---

(٥٧) (الكامل في التاريخ) ابن الأثير (ج ٤ ص ٨٥) .

(٥٨) (حياة الإمام الحسين) القرشي (ج ٣ ص ٤٠٠) .

(٥٩) (الكامل في التاريخ) ابن الأثير (ج ٤ ص ٨٤) .

وتخطيطه ، وجعله يتمنّى لو لم يقدم على قتل الحسين ، أو على الأقل لو تستّر على جريمته ولم ينشرها على رؤوس الملأ عبر قافلة السبايا والرؤوس. وصدرت عن يزيد كلمات وتصريحات عديدة يلقي فيها المسؤلية عن قتل الحسين ومآسي عائلته على عبيد الله بن زياد .. ككلامه لزوجته وقوله مخاطباً رأس الحسين .

والله ياحسين لو كنت أنا صاحبك ما قتلتك !![60] .

وينقل ابن الأثير أنّه ، لمّا وصل رأس الحسين الى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده وزاده ووصله وسرّه ما فعل ، ثم لم يلبث الاّ يسيراً ، حتى بلغه بغض الناس له ولعنهم وسبّهم ، فندم على قتل الحسين فكان يقول :

وما عليّ لو احتملت الأذى ، وأنزلت الحسين في داري وحكمته فيما يريد ، وان كان عليّ في ذلك وهن في سلطاني حفظاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ورعاية لحقه وقرابته ، لعن الله ابن مرجانة فإنّه اضطرّه ، وقد سأله أن يضع يده في يدي أو يلحق بثغر حتى يتوفّاه الله ، فلم يجبه الى ذلك فقتله ، فبغّضنى بقتله الى المسلمين ، وزرع في قلوبهم العداوة ، فأبغضني البّر والفاجر بما استعظموه من قتلي الحسين ، ما لي ولابن مرجانة ، لعنه الله وغضب عليه[61] .

---

(٦٠) - المصدر السابق (ص ٨٥) .

(٦١) - المصدر الصابق (ص٨٧).

خلق عظيم:

لقد تكاملت نواحي العظمة في شخصية السيدة زينب فتجسّدت فيها معالي الصّفات ومكارم الأخلاق ، وذلك هو سر تفردّها وخلودها .

وإنّما تتحدّد قيمة الأنسان ومكانته حسب ما يتمتّع به من مواهب وكفاءات ، ويترشّح عنه من فضائل وأخلاق .

وشخصية السيدة زينب زاخرة بالمواهب العالية ، وسيرتها طافحة بالمكارم الرفيعة .

لقد رافقنا حياة السيدة زينب عبر الفصول السابقة وهي وليدة ناشئة ، وفتاة يافعة ، وزوجة ناضجة ، وأم مربّية ، ورأيناها تقف الى جانب أمها في آلامها وأحزانها ، وتواكب مسيرة أبيها في منعطفات الزمن وأحداثه ، وتواسي أخاها الحسن في محنته وابتلائه ، ثم تشارك أخاها الحسين في ثورته العظيمة الخالدة ، وتقود بعده ركب النّهضة المقّدسة .

ومن خلال تلك المواقف والأحداث تجلّت لنا كفاءات السيدة زينب وعظمة شخصيتها ، وتبدى لنا من نورها المضيء ، وأفقها الرحيب بقدر ما كانت أبصارنا تستوعب الرؤية والنظر .

ونشير في هذا الفصل الى بعض مكارم أخلاقها وعظيم صفاتها .

رائدة المعرفة

بالعلم ميّز الله الأنسان على سائر المخلوقات حتى الملائكة : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1] .

وبالعلم يتمايز بنو آدم فيما بينهم : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2] .

﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾[3] .

و « العلم رأس الخير كلّه » و « أكثر الناس قيمة أكثرهم علماً ،« وأقل الناس قيمة أقلّهم علماً »، كما يقول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)[4] .

---

(١) ـ سورة البقرة (آية ٣١) .

(٢) ـ سورة الزمر (آية ٩) .

(٣) ـ سورة المجادلة (آية ١١) .

(٤) ـ (ميزان الحكمة) الري شهري (ج ٦ ص ٤٥١ ـ ٤٥٥) .

أو كما يقول الإمام علي (عليه السلام) : « قيمة كل امرىء ما يحسنه » [٥]

فالعلم ساحة سباق وتنافس بين أبناء البشر يتقدم فيها من حاز منه بنصيب أوفر .

والمرأة كانسانة معنية بهذا السباق في ميدان العلم ، ولها حضورها في ساحته ، وقيمتها كالرجل تتحدّد بما تحسنه من العلم والمعرفة .

لذلك قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

واذا ما راينا الجهل معشعشاً أكثر في أوساط نسائنا فذلك دليل على تخلّفنا وانحرافنا عن هدي الرسالة .

لقد اثبتت المرأة في الماضي والحاضر أنّها لاتقلّ عن الرجل استعداداً للمعرفة وكفاءة في طلب العلم . . فحتى العلوم التخصصية الهامة أحرزت فيها المرأة تفوّقاً وتقدّماً . . وكذلك المجالات العلمية التي تحفّها المخاطر والصعوبات فحادثة « تشالنجر » لازالت ماثلة أمام الأذهان حينما تحطّمت المركبة الفضائية المتطوّرة بعد (٧٣) ثانية من انطلاقها في الجو بسبب شرخ في خزّان الوقود بتاريخ (٢٨ ـ ١ ـ ١٩٨٦ م) وكان ضمن طاقمها المكوّن من ستة أفراد فتاتان تعملان في أبحاث الفضاء هما « كريستا مكوليف » و « جودث رثنك » .

وقبل سنتين نشرت وسائل الإعلام تحقيقاً عن امرأة عربية متخصّصة في فيزياء « البلازما » وهي الحال الرابعة للمادة التي يقال أنّ كتلة الكون تتألف منها .

تلك المرأة هي « مها عاشور عبدالله » أستاذة الفيزياء في جامعة « لوس أنجلس » في الولايات المتّحدة الأمريكية ، وقد تجاوزت هذه المرأة كلّ المستحيلات ، فاختارتها وكالة الفضاء الأمريكية « ناسا » مستشارة رئيسية في وضع خطّة الأبحاث الأساسية في فيزياء الفضاء ، وقد منحت جائزة نساء العلم الأميركية .

---

(٥) ـ (نهج البلاغة) الإمام علي (قصار الحكم) (رقم :٨١) .

وذكرت « مهى » المعروفة بأبحاثها المشتركة مع أبرز علماء فيزياء الفضاء من فرنسا واليابان والصين والأتحاد السوفيتي (سابقاً) والمانيا أنّها غالباً ما تجد نفسها المرأة الوحيدة في المؤتمرات العلمية الدولية ، وتعتقد أنّ النساء العربيات أكثر اقداماً على العلوم من الغربيات ، وانّ نسبتهنّ في الكليات العلمية العربية لا تقلّ كثيراً عن الرجال ، وانهنّ لو أعطين الفرصة فسيحققن الكثير .

وتعدّ « مهى » العالمة المصرية التي أصدرت الى الآن (٢١٠) بحثاً من أبرز المتخصّصين في ظاهرة « الشفق القطبي » الجوية المحاطة بالغموض والأساطير .

واضافة الى اللجنة الأستشارية في « ناسا » تشغل عضوية « هيئة علوم الكمبيوتر المتقدّمة » وهي مسؤولة التنسيق عن الأفادة من علوم فيزياء الفضاء في « المؤسسة القومية للعلوم » التي تعتبر من أهمّ مراكز اعداد القرار العلمي في الولايات المتحدة .

و « مهى » حفيدة فلاح من قرية « مطوبس » غير البعيدة عن الأسكندرية في مصر(٦) .

فساحة العلم مفتوحة أمام المرأة ، وميدان المعرفة متّسع لمشاركتها ، واهتمامها بطلب العلم وتلقّي المعرفة واجب شرعي عليها أكثر ممّا هو حقّ لها ، كما ينصّ الحديث الشريف : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

لكنّ ظروف التخلّف والأنحطاط هي التي جعلت المرأة عندنا أسيرة الجهل محرومة من نعمة المعرفة والعلم (غالباً) .

وقراءة شخصية السيدة زينب تعطي لأمّتنا دفعة انطلاق لتجاوز هذا الواقع الخاطىء .

فقد اهتّمت السيدة زينب بتلقّي العلم والمعرفة منذ نعومة أظفارها وفي وقت مبكّر من حياتها ، فانّها روت عن أمها فاطمة الزهراء(٧) .

---

(٦) ـ جريدة (الحياة) اليومية ، تصدر في لندن (تاريخ : (٢٢ ـ ١٢ ـ ١٤١١ هـ) .

(٧) ـ (معجم رجال الحديث) الخوئي (ج ٢٣ ص ١٩) .

وقال الطبرسي : انّها روت أخباراً كثيرة عن أمها الزهراء[٨] .

بالطبع كان عمرها عند وفاة أمّها السادسة .

وفي طليعة ما روت عن أمّها الزهراء خطبتها العظيمة في الأحتجاج على الخليفة الأول ابي بكر حول منطقة فدك التي كانت تحت يد الزهراء فصادرها الخليفة وضمّها الى بيت المال . . وخطبة الزهراء هذه طويلة مفصّلة تتضمّن زيادة على موضوعها الأساس حول فدك الكثير من المفاهيم والتعاليم الإسلامية ، وكلّ أسانيد هذه الخطبة تنتهي الى السيدة زينب فهي التي حفظت خطبة أمها وانتقلت عبرها الى الأجيال .

وقد أشار ابن أبي الحديد المعتزلي الى أسانيد الخطبة المنتهية كلها الى السيدة زينب نقلاً عن أبي بكر الجوهري ، والذي وصفه بقوله . عالم محدّث ، كثير الأدب ، ثقة ورع ، أثنى عليه المحدّثون ، ورووا عنه مصنّفاته[٩] .

ويذكر أبوالفرج الأصفهاني لخطبة الزهراء سنداً آخر عن ابن عباس بروايته عن السيدة زينب قال : والعقيلة هي التي روى ابن عباس عنها كلام فاطمة في فدك ، فقال : « حدثتني عقيلتنا زينب بنت علي »[١٠] .

وكما روت عن أمها الزهراء ، فقد روت أيضاً عن أبيها علي ، وعن أخويها الحسنين[١١] .

وروت عن مولى لجدّها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذكر ابن عساكر انّ اسمه طهمان أو ذكوان[١٢] .

لكن الشيخ النقدي نقل عن كتاب (الورع) لأحمد بن حنبل أنّ اسم ذلك

---

(٨) - (أدب الطف) جواد شبر (ج ١ ص ٢٤٣) .
(٩) - (شرح نهج البلاغة) ابن أبي الحديد (ج ١٦ ص ٢١٠ - ٢١١)
(١٠) - (مقاتل الطالبيين) الأصفهاني (ص ٩١) .
(١١) - (زينب الكبرى) النقدي (ص ٣٥) .
(١٢) - (تاريخ مدينة دمشق) « تراجم النساء » ابن عساكر (ص ١١٩) .

المولى ميمون أو مهران ، فقال : ومن ذلك ما في كتاب (الورع) لاحمد بن حنبل المطبوع بمصر حديثاً عن عطاء بن السائب قال : حدّثتني أم كلثوم ابنة علي - هي زينب - قال : أتيتها بصدقة كان أمر بها .

قالت : احذر شبابنا فإنّ ميموناً أو مهران أخبرني أنّه مرّ على النبي (صلى الله عليه وآله) ، فقال : ياميمون أو يامهران إنّا أهل بيت نهينا عن الصدقة وإنّ موالينا من أنفسنا فلا تأكل الصدقة[١٣] .

وروت أيضاً عن فضليات نساء عصرها كأم أيمن مولاة النبي وحاضنته ، وأم سلمة زوج رسول الله ، وأم هاني بنت أبي طالب[١٤] ، وأسماء بنت عميس أم عبدالله بن جعفر[١٥] .

ولم تختزن السيدة زينب العلم لنفسها أو تحتكره لذاتها بل أفاضت من معارفها ومروياتها على أبناء الأمة ، فكانت تتحدّث ليس فقط للنساء بل حدّثت العديد من رجالات بيتها وسائر الأصحاب والتابعين . . فقد روى عنها جابر ، وعباد العامري[١٦] ، وابن أخيها الإمام علي بن الحسين زين العابدين[١٧] ، وروى عنها حبر الأمة عبدالله بن عباس[١٨] ، وزوجها عبدالله بن جعفر[١٩] ، وروى عنها محمد بن عمرو الهاشمي ، وعطاء بن السائب[٢٠] ، وروى عنها أحمد بن محمد بن جابر ، وزيد بن علي بن الحسين[٢١] .

---

(١٣) - (زينب الكبرى) النقدي (ص ٣٨) .
(١٤) - المصدر السابق (ص ٣٥ - ٤١) .
(١٥) - (تراجم النساء) ابن عساكر (ص ١١٩) .
(١٦) - (معجم رجال الحديث) الخوئي (ج ٢٣ ص ١٩٠) .
(١٧) - (أدب الطف) جواد شبر (ج ١ ص ٢٣٨) .
(١٨) - (مقاتل الطالبيين) الأصفهاني (ص ٩١) .
(١٩) - (زينب الكبرى) النقدي (ص ٣٥) .
(٢٠) - (تراجم النساء) ابن عساكر (ص ١١٩) .
(٢١) - (زينب الكبرى) النقدي (ص ٣٧) .

وروت عنها بنت أخيها فاطمة بنت الحسين[٢٢] ، وقد مرّ علينا سابقاً أنّها كانت مهتمّة بتعليم النساء وتثقيفهنّ ضمن مجالسها العلمية .

ويكفي لأدراك مقام زينب الريادي في ميدان المعرفة والعلم أن نتأمّل مارواه الصدوق محمد بن بابويه (طاب ثراه) من أنّه كانت لزينب نيابة خاصّة عن الإمام الحسين (عليه السلام) بعد شهادته ، وكان الناس يرجعون اليها في الحلال والحرام حتى برىء زين العابدين[٢٣] .

كما أنّ شهادة الإمام زين العابدين في حقّها لم تكن جزافاً ولا مبالغة وهو الإمام المعصوم حيث قال لها : « أنت بحمد الله عالمة غير معلّمة وفهمة غير مفهّمة »[٢٤] .

---

(٢٢) ـ (تراجم النساء) ابن عساكر (ص ١١٩) .
(٢٣) ـ (زينب الكبرى) النقدي (ص ٣٥) .
(٢٤) ـ المصدر السابق (ص ٣٤) .

في محراب العبادة

عبادة الخالق والقرب منه هي المرتكز والمحور في الشخصية الإيمانية ، بل هي مقياس الأنسانية والتحرّر في شخصية الأنسان ، فالبديل عن التعبد لله والخضوع له هو العبودية للشهوات وللمصالح المادية الزائلة .

إنّ التعبّد لله يعني انسجام الأنسان مع فطرته النّقيّة ، واستجابته لنداء عقله الصادق بأنّ للحياة خالقاً يمسك بأزمتها واليه مصيرها .

والتعبّد لله هو النبع الذي يروي منه الأنسان ظمأه الروحي ، ويتزوّد من دفقاته بدوافع الخير ونوازع الصلاح .

فكلّما أقبل الأنسان على ربّه ، وأخلص في عبادته ، تجلّت انسانيته أكثر وتجسّدت القيم الخيّرة في شخصيته .

ففي الحديث القدسي الذي ينقله الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) عن الله (سبحانه) أنّه قال : .

« لايزال عبدي يتقرّب اليّ بالنوافل حتى أحبّه فأكون أنا سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به ، وقلبه الذي يعقل به ، فاذا

دعاني أجبته ، واذا سألني أعطيته »[٢٥] .

والسيدة زينب وهي العالمة بالله و﴿إنَّما يَخْشَى اللهَ منْ عبَاده العُلَمَاءُ﴾[٢٦] وهي الناشئة في أجواء الإيمان والعبادة والتقوى كانت قمة سامقة في عبادتها وخضوعها للخالق (عزّوجل) .

كانت ثانية أمها الزهراء في العبادة . وكانت تؤدي نوافل الليل كاملة في كل أوقاتها حتى أنّ الحسين (عليه السلام) عندما ودّع عياله الوداع الأخير يوم عاشوراء قال لها : « يأأختاه لا تنسيني في نافلة الليل » . كما ذكر ذلك البيرجندي ، وهو مدوّن في كتب السّير[٢٧] .

وعن عبادة السيدة زينب ليلة الحادي عشر من المحرم يقول الشيخ محمد جواد مغنية : وأيّ شيء أدلّ على هذه الحقيقة من قيامها بين يدي الله للصلاة ليلة الحادي عشر من المحرم ، ورجالها بلا رؤوس على وجه الأرض تسفي عليهم الرياح ، ومن حولها النساء والأطفال في صياح وبكاء ودهشة وذهول ، وجيش العدو يحيط بها من كل جانب . . . إنّ صلاتها في مثل هذه الساعة تماماً كصلاة جدّها رسول الله في المسجد الحرام ، والمشركون من حوله يرشقونه بالحجارة ، ويطرحون عليه رحم شاة ، وهو ساجد لله (عزّ وعلا) ، وكصلاة أبيها أمير المؤمنين في قلب المعركة بصفين ، وصلاة أخيها سيد الشهداء يوم العاشر والسهام تنهال عليه كالسيل .

ولا تأخذك الدهشة ـ أيها القارىء الكريم ـ اذا قلت : انّ صلاة السيدة زينب ليلة الحادي عشر من المحرم كانت شكراً لله على ما أنعم ، وانّها كانت تنظر الى تلك الأحداث على أنّها نعمة خصّ الله بها أهل بيت النبوة من دون الناس أجمعين ، وانّه لولاها لما كانت لهم هذه المنازل والمراتب عندالله والناس[٢٨] .

---

(٢٥) ـ (ميزان الحكمة) الري شهري ج ٨ ص ١١١) .

(٢٦) ـ سورة فاطر (٢٨) .

(٢٧) ـ (أدب الطف) جواد شبّر (ج ١ ص ٢٤٢) .

(٢٨) ـ (مع بطلة كربلاء) مغنية (ص ٤٢) .

وروي عن ابنة أخيها فاطمة بنت الحسين قولها : « وأما عمّتي زينب فإنّها لم تزل قائمة في تلك الليلة في محرابها تستغيث الى ربّها فما هدأت لنا عين ولا سكنت لنا رنّة »(٢٩) .

أمّا كيف كانت تتخاطب السيدة زينب مع ربّها ؟ وبماذا كانت تناجيه ؟ فإنّ المصادر التاريخية قد احتفظت لنا ببعض القطع والفقرات من أدعيتها ومناجاتها نذكر منها مايلي :

« ياعماد من لا عماد له ، وياذخر من لا ذخر له ، وياسند من لا سند له ، وياحرز الضعفاء ، وياكنز الفقراء ، وياسميع الدعاء ، ويامجيب دعوة المضطرين ، وياكاشف السوء ، وياعظيم الرجاء ، ويامنجي الغرقى ، ويامنقذ الهلكى ، يامحسن، يا مجمل، يا منعم، يا متفضّل، أنت الذي سجد لك سواد الليل ، وضوء النهار ، وشعاع الشمس ، وحفيف الشجر ، ودويّ الماء ، ياألله ياألله الذي لم يكن قبله قبل ، ولا بعده بعد ، ولا نهاية له ، ولا حدّ ولا كفؤ ولا ندّ ، بحرمة اسمك الذي في الآدميين معناه المرتدي بالكبرياء والنور والعظمة ، محقق الحقائق ، ومبطل الشرك والبوائق ، وبالأسم الذي تدوم به الحياة الدائمة الأزلية ، التي لا موت معها ولا فناء ، وبالروح المقدسة الكريمة ، وبالسمع الحاضر والنظر النافذ ، وتاج الوقار ، وخاتم النبوة ، وتوثيق العهد ، ودار الحيوان ، وقصور الجمال ، وياالله لا شريك له »(٣٠) .

ومن الأدعية والتسبيحات التي كانت تواظب على قراءتها هو : .

« سبحان من لبس العزّ وتردّى به ، سبحان من تعطف بالمجد والكرم ، سبحان من لا ينبغي التسبيح الاّ له (جلّ جلاله) ، سبحان من أحصى كلّ شيء عدداً بعلمه وخلقه وقدرته ، سبحان ذي العزّة والنعم ، اللهم ، إني اسألك بمعاقد العزّ من عرشك ، ومنتهى الرحمة من كتابك ، وباسمك الأعظم ، وجدّك

---

(٢٩) - زينب الكبرى) النقدي (ص ٦٢) .

(٣٠) - (عقيلة الطهر والكرم) (موسى محمد علي) (ص ٧٠) .

الأعلى ، وكلماتك التامات التي تمّت صدقاً وعدلاً ، أن تصلي على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين ، وأن تجمع لي خيري الدنيا والآخرة ، بعد عمر طويل ، اللهمّ أنت الحيّ القيوم ، أنت هديتني ، وأنت تطعمني وتسقيني ، وأنت تميتني برحمتك ياأرحم الراحمين[٣١] .

ومن أدعية أبيها التي كانت تدعو بها بعد صلاة العشاء :

« اللهمّ أني اسألك ياعالم الأمور الخفية ، ويامن الأرض بعزّته مدحيّة ، ويامن الشمس والقمر بنور جلاله مشرقة مضيئة ، ويامقبلاً على كل نفس مؤمنة زكية ، ويامسكّن رعب الخائفين وأهل التقيّة ، يامن حوائج الخلق عنده مقضية ، يامن ليس له بواب ينادى ، ولا صاحب يغشى ، ولا وزير يؤتى ، ولا غير ربّ يدعى ، يامن لا يزداد على الإلحاح الاّ كرماً وجوداً ، صلّ على محمد وآل محمد واعطني سؤلي انك على كل شيء قدير »[٣٢] .

---

(٣١) - (عقيلة بني هاشم) علي الهاشمي (ص ١٥) .
(٣٢) - المصدر السابق (ص ١٦) .

صبر وشجاعة

معروف أنّ المرأة تمتاز برقّة المشاعر ، وشفّافية العواطف ، ممّا يساعدها على القيام بدور الأمومة الحانية ، لذلك يكون تأثيرها العاطفي أسرع وأعمق من الرجل غالباً .

واذا كانت تلك الحالة تمثّل الأستعداد الأوّلي في نفس المرأة فلا يعني ذلك انّها تأسر المرأة وتقعد بها عن درجات الصمود والصبر العالية .

فبإمكان المرأة حينما تمتلك قوة الأرادة ونفاذ الوعي وسمّو الهدف أن تضرب أروع الأمثلة في الصبر والشجاعة أمام المواقف الصعبة القاسية .

وهذا ما أثبتته السيدة زينب في مواجهتها للآلام والأحداث العنيفة التي صدمتها في باكر حياتها وكانت هي الختام لسنوات عمرها .

لقد ابدت السيدة زينب تجلداً وصبراً قياسياً في واقعة كربلاء وما أعقبها من مصائب .

والاّ فكيف استطاعت أن تنظر الى أخيها الحسين ممزّق الأشلاء يسبح في بركة من الدماء ، وحوله بقيّة رجالات وشباب أسرتها من أخوتها وأبناء اخوتها وأبناء

عمومتها وأبنائها ، ثم تحتفظ بكامل السيطرة على أعصابها وعواطفها ، لتقول كلمة لا يقولها الأنسان الاّ في حالة التّأنّي والثّبات والأطمئنان ، وهي قولها : .

« اللهمّ تقبّل منا هذا القليل من القربان »[٣٣] .

وأكثر من ذلك فهي تصبّر ابن أخيها الإمام زين العابدين حينما رآته مضطرباً بالغ التأثّر عند مروره على جثث القتلى ـ كما مرّ علينا سابقاً ـ .

ويُعبّر الشيخ النقدي عن فظيع مصائب السيدة زينب وعظيم تحمّلها لها بقوله : وبالجملة فإنّ مصائب هذه الحرّة الطاهرة زادت على مصائب أخيها الحسين الشهيد اضعافاً مضاعفة ، فانّها شاركته في جميع مصائبه ، وانفردت عنه (عليها السلام) بالمصائب التي رأتها بعد قتله من النّهب والسلب والضرب وحرق الخيام ، والأسر ، وشماتة الأعداء .

أمّا القتل فانّ الحسين قتل ومضى شهيداً الى روح وريحان ، وجنّة ورضوان ، وكانت زينب في كل لحظة من لحظاتها تقتل قتلاً معنوياً بين أولئك الظالمين ، وتذري دماء القلب من جفونها القريحة[٣٤] .

وأيّ مستوى من الصبر عند السيدة زينب حينما تصف ما رأته من مصائب بأنّه شيء جميل : « والله ما رأيت الاّ جميلاً » رداً على سؤال ابن زياد لها : كيف رأيت صنع الله بأخيك ؟! .

---

(٣٣) ـ (زينب الكبرى) النقدي (ص ٧٥) .

(٣٤) ـ (زينب الكبرى) النقدي (ص ٩٧) .

عفّة ومهابة

عفّة المرأة لا تعني الأنكفاء والأنطواء ، ولا تعني الجمود والأحجام عن تحمّل المسؤولية وممارسة الدورالأجتماعي ، وقد رأينا السيدة زينب وهي تمارس دورها الإجتماعي في أعلى المستويات .

لكن العفّة تعني عدم الابتذال ، وتعني حفاظ المرأة على رزانتها وجدّية شخصيتها أمام الآخرين .

فاذا استلزم الأمر أن تخرج المرأة الى ساحة المعركة فلا تتردّد في ذلك ، واذا كانت هناك مصلحة في التخاطب مع الرجال فلا مانع وهكذا في سائر المجالات النافعة والمفيدة .

أما الأبتذال واستعراض القوام والمفاتن أمام الرجال فهو مناف للعفّة والحشمة .

وبعد أن استقرأنا دور السيدة زينب ومواقفها العلمية والسياسية والإجتماعية فلنتأمل الآن ما يقوله أحد المعاصرين لها والمجاورين لمنزلها برهة من الزمن ، ليتّضح لنا معنى العفّة والأحتشام عند السيدة زينب .

حدّث يحيى المازني قال : كنت في جوار أمير المؤمنين في المدينة مدة مديدة

وبالقرب من البيت الذي تسكنه زينب ابنته فلا والله ما رايت لها شخصاً ولا سمعت لها صوتاً[٣٥] .

(٣٥) ـ (المصدر السابق) (ص ٢٢) .

زهد وعطاء

كانت زينب تعيش في كنف زوجها عبدالله بن جعفر في المدينة ، وهو رجل موسر غني ، وباذل كريم ـ كما سبق الحديث عنه ـ لكن حياة الراحة والرفاه حيث البيت الواسع والخدم والحشم ، والمال والثروة ، لم تتمكّن من قلب السيدة زينب ، فتخلّت عن كلّ تلك الأجواء المريحة ، واختارت السفر مع أخيها الحسين حيث المصاعب والمشاق والآلام المتوقعة لم يكن قلب زينب متعلقاً بشيء من متاع الدنيا ، بل كانت نفسها منشدّة الى آفاق السّموّ والرفعة .

ورُوي عن الإمام زين العابدين أنّه قال عنها : « انّها ما ادّخرت شيئاً من يومها لغدها أبداً »[36] .

ونُقل عنها أنّها كانت أثناء سفر الأسر الى الشام كانت تتنازل في غالب الإيّام عن حصّتها من الطعام لصالح الأطفال الجائعين والجائعات من الأسارى وتطوي يومها جائعة ، حتى أنّ الجوع كان يقعد بها عن التمكّن من أداء صلاة الليل قياماً فتؤدّيها وهي جالسة[37] .

وقد مرّ علينا سابقاً أنّها حينما رجعت الى المدينة مع قافلة السبايا نزعت حلّيها وحليّ أختها لتقدمه هدية للنعمان بن بشير مكافأة له على حسن صحبته ورفقته .

(٣٦) ـ (المصدر السابق) (ص ٦١) .

(٣٧) ـ (المصدر السابق) (ص ٦٣) .

الى الرفيق الأعلى

اذا كان الموت شبحاً مرعباً لـكـلّ انســان . واذا كانت مفارقة الحياة أقسى وأشدّ ما يزعج الأنسان فإنّ الأمر كان مختلفاً لدى السيدة زينب . . فالموت بالنسبة لها كان يعني لقاء الله والأقتراب أكثر من رحمته .

والموت عند السيدة زينب قنطرة ومعبر الى جنّة الله العريضة الواسعة ونعيمه السرمدي الخالد .

وكانت ترى في الموت وسيلة نقل سريعة توصلها الى رحاب أحبّتها السّابقين حيث تلقى جدّها النبي وأمّها الزهراء وأباها المرتضى وأخويها العزيزين .

لقد طال فراقها لجدّها المصطفى وأمّها البتول ، فامتلأت نفسها شوقاً الى لقائهما لكنّ ستار الحياة يفصل بينها وبينهما ، فمتى يماط هذا الستار ليكتحل ناظرها برؤيتهما ؟ .

والموت بعد ذلك أصبح الوسيلة الوحيدة المتاحة للسيدة زينب للإعلان عن احتجاجها ورفضها وسخطها على واقع الألم والضّيم والعناء .

لكنّ الأمر بيد الله فهو وحده يقرّر الآجال وبيده الموت والحياة . . وحينما قدّر الله (تعالى) لها الرّحيل عن دار الدنيا ، استقبلت قضاءه بصدر رحب ، فذلك

ينسجم مع ما يجري في أعماق نفسها من مشاعر وخلجات .

واسلمت الروح لله . . ورجعت نفسها المطمئنّة الى الحقّ راضية مرضية لتدخل جنّة الله بسعادة وهناء ولتلاقي صفوة عباده الأعزّاء محمد وفاطمة وعلي والحسن والحسين .

إنّه لا يمكننا تصوير مدى سعادة السيدة زينب بعروج روحها الى الملكوت الأعلى .

هل نشبّه تلك اللحظات بوصول المسابق الى نهاية شوط السباق ناجحاً منتصراً ؟ فهو وإن كان حين الوصول في غاية التعب والمشقّة لما بذله من جهد ، لكنه فور وصوله سينقلب الى حالة أخرى هي ذروة السعادة ومنتهى الراحة .

نعم . . لقد أكملت السيدة زينب امتحانها بنجاح ، وقطعت شوط الحياة الصّعب باخلاص ويقين ، وطوت ستّة عقود من سنيّ الدنيا في جهاد رسالي متواصل .

واختلف المؤرّخون في تحديد سنة وفاتها ، والأرجح عند كثير من الباحثين أنّها توفيت سنة (٦٢ هـ) الموافق (٦٨٣ م)[1] بينما ذهب آخرون الى أن وفاتها سنة ٦٥ هـ .

ويتّفق المؤرّخون على أنّ وفاتها كانت في الخامس عشر من شهر رجب[2] .

وهكذا انتقلت العقيلة زينب الى الرفيق الأعلى . . وبقي ذكرها خالداً ينير للبشرية طريق الكرامة والمجد .

---

(١) ـ (زينب الكبرى) النقدي (ص ١٢٢) .
(السيدة زينب) بنت الشاطىء (ص ١٥٥) .
(٢) ـ المصدران السابقان.
(مع بطلة كربلاء) مغنيه (ص٩٠).

مقامات شامخة

من اشراقات عظمة السيدة زينب أن تتنافس البقاع والبلدان على ادّعاء شرف احتضان مرقدها ومثواها . ففي أكثر من بلد تقام الأضرحة وتشمخ القباب والمنائر بإسم السيدة زينب .

لقد اختلف المؤرخون في مكان وفاة السيدة زينب ومحلّ قبرها ، وشاء الله (تعالى) أن يكون ذلك سبباً لأظهار عظمتها وابراز شأنها ومجدها .

ونتحدّث في السّطور التّالية عن أبرز المقامات المشادة باسم السيدة زينب (عليها السلام) .

في دمشق الشام

تشير بعض الروايات الى أنّ عبدالله بن جعفر رحل عن المدينة وأنتقل مع السيدة زينب زوجته الى ضيعة كان يمتلكها قرب دمشق في قرية يقال لها « راوية » وقد توفيت السيدة زينب في هذه القرية ودفنت في المرقد المعروف بإسمها .

وتختلف الروايات في سبب هجرة عبدالله بن جعفر الى هذه القرية وفي تاريخ تلك الهجرة ووفاة السيدة زينب ، لكنّ العديد من المؤلّفين ذكروا أنّ ذلك بسبب

مجاعة حصلت في المدينة وإنّ ذلك كان في سنة (٦٥ هـ) وبعضهم قال إنّ ذلك في سنة (٦٢ هـ) .

يقول العلامة الشيخ فرج العمران ـ خلال بحث له عن الموضوع ـ : فالأرجح عندي أنّها (عليها السلام) توفيت في الشام في النصف من شهر رجب من العام الخامس والستين من الهجرة وهو عام المجاعة ، وذلك بمحضر زوجها الجواد عبدالله بن جعفر ، ودفنت في احدى قراه المعروفة براوية من غوطة دمشق المشتهرة الآن بقرية الست[٣] .

ويقع مقام السيدة زينب في الجهة الشرقية الجنوبية على بعد سبعة كيلو مترات من دمشق ، وقد أصبحت المنطقة تعرف كلّها باسم « السيدة زينب » .

وتبلغ مساحة المقام وملحقاته حوالي الـ(١٥٠٠٠متر مربع) ، ويتّسع لخمسة آلاف شخص .

وقد زار هذا المشهد الرحّالة الشهير ابن جبير المتوفى سنة (٦١٤ هـ) ، وقال عنه في رحلته المعروفة عند ذكر المزارات الشّامية : « ومن مشاهد أهل البيت مشهد أمّ كلثوم بنت علي ويقال لها زينب الصغرى وأمّ كلثوم كنية أوقعها عليها النبي لشبهها بابنته أمّ كلثوم ومشهدها الكريم قبلي البلد يعرف براوية على مقدار فرسخ وعليه مسجد كبير وخارجه أوقاف وأهل هذه الجهات يعرفونه بقبر الستّ ومشينا اليه وبتنا به وتبّركنا برؤيته[٤] .

كما زار هذا المشهد الرحّالة ابن بطوطة المتوفى (٧٧٠ هـ) ، وقال عند ذكر مزارات دمشق : بقرية القبلي وعلى فرسخ منها مشهد أمّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب من فاطمة ، ويقال أنّ اسمها زينب وكنّاها رسول الله لشبهها بخالتها أم كلثوم بنت رسول الله وعليه مسجد كبير وله مساكن وله أوقاف ويسمّيه أهل دمشق

---

(٣) - (وفاة زينب الكبرى) الشيخ فرج العمران (ص ٦٥) .

(٤) - (مرقد العقيلة زينب) محمد حسنين السّابقي (ص ١٠٩) ، نقلاً عن رحلة ابن جبير (ص ٢٦٩) .

قبر الستّ أمّ كلثوم[٥] .

وذكر هذا المشهد الباحث الدمشقي عثمان بن أحمد السويدي الحوراني المتوفى سنة (٩٧٠ هـ ـ أو ١٠٠٣ هـ) في كتابه :

(الأشارات الى أماكن الزيارات) قال : ومنها قرية يقال لها « راوية » بها السيدة زينب أمّ كلثوم ابنة علي بن أبي طالب توفّيت بغوطة دمشق عقيب محنة أخيها الحسين ، ودفنت في هذه القرية ثم سمّيت القرية باسمها وهي الآن معروفة بـ « قبر الست »[٦] .

وقال العلامة السيد محسن الأمين العاملي : يوجد في قرية تسمّى « راوية » على نحو فرسخ من دمشق الى جهة الشرق قبر ومشهد يسمّى « قبر الست » ووجد على هذا القبر صخرة رأيتها وقرأتها كتب عليها : هذا قبر السيدة زينب المكنّاة بأمّ كلثوم بنت سيّدنا علي (رضي الله عنه) وليس فيها تاريخ وصورة خطّها تدلّ على أنّها كتبت بعد الستمائة من الهجرة »[٧] .

وإن كان السيد الأمين يرجّح أنّ القبر لزينب الصغرى أخت السيدة زينب الكبرى .

وورد أنّ السيدة نفيسة صاحبة المقام المعروف في القاهرة بنت حسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن بن علي بن أبي طالب قد زارت هذا المشهد في قرية « راوية » سنة ١٩٣ هـ)[٨] .

وقرب سنة (٥٠٠ هـ) شيّد رجل قرقوبي من أهل حلب بمشهدها جامعاً كبيراً من أشهر جوامع دمشق[٩] .

---

(٥) ـ المصدر السابق (ص ١١٠) عن (رحلة ابن بطوطة) (ج ١ ص ٦١) .

(٦) ـ المصدر السابق ، نقلاً عن (الأشارات) (ص ١٨) طبع دمشق : (١٣٠٢ هـ) .

(٧) ـ (أعيان الشيعة) محسن الأمين (ج ٧ ص ١٣٦) .

(٨) ـ (مرقد العقيلة زينب) السابقي (ص ١٤١)ث.

(٩) ـ المصدر السابق .

وزار هذا المشهد الرحّالة أبو بكر الهروي المتوفّى (٦١١ هـ) وذكره في كتابه المعروف بـ (الأشارات الى معرفة الزيارات)[١٠] .

وفي سنة (٧٦٨ هـ) أوقف على هذا المشهد ـ باعتباره مرقداً للسيدة زينب الكبرى ـ نقيب الأشراف السيد حسين الموسوي من كبار أعلام دمشق في زمانه جميع ما كان يملكه من البساتين والأراضي وكتب صكاً طويلاً عليه شهادات سبعة من قضاة دمشق الكبار في زمانهم ، ونسخة هذا الصك محفوظة عند سدنة المقام ومذكور نصّه في بعض المؤلّفات[١١] .

وقد جدّد السيد حسين الموسوي عمارة هذا المشهد سنة (٧٦٨ هـ) وفي سنة (١٣٠٢هـ) جدّد القبّة الكريمة السلطان عبد العزيز خان العثماني باعانة التجار والأثرياء . وفي سنة (١٣٥٤ هـ) أنشأ سادة آل نظام غرفاً كثيرة حول المقام لاراحة الزائرين وجدّدوا المدخل الشريف بنفقتهم .

وفي سنة (١٣٧٠ هـ) شكّل الإمام السيد محسن الأمين العاملي لجنة من خيار التجار وأهل الثروة لتعمير الحرم والصّحن والأروقة برئاسته (رحمه الله)[١٢] .

وكان للحاج محمد مهدي البهبهاني (رحمه الله) دور أساسي في هذه العمارة والتجديد .

وفي سنة (١٣٧٠ هـ) أهدى التّاجر الباكستاني محمد علي حبيب مؤسّس المصرف المعروف باسمه « حبيب بنك » أهدى قفصاً ثميناً وزنه اثنا عشر طناً لينصب على قبرها لأنّ الله قد شفا ولده الوحيد من الشّلل بعد أن عجز عنه الأطبّاء ببركة السيدة زينب ، وقد نصب هذا القفص الفضّي المذهّب المحلّى بالجواهر الكريمة النّادرة في احتفال رسمي وشعبي .

---

(١٠) ـ المصدر السابق .

(١١) ـ المصدر السابق (ص ١٤٥) .

(١٢) ـ المصدر السابق (ص ٢٢٧) .

وأرّخه الخطيب الشيخ علي البازي النجّفي بقوله :

هـذا ضريـح زينب قف عنـده ... واستغـفـر الله لكـلّ مـذنـب
تـرى الملا طـراً وأمـلاك السـما ... ارخ « وقوفاً في ضريح زينب »

(١٣٧٠ هـ)[١٣] .

وفي سنة (١٣٧٣ هـ) أهدى جماعة من التّجار الأيرانيين صندوقاً ثميناً من أروع أمثلة الصناعة الأيرانية المعروفة ، ومن صنع الفنان الأيراني الحاج محمد سميع ، والذي بقي في صنع هذا الصندوق ثلاثين شهراً ، وقدّر ثمنه بمآءتي ألف ليرة سورية آنذاك ، وعليه غطاء من البلّور أحضرته بعثة ايرانية برئاسة ضابط ايراني كبير ، وأقيم يوم وصوله ونصبه على قبر السيدة زينب احتفال مهيب ترأسه السيد صبري العسلي رئيس وزارة سوريا .

وارّخه الشاعر النجفي السيد محمد الحلي بقوله :

صـنـدوق زينـب قـد بـدت ... لـلفـنّ فـيـه عـلائـم
صـنـعتـه أيـدي المخلصـين ... فـحـار فـيـه الـعـالم
حـيـث احـتـوى جـثـمانها ... ارّخت راق الخـاتـم

(١٣٧٣ هـ)[١٤]

وأهدى بعض تجار ايران سنة (١٣٨٠ هـ) لمشهدها باباً ذهبياً رائعاً[١٥] .

وللمقام مئذنتان شامختان بارتفاع (٥٤ متراً) .

وفي عام (١٣٨٠ هـ) أهدي للحرم باب ذهبي للمدخل الغربي وبابان مذّهبان بالميناء للمدخل الشمالي والقبلي كما تمّ في هذا العام (١٤١٣ هـ) اكساء قبّة المقام من الخارج بالذهب .

---

(١٤) ـ (مرقد العقيلة) السابقي (ص ٢٣١) .
(١٥) ـ االمصدر االسابق .
(١٣) ـ (أدب الطف) جـواد شبر (ج ١ ص ٢٥١) .

المشهد الزينبي في القاهرة

بناءً على الرواية التي تقول بأنّ السيدة زينب حينما غادرت المدينة المنورة بضغط من والي المدينة الأموي عمرو بن سعيد الأشدق فإنّها توجّهت الى مصر واستقبلها الوالي مسلمة بن مخلد وأنزلها داره بالحمراء في القاهرة ، وبعد احدى عشر شهراً وخمسة عشر يوماً توفيت في (١٥ ـ رجب ـ سنة ٦٢ هـ) ، وصلّى عليها الوالي مسلمة بن مخلد ، ودفنها بمخدعها من الدار حسب وصيتها(١٦) .

وعلى هذا يقع ضريح السيدة زينب في الجهة البحرية من دار مسلمة بن مخلد الأنصاري ، وبمرور السنين والعهود على هذه الدار اندثر جزء كبير منها الاّ ما كان من الضريح الطّاهر فإنّه كان معظماً مقصوداً بالزيارة ، وموضع تبجيل وأحترام الخاصّة والعامّة من الناس ، الذين كانوا يتعاهدونه بالتعمير والأصلاح ، ويتناوب على خدمة هذا المشهد أناس أنقطعوا لهذا العمل ويصرف عليهم من وجوه الخير ومن ريع الأعيان والممتلكات التي أوقفت على هذا الضّريح الطاهر .

وفي زمن دولة أحمد بن طولون (٢٥٤ ـ ٢٩٣ هـ) (٨٦٨ ـ ٩٠٥ م) أُجري على هذا المشهد الطاهر ما أُجري على المشاهد الأخرى من عمارة وترميم .

---

(١٦) ـ (أخبار الزينبات) الصبيدلي ، مجلة (الموسم) عدد : ٤ .

فلما جاءت الدولة الفاطمية (٣٥٨ ـ ٥٦٧ هـ) (٩٦٩ ـ ١١٧١ م) كان أول من بنى عمارة جليلة عظيمة على هذا المشهد من خلفاء الفاطميين ، أبو تميم معد نزار بن المعز ، وذلك في سنة (٣٦٩ هـ) .

وقد ذكر الرحّالة الأديب ، أبو عبدالله الكوهيني الفاسي الأندلسي ، انّه دخل القاهرة في (١٤ ـ محرم ـ ٣٦٩ هـ) وأنّه دخل مشهد السيدة زينب بنت علي ، فوجده داخل دار كبيرة وهو في طرفها البحري ، يشرف على الخليج ، قال : وعاينّا الضّريح ، وشممنا منه رائحة طيّبة ، ورأينا بأعلاه قبّة من الجصّ ، وفي صدر الحجرة ثلاثة محاريب ، وعلى كل ذلك نقوش في غاية الأتقان ، وعلى باب الحجرة مكتوب :

« هذا ما أمر به عبدالله ووليه أبو تميم أمير المؤمنين . . . أمر بعمارة هذا المشهد على مقام السيدة الطاهرة بنت البتول زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب (صلوات الله تعالى عليها وعلى آبائها الطاهرين وأبنائها المكرّمين) .

وفي أيام الحاكم بأمر الله أوقف على المشهد الزينبي عدّة ضياع وأسواق ومحال تجارية ليصرف ريعها على خدمات المشهد .

وفي القرن السادس الهجري أيّام الملك سيف الدين أبي بكر بن أيوب أجرى الشريف فخرالدين ثعلب الجعفري أمير القاهرة ونقيب الأشراف الزينبيين بها عمارة واصلاحاً على هذا المشهد .

واهتّم الأمير علي باشا الوزير والي مصر من قبل السلطان سليمان خان بن السلطان سليم الفاتح بتعمير المشهد وتشييده وجعل له مسجداً يتّصل به وذلك في سنة (٩٥٦ هـ) .

وفي سنة (١١٧٤ هـ) أعاد الأمير عبدالرحمن كتخدا القازدوغلي بناء المسجد وتشييد أركانه وأنشأ به ساقية وحوضاً للطهارة والوضوء ، وبنى مقام السيد محمد العتريس المتوفّى أواخر القرن السابع والذي كان ملازماً لخدمة المشهد الزينبي .

وفي سنة (١٢١٠ هـ) جدّدت المقصورة الشريفة التي تحيط بالتابوت الطاهر

المقام فوق القبر ، وصنعت من النحاس الأصفر ، ووضع فوق بابها لوحة نحاسية كتب عليها .

« ياسيدة زينب يابنت فاطمة الزهراء مددكِ ١٢١٠ هـ ». وما زالت اللوحة على الضّريح الشريف حتى اليوم .

وحدث في سنة (١٢١٢ هـ) أن تصدّعت جدران المسجد ، فانتدبت حكومة المماليك ، عثمان بك المرادي لتجديده واعادة بنائه ، الاّ انّ العمل توقف بسبب الحملة الفرنسية على مصر ، وبعدها استؤنف العمل الاّ أنّه لم يتمّ فأكمله بعد ذلك يوسف باشا الوزير سنة (١٢١٦ هـ) وأرّخ ذلك بأبيات من الشعر خطّت على لوح من الرخام نصّها :

نور بنت النبي زينب يعلو ... مسجداً فيه قبرها والمزار
قد بناه الوزير صدر المعالي ... يوسف وهو للعلى مختار
زاد اجلاله كما قلت وأرّخ ... مسجد مشرق به أنوار

وبعد ذلك أصبح هذا المشهد محلّ رعاية حكام مصر من أسرة محمد علي ، ففي سنة(١٢٧٠ هـ) شرع الخديوي عباس باشا الأول في اصلاحه ووضع حجر الأساس ولكن الموت عاجله ، فقام الخديوي محمد سعيد باشا في سنة (١٢٧٦ هـ) بأتمام ما بدأه سلفه وكتب على باب المقام الزينبي هذا البيت من الشعر :

يازائريها قفوا بالباب وابتهلوا ... بنت الرسول لهذا القطر مصباح

وفي سنة (١٢٩١ هـ) أمر الخديوي اسماعيل بتحديد الباب المقابل لباب القبّة وجعله من الرخام . . وفي هذه المناسبة قال السيد علي أبو النصر مؤرّخاً تجديد هذا الباب :

مقام به بنت الإمام كأنّما هو الروضة الفيحاء باليمن مونقه
على بابها لاح القبول لزائر ونور الهدى أهدى سناه ورونقه
بأمر الخديوي جدّدته يد العلا فكانت بأسباب الرضا متوثقه
وفي حلية التجديد قلت مؤرّخاً شموس الحلى في باب زينب مشرقه
(١٢٩٤ هـ) .

وفي نفس العام (١٢٩٤ هـ) جدّد الباب المقابل لباب الضريح على الهيئة الموجودة الآن .

أما المسجد القائم حالياً فقد تمّ انشاؤه على مراحل ثلاث . فبني الجزء الأول منه وهو المطلّ على الميدان المعروف باسم ميدان السيدة زينب في عهد الخديوي توفيق سنة (١٣٠٢ هـ) ، وكتب على أبواب القبّة الشريفة التي تضمّ الضريح أبياتاً من الشعر :

قف توسّل بباب بنت علي بخضوع وسل آله السماء
تحظ بالعزّ والقبول وأرّخ باب أخت الحسين باب العلاء

***

رفعوا لزينب بنت طه قبة علياء محكمة البناء مشيدة
نور القبول يقول في تاريخها باب الرضا والعدل باب السيدة

***

باب لبنت المطفى صفوته يدخل من يشاء في رحمته
كماله بزينب أرّخه توفيق باني العزّ في دولته

وظلّ المسجد على تلك الحال حتى تمّت توسعته من الجهة القبلية بمساحة

(١٥٠٠ متر مربع) تقريباً في عهد الملك فاروق الأول وافتتح للصلاة في يوم الجمعة (١٩ - ذي الحجة - ١٣٦٠ هـ = ١٩٤٢ م) .

ولّما رأت حكومة الرئيس جمال عبد الناصر زيادة اقبال الناس على هذا المسجد حتى ضاق عن أن يتّسع للآلاف منهم خاصة في أيام الجمع والأعياد أمرت باجراء توسعة عظيمة بلغت حوالي (٢٥٠٠) متر مربع من الجهة القبلية . . وبذلك اتّصل المسجد الزينبي بمسجد الزعفراني المجاور له ، كما أقيمت به دورة مياه كبيرة للطهارة والوضوء ، ومكتبة ضخمة تضمّ عشرات الآلاف من المجلّدات وألحق بها قاعة فسيحة للمطالعة ، واكتملت هذه التّوسعة سنة (١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م) ، فأصبحت مساحة المشهد الزينبي وملحقاته تزيد على (٧٠٠٠ آلاف متراً متربعاً مربعاً .

أما المئذنة التي تعتبر فريدة في نوعها لما تتحلّى به من نقوش و زخارف عربية جميلة فانّ ارتفاعها يقرب من (٤٥ متراً)[١٧] .

---

(١٧) - علي أحمد الشلبي رئيس مجلس ادارة المسجد الزينبي بالقاهرة في مقاله له في مجلة (الموسم) العدد : ٤) من صفحة ٨٦٥ الى صفحة ٨٨٠) . نقلنا عنه بتصرف واختصار .

في سنجار شمال العراق

سنجار مدينة معروفة في شمال العراق تقع جنوب نصيبين عن يمين الطريق الى الموصل ، اشتهرت بكونها مدينة الطرق والقوافل منذ القديم لأنّها سيطرت على الطريق بين العراق وسورية ، وتقع فيها جبال سنجار التي يبلغ ارتفاعها نحو (٤٨٠٠ قدم) .

واشتهر في سنجار الكثير من المراقد والأضرحة المنسوبة لآل البيت والتي عمّرها الفاطميون والبويهيون والحمدانيون والعقيليون .

وتخضع هذه المقامات الآن لنفوذ اليزيديين ، وهؤلاء لهم ديانة معروفة خاصّة بهم لكنهم يعظّمون ويحترمون هذه المقامات وأصحابها .

ومن تلك المشاهد المرقد المنسوب للسيدة زينب الكبرى بنت علي على أساس أنّها توفيت في هذه المنطقة عند مرور السبايا بعد واقعة الطف .

ويقع الضريح المنسوب للسيدة زينب على ربوة عالية في مدخل المدينة . وهو فناء واسع ، وفيه غرفة مستطيلة الشكل في وسطها القبر المشيد من الحجر والجصّ ، وفي الغرفة محراب صغير ، وتغطّيها قبة مظهرها الخارجي مضلّع مخروطي الشّكل .

وتدلّ الكلمات المنقوشة على مدخل الرواق الى يسار غرفة القبر على أنّ هذا

البناء من قبل الملك الرحيم بدرالدين لؤلؤ أيّام ملكه لبلاد سنجر ٦٣٧ - ٦٥٧ هـ ، ١٢٣٩ - ١٢٥٩ م) ، وتاريخ البناء الأصلي هو سنة (٦٤٤ هـ) .

وعند زحف التّتار واستيلائهم على سنجار سنة (٦٦٠ هـ) « أصابه الخراب ، لكنّه جدّد فيما بعد ومن قبل نائب التّتر وهو من العجم يقال قوام الدين محمد اليزدي .

وجدّد مرة أخرى كما يتّضح من نصٍ مكتوب على لوحة رخامية موجودة على جدار غرفة الضّريح من خارج البناء تقول : « جدّد مزار السّت زينب بنت علي العبد الفقير سيدي باشا بن خداد .. ثمان عشر شهر ربيع الآخر سنة ١١٠٥ هـ) .

وتعلو المشهد قبّتان احداهما نصف كروية تغطّي غرفة من غرف الضّريح المتعددّة ، والقبّة محارية الشكل . أمّا القبّة الثانية فهي قبة غرفة الضريح وتبدو من الخارج مضلّعة مخروطية الشّكل .

وفي المشهد عدّة محاريب تعلوها كتابات لآيات قرآنية[١٨] .

---

(١٨) - بحث الدكتور حسن كامل شميساني في مجلة (الموسم) العدد : ٤) (ص ٩٢٤) ، نقلنا عنه باختصار وتصرف .

شيئاً من التّحقيق

لقد بذل العديد من العلماء والباحثين جهودهم ، وخاضوا غمار البحث والتّحقيق ، لمحاكمة الروايات والنّقول التّاريخية حول قبر السيدة زينب الكبرى .

واذا كان المقام المنسوب لها في سنجار شمال العراق لا تسنده رواية تاريخية فيما يتوفّر من مصادر الاّ ما يتداول ويتوارث على ألسنة أهالي تلك المنطقة فإنّ الآراء التي ناقشها العلماء والباحثون تنحصر في ثلاثة احتمالات :

١ ـ المدينة المنورة .

٢ ـ مصر .

٣ ـ دمشق .

أولاً ـ المدينة المنورة

دافع العلاّمة السيد محسن الأمين العاملي عن هذا الرأي باعتبار أنّ المدينة هي موطن السيدة زينب وأنّ من الثابت عودتها الى المدينة بعد واقعة كربلاء ، فاستصحاباً نحكم بأنّ وفاتها وقبرها في المدينة المنورة ما لم يثبت العكس ، وقال ما نصّه :

يجب ان يكون قبرها في المدينة المنورة فانه لم يثبت أنّها بعد رجوعها للمدينة

خرجت منها ، وان كان تاريخ وفاتها ومحلّ قبرها بالمدينة مجهولين ، ويجب أن يكون قبرها بالبقيع وكم من أهل البيت أمثالها من جهل محلّ قبره وتاريخ وفاته خصوصاً النساء[19] .

وناقش هذا القول البحّاثة الشيخ محمد حسنين السابقي بما يلي : نحن لا ننكر أن يكون مدفنها الطاهر في البقيع في المدينة المنورة إذ هي وطنها الكريم وبها قبور اخوتها وشيوخ قومها وجدّها وأمّها ولكن بشرط أن يقوم عليه دليل قاطع أو نص تاريخي .

لأنّ قبور البقيع ذكرها المؤرّخون قديماً وحديثاً يذكرها ابن النجار في (تاريخه) ، والسمهودي في تاريخه الحافل (وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى) في باب مخصوص لذكر مزارات أهل البيت والصحابة ولا نجد فيها قبر العقيلة زينب لا في القبور المعمورة ولا المطموسة .

ولكان لمرقدها ذكر ولو في القرون الأولى كما بقي لمن دونها في الرتبة من بني هاشم بل ولمن يمتّ اليهم بالولاء أيضاً .

على أنّ الذين ذهبوا الى هذا القول انّما مستندهم الأستصحاب الأصولي وهو أنّه ثبت أنّ العقيلة زينب دخلت المدينة بعد محنة أخيها ورجوعها من الشام وكانت بالمدينة في قيد الحياة ثم شكّكنا هل ماتت في الشام أم لا ؟ فالاستصحاب يقول : الأصل عدم موتها بالشام بل بالمدينة حتى يحصل لنا شيء يزيل هذا الشكّ ويثبت لنا باليقين أنّها ماتت بالشام .

وهذا الدليل لاغبار عليه في نفسه ولكن لا يستدلّ بمثله في القضايا التاريخية ، ولوقلنا به فثبت ما أزال هذا الشكّ بما رواه ابن طولون الدمشقي من ذهابها الى الشام وموتها بها وعليه أكثر الفقهاء المجتهدين الأصوليين .[20]

---

(١٩) ـ(أعيان الشيعة) محسن الأمين (ج ٧ ص ١٤٠) .

(٢٠) ـ (مرقد العقيلة زينب) السابقي (ص ١٠٢) .

ثانياً :ـ بين القاهرة ودمشق

واذا لم يكن هناك أثر نقلي يتحدّث عن قبر للسيدة زينب الكبرى في المدينة المنورة ولا يوجد مقام ظاهر ينسب لها هناك ، فإنّ الأمر ليس كذلك فيما يرتبط بمصر والشام ، حيث توجد روايات ونصوص تاريخية يستدلّ بها أنصار كلّ من الرأيين ، كما يتعالى في سماء القاهرة ودمشق مقامان شامخان ينسبان للسيدة زينب ، وتؤمّهما جماهير المؤمنين ويقصدهما الزائرون .

لكنّ المطالعة الدقيقة والبحث الموضوعي في أدلّة الطرفين يرجّح كفّة الأطمئنان الى أنّ مشهد الراوية في دمشق هو الأقرب الى الصحّة والواقع .

وذلك لتظافر الأدّلة في كتب المؤرخين والرحّالة والسّائحين منذ القرون السابقة والى الآن .

ولضعف مستند القائلين بسفر السيدة زينب الكبرى الى مصر وموتها فيها ، وللاحتمال الكبير في أن يكون المقام في مصر لزينب أخرى من أهل البيت .

وقد أفرد بعض العلماء كتباً ورسائل لتحقيق هذا الموضوع ، ومن أبرزهم العلامة المرحوم الشيخ فرج العمران القطيفي (١٣٢١ هـ) والذي ألّف رسالة تحت عنوان (المرقد الزينبي) سنة (١٣٧٧ هـ) وطبعها في النجف الأشرف ـ العراق) وكانت نتيجة البحث التي انتهى اليها في رسالته هو ترجيح المقام الزينبي في دمشق ، وانّه للسيدة زينب الكبرى .

والبحث الآخر والأعمق هو للبحّاثة الباكستاني الشيخ محمد حسنين السّابقي ، ويقع في أكثر من (٢٤٠ صفحة) وقد طبع في بيروت سنة (١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م) .

ونقتبس منه الفقرات التالية بشيء من التصرّف والاختصار إنّ رحلة السيدة العقيلة الى مصر واقامتها هناك وتلبيتها لداعي حماها وحديث مدفنها بها قضية من أهمّ القضايا التي لا يفوت ذكرها كلّ مؤرخ يقظان .

ولا أقلّ من أن يذكره المؤرّخون الذين نشأوا في مصر خان ولكنهم بأجمعهم لم

يشيروا اليه أدنى اشارة .

وتتجلّى هذه الحقيقة بعدما نرى اهتمام المصريين باحاطة الأخبار وضبط الحوادث المتعلّقة ببلادهم .

فأوّل مدوّن لتاريخ مصر في الإسلام هو عبدالرحمن بن عبد الحكم المصري المتوفّى (٢٥٧هـ) له في تاريخ مصر كتاب حافل سمّاه «منهج السالك في أخبار مصر والقرى والممالك » ذكر فيه تراجم كثير من الصحابة ممّن دخل مصر .

وتبعه أبو عمرو محمد بن يوسف الكندي المتوفّى (٣٥٤ هـ) وله عدة تأليفات في تاريخ مصر .

ثم برع في تدوين أخبار مصر والأحاطة بحوادثها أبو محمد حسن بن إبراهيم ابن ذولاق الليثي المصري المتوفى (٣٨٧ هـ) .

ثم تلاه في هذا الموضوع عزّ الملك محمد بن عبدالله بن احمد الحراني المسبحي المتوفّى سنة (٤٢٠هـ).

ثم المؤرّخ المتتبّع القاضي أبو عبدالله محمد بن سلامة القضاعي الشّافعي المتوفى (٤٥٣ هـ) ولم يقصر همّه على ضبط الحوادث التاريخية فقط بل ألفّ في المزارات المقصودة للزيارة والتبرك التي تشدّ اليها الرحال وله في هذا الموضوع كتاب (أُنس الزائرين) ترجم فيه للسيدة نفيسة وعيّن مدفنها وليس فيه لقبر زينب الكبرى عين ولا أثر .

ثم اعطف الى المقريزي والسيوطي والقلقشندي وغيرهم لم نجد أحداً من هؤلاء أنّه ذكر دخول السيدة زينب الكبرى في مصر ومدفنها بها .

على أنّ هناك جماعة من مؤرّخي مصر ممّن أفرد تأليفه في تحقيق المزارات والقبور والمساجد كابن يونس والهتناني والقرشي صاحب (المزارات المصرية) وابن سعد النسّابة صاحب (مزارات الأشراف) وابن عطايا والحموي الذي ذكر جملة من مزارات مصر ، وموفق الدين صاحب مرشد الزوّار) ترى هؤلاء الإعلام يترجمون أصحاب القبور ويميزون بين المزارات الصحيحة والمزورة من العلويين وغيرهم في مصر .

ولم يذكر أحد من هؤلاء أنّ العقيلة زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين مدفونة في مصر[٢١] .

إنّ كبار المؤرّخين المطّلعين على تاريخ مصر بدقّة وتحقيق لم يصحّ لديهم دخول أيّ ولد لأمير المؤمنين لصلبه في مصر .

قال الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي المتوفى (٥٧٦هـ) : ـ لم يمت له ـ أي لعلي ـ ولد لصلبه في مصر .

وقال الحافظ المؤرخ أبو محمد حسن بن إبراهيم بن زولاق الليثي المصري المتوفّى (٣٨٧هـ):

أول من دخل مصر من ولد علي سكينة بنت علي بن الحسين .

وبه قال السخاوي .

وفي لفظ آخر للسخاوي : إن المنقول عن السلف انّه لم يمت أحد من أولاد علي لصلبه في مصر .

فكيف من المعقول ان تدخل العقيلة زينب مصر وتقيم هناك زهاء السنة ثم تقبر على مرأى من المحاشد الجمّة ومسمع ، ولا يعرف أمرها أحد من المؤرّخين الذين عهدهم قريب بتلك الحادثة المهمّة .

والإمام الشافعي كان يتجاهر بالولاء لأهل البيت ، وقد ورد في سيرته أنّه كان يزور السيدة نفيسة لكن لم يرد أنّه زار السيدة زينب هناك[٢٢] .

كما دخل مصر جملة من الرحّالين كابن جبير وابن بطوطة وابن شاهين وذكروا ما شاهدوا من القبور المعروفة المقصودة للزيارة في عهدهم ولكن لا تجد أحداً منهم يذكر قبر السيدة زينب الكبرى في مصر . . اللهم الاّ الرحّالة الكوهيني الفاسي

---

(٢١) ـ المصدر السابق (ص ٢٩ ـ ٣١) .

(٢٢) ـ المصدر السابق (ص ٣٢ ـ ٣٣) .

الأندلسي الذي دخل القاهرة في (١٤ - محرم ٣٦٩ هـ)[٢٣] .

إنّ الاشتباه بوجود قبر العقيلة زينب نشأ لتعدّد المسمّيات بزينب من العلويات وغيرهم المدفونات بمصر ، والذّهن أسرع تبادراً عند سماع الإسم الى أشهر الأفراد وأكملها .

ومن المعلوم أنّ عادة العامة والخاصة جرت أنّهم ينسبون العلويين الى رسول الله وأمير المؤمنين بلا واسطة[٢٤] .

والظّاهر أنّ المشهد الزينبي المعروف في القاهرة هو للسيدة زينب بنت يحيى المتوج بن الحسن الأنور بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب[٢٥] .

والمصدر الأساس لدعوى هجرة السيدة زينب الكبرى الى مصر وموتها ودفنها فيها رسالة (أخبار الزينبيات) للنسّابة العبيدلي ، وحول هذه الرسالة ومؤلّفها ورواتها وبالخصوص الرواية المتعلّقة بهذا الموضوع حولها كلام عند أهل التحقيق سنداً ومتناً[٢٦] .

---

(٢٣) - المصدر السابق (ص ٣٣) .

(٢٤) - المصدر السابق (ص ٥٤) .

(٢٥) - المصدر السابق (ص ٥٩) .

(٢٦) - المصدر السابق (ص ٧٥ - ١٠١) .

مصادر الكتاب

(الأصابة في تمييز الصحابة) ابن حجر العسقلاني (دار احياء التراث العربي ، بيروت) .

٢ ـ (الأحتجاج) أحمد بن علي الطبرسي (مطبعة سعيد ، مشهد ايران ـ سنة : ١٤٠٣ هـ) .

٣ ـ (أبصار العين في أنصار الحسين) محمد السماوي (منشورات مكتبة بصيرتي ، قم ايران) .

٤ ـ (أئمتنا) علي محمد علي دخيّل (دار المرتضى ، بيروت) ـ الطبعة السادسة : (١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م) .

٥ ـ (أخلاقيات أمير المؤمنين) السيد هادي المدرسي (مؤسسة الأعلمي ، . بيروت ـ الطبعة الأولى : ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م) .

٦ ـ (أدب الطف) السيد جواد شبّر (دار المرتضى) بيروت : (١٩٨٨م).

٧ ـ (أسد الغابة في معرفة الصحابة) ابن الأثير عزالدين أبو الحسن علي (دار الفكر) بيروت : (١٩٨٩م).

٨ ـ (أعيان الشيعة) السيد محسن الأمين دار التعارف للمطبوعات ، بيروت : ١٩٨٣ م) .

٩ ـ (أنصار الحسين) الشيخ محمد مهدي شمس الدين (الدار الإسلامية بيروت ، الطبعة الثانية : (١٩٨١ م) .

١٠ ـ (بحار الأنوار) محمد باقر المجلسي (مؤسسة الوفاء ، بيروت : (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣ م) .

١١ ـ (بلاغات النساء) أبو الفضل احمد بن أبي طاهر طيفور ، تقديم وطبع أحمد الألفي (منشورات مكتبة بصيرتي ، قم « طبعة مصر ») .

١٢ ـ (تاريخ مدينة دمشق) ابن عساكر علي بن الحسن الطبعة الأولى : (١٩٨٠م):

(١) (ترجمة الإمام الحسن) تحقيق محمد باقر المحمودي .

(٢) (تراجم النساء) تحقيق سكينة الشهابي .

١٣ ـ (تاريخ الإسلام) الذهبي محمد بن أحمد شمس الدين (دار الكتاب العربي ، بيروت ـ الطبعة الثانية : (١٩٨٩م):

(١) (السيرة النبوية) .

(٢) (كتاب المغازي) .

١٤ ـ (تاريخ الخلفاء « الإمامة والسياسة ») ابن قتيبة الدينوري مطبعة مصطفى الحلبي : مصر) .

١٥ ـ (تاريخ الأمم والملوك) الطبري محمد بن جرير (المطبعة الحسينية المصرية ، الطبعة الأولى) .

١٦ ـ (تاريخ الشعوب الإسلامية) كارل بروكلمان (دار العلم للملايين ، بيروت ـ الطبعة التاسعة : ١٩٨١ م) .

١٧ ـ (التفسير المنير) الدكتور وهبة الزحيلي دار الفكر المعاصر ، بيروت ـ

الطبعة الأولى : (١٤١١هـ.ـ ١٩٩١ م) .

١٨ ـ (التفسير الكاشف) الشيخ محمد جواد مغنية (دار العلم للملايين ، بيروت ـ الطبعة الثالثة : آذار مارس ١٩٨١ م) .

١٩ ـ (تفسير روح المعاني) الآلوسي (دار احياء التراث العربي ، بيروت) .

٢٠ ـ (ثورة الحسين) الشيخ محمد مهدي شمس الدين (الطبعة السادسة : ١٩٨١ م) .

٢١ ـ (الحياة) جريدة يومية تصدر عن لندن .

٢٢ ـ (حياة الإمام الحسن) الشيخ باقر شريف القرشي (دار الكتب االعلمية ، قم ايران ـ الطبعة الثالثة :(١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م) .

٢٣ ـ (حياة الإمام الحسين بن علي) الشيخ باقر شريف القرشي (مكتبة الداوري ، قم إيران ـ الطبعة الثانية : ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م) .

٢٤ ـ (حياة الإمام محمد الباقر) الشيخ باقر شريف القرشي (مؤسسة الوفاء بيروت ـ الطبعة الثانية : ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م) .

٢٥ ـ (حياة الإمام موسى بن جعفر) الشيخ باقر شريف القرشي (دار الكتب العلمية ، قم ايران ـ الطبعة الثانية : ١٣٨٩ هـ ١٩٧٠ م) .

٢٦ ـ (دراسة في المائة الأوائل) الدكتور مايكل هارت (دار قتيبة ، دمشق ـ الطبعة الثالثة : (١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م) ترجمة الأستاذ أسعد عيسى والمحامي أحمد غسان سبانو .

٢٧ ـ (درّ السحابة في مناقب القرابة والصحابة) الشوكاني محمد بن علي (دار الفكر دمشق : ١٩٨٤ م)

٢٨ ـ (رسالة فضل أهل البيت وحقوقهم) ابن تيمية تقي الدين احمد (دار القبلة ، جدّة ـ الطبعة الأولى : ١٩٨٤ م) تعليق أبي تراب الظاهري .

٢٩ ـ (الرسول القائد) اللواء الركن محمود شيت خطاب (دار الفكر ـ بيروت

ـ الطبعة الخامسة : ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م) .

٣٠ ـ (زينب الكبرى) الشيخ جعفر النقدي (منشورات الرضي ، قم ايران ـ الطبعة الثانية : ١٣٦٢ هـ) .

٣١ ـ (زينب وليدة النبوة والإمامة) م . صادق (مؤسسة الوفاء ، لندن : ١٩٨٧ م) .

٣٢ ـ (زينب عقيلة بني هاشم) عبد العزيز سيد الأهل (دار العلم للملايين ، بيروت ـ الطبعة الأولى : ١٩٥٣ م) .

٣٣ ـ (سيرة الرسول وخلفائه) السيد علي فضل الله الحسني (مؤسسة الوفاء بيروت ـ الطبعة الأولى : ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م) .

٣٤ ـ (السيدة زينب) عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطىء » (دار الكتاب العربي ، بيروت : ١٩٧٩ م) .

٣٥ ـ (شرح نهج البلاغة) ابن أبي الحديد المعتزلي . دار احياء التراث العربي ، بيروت ـ الطبعة الثانية : ١٩٦٥ م) .

٣٦ ـ (صحيح مسلم) (دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٧٧ م) .

٣٧ ـ (صحيح البخاري) (دار الجيل ، بيروت) تقديم الشيخ أحمد محمد شاكر (١٩٧٧م).

٣٨ ـ (الطفل نشوءه وتربيته) (قسم الأطفال والناشئين لمؤسسة البعثة في ايران) الطبعة الأولى : ١٤١٠ هـ) .

٣٩ ـ (الطفل بين الوراثة والتربية) الشيخ محمد تقي فلسفي (مطبعة الآداب في النجف الأشرف ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م) .

٤٠ ـ (العقد الفريد) عبد ربّه الأندلسي (دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ـ مطبعة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة : ١٣٨٤ هـ ١٩٦٥ م) .

٤١ ـ (عقيلة بني هاشم) السيد علي الهاشمي (مؤسسة المفيد ، بيروت ـ الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م) .

٤٢ ـ (عقيلة الطهر والكرم) موسى محمد علي (عالم الكتب ، بيروت ـ الطبعة الثالثة : ١٩٨٥ م) .

٤٣ ـ (علي من المهد الى اللحد) السيد محمد كاظم القزويني (مؤسسة الوفاء ، بيروت الطبعة ـ الحادية عشرة : ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م) .

٤٤ ـ (الغارات) أبو اسحاق الثقفي (طبع طهران) .

٤٥ ـ (الغدير) عبد الحسين الأميني (دار الكتاب العربي ، بيروت ـ الطبعة الرابعة : ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م) .

٤٦ ـ (فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد) السيّد محمد كاظم القزويني (المعرض الدائمي للكتاب ، ايران ـ الطبعة الأولى : ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م) .

٤٧ ـ (فاطمة الزهراء أمّ أبيها) السيد فاضل الميلاني (مؤسسة أهل البيت ، بيروت : ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٧٩ م) .

٤٨ ـ (فجر الإسلام) أحمد أمين (دار الكتاب العربي ، بيروت ـ الطبعة الحادية عشر : ١٩٧٩ م) .

٤٩ ـ (الفقه : كتاب النكاح) السيد محمد الشيرازي (دار العلوم ، بيروت ـ الطبعة الثانية : ١٩٨٨ م) .

٥٠ ـ (في رحاب السيدة زينب) محمد بحر العلوم (دار الزهراء ، بيروت ـ الطبعة الثانية : ١٩٨٠) .

٥١ ـ (الكامل في التاريخ) ابن الأثير عزالدين أبو الحسن علي (دار صادر ، بيروت : ١٩٧٩ م) .

٥٢ ـ (الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء) السيد عبد الحسين شرف الدين (دار الزهراء ، بيروت) .

٥٣ - (مرقد العقيلة زينب) الشيخ محمد حسنين السّابقي (مؤسسة الأعلمي ، بيروت - الطبعة الأولى : ١٩٧٩ م) .

٥٤ - (مروج الذهب) المسعودي علي بن الحسين (دار الأندلس ، بيروت : ١٩٦٥ م) .

٥٥ - (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) السيد عبد الزهراء الخطيب (دار الأضواء ، بيروت - الطبعة الثالثة : ١٩٨٥ م) .

٥٦ - (مع بطلة كربلاء) الشيخ محمد جواد مغنية (الطبعة الرابعة : ١٩٨٤ م) .

٥٧ - (معالي السبطين) محمد مهدي المازندراني (مكتبة القرشي ، تبريز ايران) .

٥٨ - (المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة) (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في قم ايران : ١٤٠٦هـ) .

٥٩ - (معجم رجال الحديث) السيد أبو القاسم الخوئي (منشورات مدينة العلم في قم ايران - الطبعة الثالثة : ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) .

٦٠ - (مقاتل الطالبيين) أبو الفرج الأصفهاني علي بن الحسين (دار المعرفة : بيروت) تحقيق أحمد صقر .

٦١ - (مقتل الحسين) السيد عبد الرزّاق المقرم (دار الكتاب الإسلامي ، بيروت - الطبعة الخامسة : ١٩٧٩ م) .

٦٢ - (المنجد في اللغة) لويس معلوف (انتشارات اسماعيليان ، ايران - الطبعة السادسة والعشرون) .

٦٣ - (الموسم) مجلة فصلية صاحبها ورئيس تحريرها محمد سعيد الطريحي (العدد الرابع من المجلد الأول : ١٩٨٩ م - ١٤١٠ هـ) .

(١) - (ضريح ومسجد السيدة زينب في مصر) مقالة علي أحمد الشلبي .

(٢) - (أخبار الزينبيات) العبيدلي النسّابة .

(٣) - (مرقد السيدة زينب في سنجار «شمال العراق») بحث حسن الشميساني .

٦٤ - (النصائح الكافية لمن يتولى معاوية) محمد بن عقيل (دار الزهراء ، بيروت - الطبعة الثانية : ١٩٨١ م) .

٦٥ - (نفس المهموم) الشيخ عباس القمي (مكتبة بصيرتي ، قم ايران) .

٦٦ - (وسائل الشيعة) الحر العاملي محمد بن الحسن (دار إحياء التراث العربي ، بيروت - الطبعة الخامسة : ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) .

٦٧ - (وسيلة الدارين) السيد إبراهيم الزنجاني (الطبعة الثانية : ١٩٩٠ م) .

٦٨ - (وفاة زينب الكبرى) الشيخ فرج آل عمران (مكتبة الألفين ، الكويت : ١٩٨٦ م) .

الفهرس



الفهرس

الموضوع	الصفحة
اهداء	٧
كلمات في البدء	٩
أشرف عائلة	١٧
اشراقة النور	٢٩
نشأة فريدة	٣٩
الأجواء العائلية	٤٧
الفاجعة الكبرى	٥٥
المحنة السياسية	٦٣
وافتقدت أمّها الزهراء	٧٧
سيّدة العائلة	٨٣
في بيت الزوجية	٨٥
أولاد السيدة زينب	١٠٣
مع أبيها علي	١٠٩

في محنة أخيها الحسن ١٣٩
بطلة كربلاء ١٤٩
سطور من كتاب الثورة ١٥٣
الدور المنتظر ١٦٩
المبادرة والاختيار ١٧٣
سلاح المظلومية ١٧٧
رعاية القافلة ١٩٣
حماية الإمام ١٩٩
الاعلام للثورة ٢٠٥
آفاق الخطاب ٢١١
في مواجهة ابن زياد ٢٢٣
في مجلس يزيد ٢٣١
تأملات في الخطاب ٢٣٧
مواجهة حادة ٢٤٣
ردود الفعل ٢٤٧
خلق عظيم ٢٥٥
رائدة المعرفة ٢٥٩
في محراب العبادة ٢٦٥
صبر وشجاعة ٢٦٩
عفّة ومهابة ٢٦١
زهد وعطاء ٢٧٣
إلى الرفيق الأعلى ٢٧٥
مقامات شامخة ٢٧٩
شيء من التحقيق ٢٩٣
مصادر الكتاب ٢٩٩

